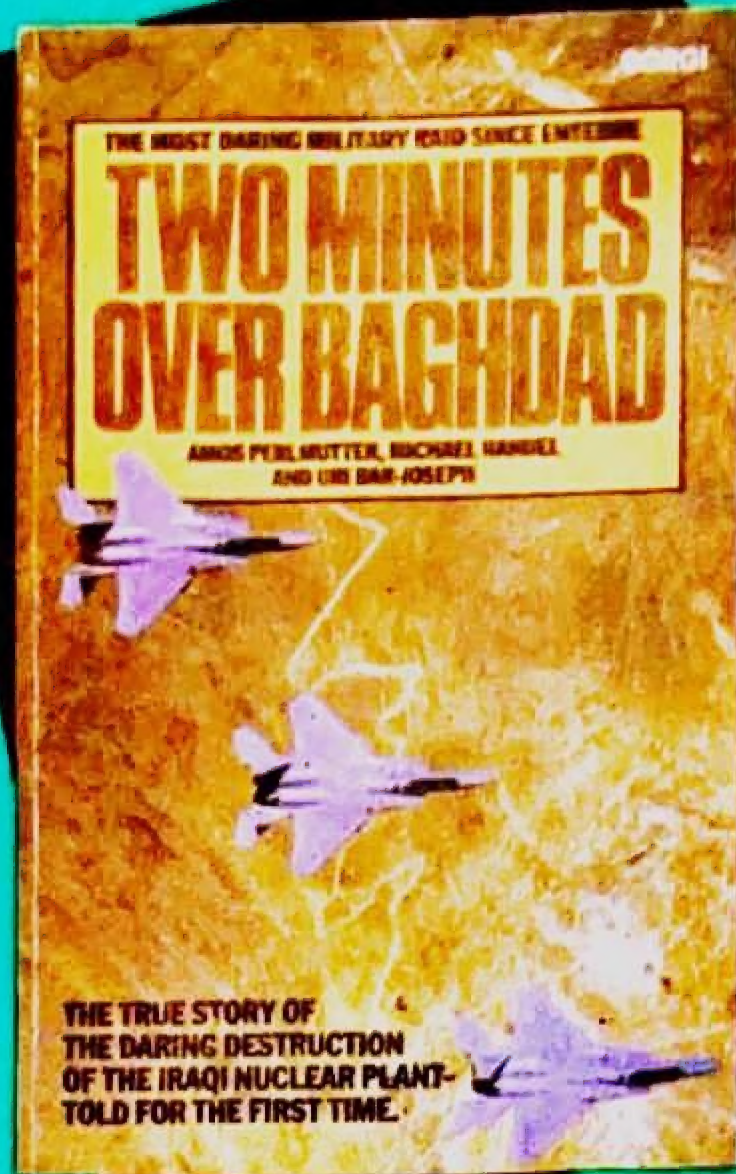


وزارة الاعلام - القاهرة
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم (٧٦٢)



تأليف
عاموس بيرل مटर
ميشيل هاندل
يوري بار هيرزيف

دقيقتان فوق بغداد

وزارة الاعلام - القاهرة
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم (٧٦٢)

دقيقتان فوق بغداد

تأليف

عاموس بيرلنر

ميسيل هاندل

يوري بارموزيف

كتاب (دليقتان فوق بغداد)

بقلم : عاموس بيرلوتر

ومايكل هاتدل

ويوري جوزيف

نبذة عن المؤلفين :

يعمل « عاموس بيرلوتر » استاذاً للعلوم السياسية وعلم الاجتماع بالجامعة الامريكية ، وقد سبق ان صدر له كتاب « العسكرية والسياسة في اسرائيل ومصر » ، وهو استاذ زائر بجامعة هارفارد وبمعهد بروكنجز وجامعة حيدر آباد بالهند . وعمل عضواً في الوفد الاسرائيلي لدى الامم المتحدة وفي لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية ، ومستشاراً للشئون العسكرية لحكومات عديدة .

اما « مايكل هاتدل » فقد تلقى درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٧٤ ، ويعمل باحثاً بمركز هارفارد للشئون الدولية .

وثالث المؤلفين « يوري بارجوزيف » فقد عمل في السلاح الجوي الاسرائيلي في مجال التخطيط التدريبي والتكتيكي ، وذلك قبل ان يلتحق بالجامعة العبرية بالقدس ليدرس السياسة .

دقیقتان

فوق بغداد

بقلم :

اموسی بیرلوتر

مایکل هاندل

یوری بار جوزیف

مقدمة

هناك أحداث معينة تعتبر نقاط تحول في التاريخ العالمى ، مثل اجتياح سجن (الباستيل) ، الأمر الذى فجر الثورة الفرنسية ، أو قصف مدينى (هروشيما) و (نجازاكى) بالقنابل الذرية . وعندئذ يمكن على الفور ادراك أن التاريخ قد غير مساره ، وأن كل شئ لم يعد كما كان من قبل قط . غير أن أحداثا أخرى ذات مغزى تاريخى قد لا تبدو (درامية) هكذا ، بيد أنها لا تزال تعد أحداثا لأمثل لها من قبل . . أحداثا تكون بداية لعهد جديد ، أو لمستوى جديد من الصراع ، أو لتطورات تكنولوجية جديدة ، أو أن من شأنها أن تغير مسار تطورات الأحداث ، وهو الأمر الذى كان يبدو محتبا قبل وقوعها . والواقع أن الهجوم الاسرائيلى على المفاعل النووى العراقى الذى يقع شرقى جنوب بغداد وتدميره بعد ظهر يوم ٧ يونيو ١٩٨١ يعد واحدا من هذه الأحداث .

ذلك انه لأول مرة في التاريخ الحديث يقع هجوم وقائى ناجح على منشأة نووية . وهو لم يكن بالهجوم الاول من نوعه على مفاعل نووى فحسب (بالرغم من أن المفاعل لم يكن قد جرى تشغيله تشغیلا كاملا) بل كان المحاولة الاولى من نوعها التى استخدمت فيها القوة لارجاء الفعالية ومنع الانتشار المحتمل ، لأسلحة نووية .

وقد جرت مناقشة احتمال شن مثل هذه الهجمات النووية الوقائية قبل ذلك في بلاد أخرى . نفى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات ، بحث الولايات المتحدة ، مثلا ، خططا عديدة للهجوم وتدمير قدرة الاتحاد السوفيتى على أن يصبح قوة نووية وذلك قبل أن يترجم العلماء السوفيت ما لديهم من معرفة محتملة الى قوة نووية لأمثل لها وعندئذ يكون الوقت متأخرا لتدميرها . غير أن بالنسبة للبعض ، كان مجرد تأمل مثل هذه الأفكار أمرا لا يمكن التفكير فيه ، أما بالنسبة لمعظم صانعى القرار فإن ما ينطوى عليه مثل هذا الهجوم الوقائى على برنامج الاتحاد السوفيتى الخاص بالأسلحة النووية التى لم تكن قد تطورت بعد كان ينظر اليه باعتباره أمرا يثير الفرع للغاية وتكتنف الشكوك انتهاجه . ومن ثم ، نجد أن الاتحاد السوفيتى قد أصبح قوة نووية مساوية للولايات المتحدة ، وغدا ميزان الرعب النووى احدى حقائق الحياة ، مما غير مسار التاريخ على نحو لا يمكن اعادته الى ما كان عليه من قبل .

ومن المثير للسخرية ، أن التاريخ قد أعاد نفسه على نحو مماثل في منتصف وأواخر الستينات ، وذلك عندما بحث الاتحاد السوفيتى نفسه

احتمال شن غارة نووية وقائية على برنامج جمهورية الصين الشعبية الخاص بأبحاث الأسلحة النووية غير أنه أطلع من ذلك . بل ان الاتحاد السوفيتي قد وصل في ذلك الى حد توجيه تطبيقات الى الولايات المتحدة بشأن شن مثل هذا الهجوم الوقائي - سواء كان ذلك بقصد الحصول على تأكيد ضمني من جانب الولايات المتحدة او للتعرف ببساطة على كيفية استجابة ورد فعل امريكا تجاه ذلك . وقد اصرّب الدبلوماسيون الأمريكيون على الدور من اعتراضهم على مثل هذه الغارة الوقائية . وعلى حين لا تعرف سوى القليل مما دار من مناقشات بعد ذلك بين زعماء الكرملين ، نجد اننا نعرف تماما ان الاتحاد السوفيتي قد قرر عدم شن هجوم وقائي ، وان الصينيين قد حقنوا وحيروا برنامجا واسع النطاق للتسلح النووي ومما لا شك فيه ان كلا من باكستان والهند قد بحثتا كذلك احتمال شن هجوم وقائي على مراكز البحث النووي لكل منهما ليحرم البعض قدرة البعض الآخر على تطوير أسلحة نووية .

وفي ضوء هذه الاحداث السابقة ، نجد الهجوم الاسرائيلي (الدرامي) ، وما ينطوي عليه من معنى تاريخي ، يكتسب منظورا اكثر حدة . ومع ذلك تختلف ملايست وخلفية الهجوم الاسرائيلي اختلافا كبيرا عن الحالات سالمة الذكر .

ذلك ان العراق ، التي تقع على بعد ٣٥٠ ميلا تقريبا من اسرائيل ، قد لعبت دورا اساسيا في الحروب العربية الثلاثة ضد اسرائيل ، فقد اشتركت في كل من غزو الجامعة العربية لفلسطين عام ١٩٤٨ ، وفي حرب ١٩٦٧ . وخلال عام ١٩٧٣ ارسلت قواتها للقتال الى جانب السوريين والاردنيين في الجبهة الشرقية . ومن ثم ، وعلى عكس اية دولة عربية اخرى ممن تشترك اشتراكا مباشرا في الحرب ضد اسرائيل ، نجد ان العراقيين قد رفضوا باستمرار وعناد حتى مجرد ابرام اتفاق وقف اطلاق النار ، او عقد هدنة مع اسرائيل ذلك انه في نهاية كل نزاع من نزاعاتهم ، كان العراقيون يسحبون ببساطة قواتهم الى داخل اراضيهم ، ثم تظهر هذه القوات مرة اخرى حيثما تفلح حرب جديدة . ولذا تعد العراق من الناحية العملية والقانونية الدولة العربية الوحيدة التي تعتبر في حالة حرب دائمة مع اسرائيل .

كما ان الاسرائيليين كانوا يخشون من ان العراق - التي تتصرف فيما يبدو على نحو غير عقلاني ويتسم بالتهور - قد تعطى قنبلة نووية الى احدي الجماعات الارهابية التي ربما تستخدمها بدورها في ابتزاز اسرائيل او اية دولة عربية اخرى بقصد ممارسة الضغوط على اسرائيل . والواقع ان العراق لم تكن في حالة حرب دائمة مع اسرائيل فحسب بل انها كانت تقدم علانية المساعدة لبعض الجماعات العربية الارهابية المتطرفة للغاية من

ال فلسطينيين وغيرهم . ولما كان الأمر كذلك ، فإن الولايات المتحدة قد اعلنت ان العراق بلد ينتهك القانون الدولي ودولة تساعد الإرهاب . ومن ثم قررت مرض حظر على تزويد العراق بأية أسلحة أمريكية ، وفي ذلك بيع طائرات من طراز بوينج ٧٤٧ .

ويشتهر النظام العراقي - وخاصة منذ الانقلاب العسكري الذي اطاح خلاله مبد الكريم قاسم بالملكية العراقية - بالتطرف في العدوانية وعدم التمثل وقد زادت شهرة العراق في هذا الصدد تحت زعامة الرئيس صدام حسين في اواخر السبعينيات . فقد دخلت العراق في صراعات عديدة لا مع اسرائيل فحسب بل مع حكم البعث السوري كذلك وواصلت حربها العدوانية ضد الاقلية الكردية ، واخيرا وفي خريف ١٩٨٠ شنت هجوما مباشرا على ايران ، وما يدعو الى الغرابة ان مجلس الامن التابع للأمم المتحدة لم يدين هذا الهجوم ادانة مباشرة .

وهكذا ، كانت الحكومة الاسرائيلية تجد ان لها من وجهة نظرها ، واستنادا الى تصرف العراق في الشؤون الخارجية - حقا شرعيا في ان تخشى من تعجيل الحكومة العراقية بتنفيذ برنامجها النووي . فلك ان هذا البرنامج يعد تهديدا مباشرا لا لاسرائيل فحسب ، بل للبلاد الاخرى المجاورة كذلك مثل ايران التي تشترك معها العراق في حرب حول شط العرب واقليم كردستان (عربستان) ، وسوريا التي تشترك معها في نزاع عقدي فضلا عن المسألة الأكثر تعقيدا وهي مستقبل المشاركة في مياه نهري دجلة والفرات وقد شعرت الكويت بتهديد العراق لها اكثر من مرة . ولم ينقذها في الواقع من غزو العراق لها في اوائل الستينيات سوى البريطانيين . كما كانت السعودية تشعر بخوف واضح من القوة العراقية وتوسعها في اتجاه الشمال ومن التهديد العراقي بالتدخل في شؤونها الداخلية وكانت مصر تشعر بتوجس وقلق من اشتراك الزعامة العراقية في الحملة ضد اتفاقات كامب ديفيد ، ومن تطلع العراق الى ان تصبح قوة مهيمنة في العالم العربي - وهو تطلع كان من المؤكد ان يعززه ان تصبح العراق اول بلد عربي يمتلك اسلحة نووية .

كما ان مصالح الدول الكبرى ربما كانت مهددة على نحو غير مباشر من جراء الخط المائل في الشرق الأوسط ، مما يهدد كذلك الاستقرار العالمي . وكانت الدول العظمى تخشى دائما من جرورها الى مواجهة نووية وحربية ، من جراء سوء التقدير ، أو تصعيد مفاجئ لمواجهة نووية بين الدول الصغرى . ومن ثم ، باتت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تعارضان بوضوح الانتشار النووي ، ويتصرفان حتى الآن على نحو يتسم بالمسؤولية في جهودهما المبذولة لمنع الانتشار النووي .

ومع ذلك ، لم يكن هذا هو الحال بالنسبة للفرنسيين والاطالين
اذ ان كلا البلدين كانا تواقا الى زيادة حجم تعاملها مع العراق (وقد عرفت
كلاما منفتحا اسلحة ضخمة جدا مع العراق) والى ضمان امدادات منظمة
من البترول للعراقى باسعار ملائمة (وهو جهد بدده نشوب الحرب العراقية
الاشيانية) . غير انه على نحو او آخر نجد الحكومة الفرنسية وحاجتها
الحكومة الاشتراكية بزعامة فرانسوا ميتران التى انتفضت حديثا - كان
لديها سبب مقبول لان تشعر بالذنب وان تجد مبررا مقبولا للترافع عن دعم
المشروع النووى العراقى قبل فوات الاوان .

والواقع ان الايرانيين انفسهم ، حاولوا بالطبع قصف المفاعل النووى
العراقى يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٨٠ وقد اصلوا فيها بيدو المفاعل ، بيد ان
الاصابة كانت سطحية غير ان الهجوم الايرانى هذا لم يثر هذا القدر الضخم
من الاهتمام الذى اثره الهجوم الاسرائيلى ، كما لم يتعرض لمثل هذا النقد
الخيث الذى تعرض له الهجوم الاسرائيلى ومن الاهمية بمكان ان نتذكر -
مع ذلك - ان الايرانيين انفسهم ، رغم اخفاقتهم قد وضعوا سابقة بالهجوم
على مفاعل نووى غير انه لم يوجه اليهم اى لوم (ويعزى هذا الى التفات
والمحليير المزدوجة للرأى العالمى) نظرا لانهم لم يعترفوا رسميا
بذلك ، ولان العراق هى التى بدأت بشن الحرب عليهم ، ولكنهم فى حالة
حرب معها - وذلك مماثل تماما للحال مع اسرائيل من وجهة نظر
الثقوتون الدولى .

ولذلك نجد ان الاسرائيليين فى ضوء مخاوفهم وتجربتهم مع
العراق - وضعوا فى اعتبارهم حروبهم العديدة مع العالم العربى ، يمثلين
فى اذهلتهم تجربة المذبحة الجباعية ، وقرروا تدمير المفاعل النووى العراقى
الذى كان مما لا شك فيه يستهدف - كما سنبين - انتاج اسلحة نووية .

كما مستفحذت عن الاسباب الاقل ذيوها والتى كانت وراء هذه الفاره
التي لم تكن قرارا اتخذ بين ليلة وضحاها ، وكذا الجهود النووية
الاسرائيلية التى بدأت فى اواخر الخمسينيات والتى كانت تعد وسيلة لحمايه
الدولة اليهودية ولتغيير المواقف العربية تجاه اسرائيل . كما درسنا المواقف
المختلفة العديدة للدول العربية ازاء المشروع النووى الاسرائيلى ، ووضعنا
بالتفصيل مشروع تروء العراقى الذى كان يستهدف اعطاء العراق خيارا
نويا - بمساعدة الفرنسيين والاطالين خلال الثمانينيات .

ان مناحيم بييجين رئيس وزراء اسرائيل المعقد والمثير للجدل ، يعد
شخصية غير عادية فى السياسة العالمية فى الوقت الحاضر . وقد قام بدور

حاسم في القرار الخاص بتنفيذ « عملية بابل » كما عرفت بذلك الفارة . وقد قال بيجين : هذه ستكون عنتيبي الخاصة بي . وبينما وقعت الفارة في منتصف الصلة الانتخابية الاسرائيلية وحسنت الى حد كبير من شعبية بيجين بالنسبة لاستطلاعات الرأي العام السابقة على الانتخابات وجدنا اصواتا عديدة ارتفعت داخل اسرائيل وخارجها تمارض الفارة في حدد ذاتها ، وتعارض توقيتها كذلك .

ولن نتناول محسب القرار والتوقيت وشبه الاجماع بين زعماء اسرائيل السياسيين والعسكريين على ان لهذا الهجوم ما يبرره ، واننا سنظل كذلك معتبره الخوف المرضى ، الاسرائيلي الزمن - وهو الخوف من محرقة أو مخبئة جماعية اخرى - وذلك من خلال بيجين نفسه ، خلال شبابه كصهوني كان يعيش في بولندا حيث كان اليهود لا يتعرضون للتهديد من جانب المانيا النازية فقط ، وانما من موجة المعاداة للسامية بين شعبهم ذاته .

وفي اعتقادنا ان بيجين كان يخشى حقيقة من انه اذا لم يكن قد اسر بشهذه الفارة وخسر انتخابات ١٩٨١ ، فان شيون بريمز زعيم المعارضة الصائبة لن يجرؤ على اتخاذا قرار بقتل مشروع تومز وكان بيجين يرى مثله في ذلك مثل كثيرين آخرين احتمال وقوع محرقة جماعية اخرى ، ليس بالنسبة ليهود الشتات في اوربوا هذه المرة ، وانما بالنسبة لدولة اسرائيل . وسوف نتناول كذلك الدور السيلسي والشخصي لبريمز ، وكذا دور شخصيه رئيسية اخرى في التاريخ العسكري والسياسي الاسرائيلي خلال ما يربو على العقدين الماضيين وهي شخصية الجنرال البارز والرجل القوي الوحيد في حكومة بيجين الا وهو اريل شارون ويشغل شارون الآن منصب وزير الدفاع ، بيد انه وقت الفارة كان يشغل منصب وزير الزراعة ، وكان احد كبار المستشارين العسكريين لبيجين ، وكان يدعو باستمرار لشن غاره وقتائية على المفاعل النووي العراقي . ونحن نتكهن بأنه من المؤكد ان يصبح شارون الشخصية القيادية في السياسة الاسرائيلية خلال الثمانينات .

بيد ان جوهر القصة هو الفارة ذاتها . ولذلك سنكتف عن تفاصيل حول عملية بابل ، ونحلل المشكلات العسكرية التي واجهت رئيس الاركان الاسرائيلي بشأنها ، ونشرع لماذا جرى اختصار شن هجوم جوى على المفاعل النووي العراقي لقد استفرق الاعداد للفارة شهورا من التخطيط ، وسوف نورد تفاصيل تصف المفاعل ولماذا وكيف تمكن الفريق الاسرائيلي من الاملات من ان يتعرضهم معترض ، سواء خلال طيرانهم الى العراق أو خلال رحلة هبوطهم .

كما حللنا ردود الفعل تجاه الفارة ، لا داخل اسرائيل ومنطقة الشرق الأوسط عامة فقط ، بل في أنحاء العالم ومن ذلك ردود الفعل الانتقاليه التي

تتسم بالنفاق — كما نرى — والتي بدت من خلال أجهزة الاسلام وحكومتى
فرنسا وامريكا ومنذ مغلقة دائر الفارة على ميزان القوى في الشرق
الأوسط ، سوف نبحت اثرها المحتمل على الانتشار النووي في العالم ،
ونتكهن بمستقبل الاسلحة النووية في الشرق الأوسط .

والواقع ان التاريخ قد انعطف انعطافا حادا — ولايزال من الصعب
التحدث عن مسار واتجاه هذا الانعطاف . ولعل افضل وجه للمقارنة في
هذا الصدد ان نتساءل عما كان يمكن ان يحدث لو ان المخابرات الفرنسية
او البريطانية قد دبرت عملية اغتيال ناجحة لادولف هتلر عام ١٩٣٨
او عام ١٩٣٩ . مما لا شك فيه ، ان الكثيرين من الليبراليين كانوا سيحتجون
بشدة بدموى ان مثل هذا العمل يتنافى مع قواعد اللعبة والسلوك الفزيه بين
الدول المتحضرة . ولكن لو ان عملية الاغتيال هذه كانت قد نفذت ، فربما
حال ذلك دون اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وربما تم تجنب المعاناة التي
تعرض لها ملايين من البشر .

ومع ذلك ، فكيف يتسنى لاي شخص في الوقت الحاضر ان يبرهن على
ان حياة ملايين الأشخاص قد جرى انقاذها عن طريق حرب لم تنلج ؟ فبالرغم
من كل شيء نجد ان الطبيعة القظة والاجرامية للحرب العالمية الثانية كان لامتيل
لها من قبل في التاريخ الحديث (كما لم يكن من الممكن التكهّن بها) . ذلك انه
من المتعذر بالطبع اثبات حتمية شيء لم يحدث .

وفيما يتعلق بالهجوم الاسرائيلي على برنامج الاسلحة النووية
العراقية . فان القرار قد اتخذ بشأن الهجوم ، والعملية كملت بالنجاح ،
ولكننا لا يمكن ان نصف ماذا كان سيحدث اذا لم يكن الاسرائيليون قد اتخذوا
قرارهم هذا ، وكيف كان يمكن ان يتحول تاريخ الشرق الأوسط والنزاع
العربي الاسرائيلي بل والعالم بأسره .

تقديم

في الساعة الثالثة بتوقيت جرينتش ، وبعد ظهر يوم ٧ يونيو ١٩٨١ الذى كان يبدو يوما عاديا يتسم بالخمول ، التقطت اجهزة الاستشعار فوق الصحراء الحساسة للغاية المزود بها قبر التجسس الأمريكى في مداره فوق الشرق الأوسط إشارة غير عادية جاءت من فوق الرمال الساخنة بالصحراء العربية وعلى الفور اصدرت هذه الأجهزة أوامرها للعدسات الكومبيوتر التلسكوبية بالقمر الصناعى ان تركز على مصادر حرارية بست عشرة طائرة تتحرك بسرعة ، وتطير في مجموعتين على ارتفاع اقدام قليلة من سطح الصحراء - والواقع ان اجهزة الاستشعار الحساسة بالقمر الصناعى قد سميت لتجيب تلقائيا لاي عدد من مثل هذه المصادر الحرارية التى تتحرك في الجو . وكان هذا القمر الصناعى من بين الأقمار التى سميت لتكتشف وتحذر من أى هجوم محتمل من الجو ضد أى هدف في المنطقة .

وقد تمكنت العدسات التلسكوبية على الفور من التمييز والتعرف على الاشغال الكلاسيكية لا تتحرك في الجو للست عشرة طائرة من (طراز اف - ١٦ واف - ١٥) وهى تطير في تشكيلين فوق الصحراء . وعندما استوعبت العدسات تماما هذا المشهد من مشاهد حرب الكواكب جرى بثه على الفور على الشاشات التلفزيونية الموجودة بمقر قيادة المخابرات الأمريكية . لقد كانت الطائرات الست عشرة المتطورة للغاية تخفى نفسها بألوان الصحراء الصفراء ، وتطير على ارتفاع منخفض عبر الصحراء العربية . وكانت تقودها ، فيها يبدو طائرة من طراز اف - ١٥ ، وكانت مجموعة منظمة ومنضبطة انضباطا عاليا وفي مهمة لم تعرف بعد . وقد استمرت في تقدمها الغامض في اتجاه الشرق . وبينما كانت مجموعتا الطائرات تواصلان تقدمهما ، جرت ملاحظة حقيقية غريبة أخرى - فقد استمرت في طيرانها في ظل صمت (لاسلكى) كامل فلم يدر بينها أى اتصال بالراديو ، وهو امر غير مألوف بالنسبة لاي مهمة تدريبية .

وكان الستة عشر طيارا يجلسون مائلين بزاوية قدرها ٣٠ درجة مئوية في كباينهم المكيفة الهواء (والتي صممت لتجنب تعقيم الرؤية عن السرعة العالمية) وهم ينظرون مباشرة الى الامام من خلال الفضاء الشفاف ويفحصون الارض التى يرونها أسفلهم ، وكانوا يطرون بسرعة هائلة كما لو كانوا قد وقعوا في شرك السرعة .

وكانت الرمال والصخور الصفراء اللامعة الموجودة اسفلهم تومض في عيونهم في مقابل السماء الزرقاء الرتيبة الخالية من السحب ولم تكن ايه شجرة او اى مظهر آخر من مظاهر الحياة موجودا ، وحتى يتجنب الطيارون

الوقوع تحت تأثير الشهور بانهم منومون مغناطيسيا من جراء الرؤية غير المضاهية للسما الصلبة والرمال الصلابة في الأتق البعيد — كانوا ينظرون الى لوحة الآلات المثبتة امامهم داخل الطائرة .

وعلى الرغم من تكييف الهواء ، كان الطيارون يعرفون بفزارة وكان كل منهم يركز على لوحة الآلات المثبتة امامه : شاشات الرادار ، ومؤشرات اوضاع الأتق ، واجهزة الملاحة الجوية ، ومؤشرات الارتفاع ، والآلات الحاسبة (الكمبيوترات) المعقدة والأجهزة المضادة للاندكرونيات . وكمن كل منهم يرقب عن كتب ظهور اية اضواء حمراء تحذيرية . فقد كانوا يدركون ان حياتهم تعتمد على مهاراتهم كطيارين ، وعلى امكانية اعتمادهم على مجموعة الآلات المعقدة ، وعلى الوقود والأسلاك الكهربائية ونظم الأسلحة وكل مؤشر موجود في اللوحة المثبتة امامهم ذلك ان اى خطأ انساني او مغل يصيب احدى الآلات من الممكن ان يعنى الموت الأكيد . ففى ضوء الارتفاع والسرعة التى يطيرون بها مع ما تقله طائراتهم من كميات ضخمة من الوقود والقنابل — قد يكون اى خطأ خطاهم الآخر اذ يؤدي هذا الخطأ الى اختلالهم والى ان تبطلهم الصحراء الحارقة .

وبعد ساعة ونصف ساعة من الطيران ، غير قائددهم مسار طائرته الى الاتجاه ، الشمالى الشرقى . وكفريق مدرب تدريبا عاليا اتجهوا بطائراتهم المحملة بقدر ضخم من القنابل وراءه . وبينما استمروا فى تقديمهم الى الشمال ، كانت الضوضاء الفظيعة لحركات طائراتهم قد امتدت اميالا عبر الصحراء غير انه لم يكن فى الصحراء اى انسان — اوحى حيوان ليسمع هذه الضوضاء .

وفى الساعة ٢٢٨ بتوقيت جرينتش اتجه قائددهم بطائرته الى اعلى ، وتبعته ٧ طائرات اخرى ، اختفت معه بين السحب .

اما الثمانى الطائرات الاخرى فقد استمرت فى طيرانها وزادت من سرعتها تدريجيا . وفى الساعة ٢٢٥ بتوقيت جرينتش اقتفوا اثر نهر ففى يلعب فى الأتق ، وارضى صغيرة خضراء وحقول مهجورة ومهملة ، ثم نجاة ظهر هيكل صناعى ضخم . وعند مركزه كان فى وسعهم ان ينتشروا على شكل قبة وقد بدأ لوهلة كما لو كان الهيكل الصناعى يطير فى اتجاههم وعنفذت كسرت مجموعة الطائرات التشكيل واتجهت نحوه . وتبعته الطائرات الاخرى الواحدة تلو الاخرى الى ان شكلوا مرة اخرى خطا مستقيما : سبها محوبا فى قلب القبة .

وعندما انقضوا عليه ، وظهرت فوق القبة النعمة الاولى من النيران
والخطام والنخان لم يستطع قائلهم - الذى كان آخر من قصف - ان
يبعد خاطرا طاف بذهنه وهو ان هذا الهجوم الذى لا مثيل له من قبل قد
يغير تاريخ الشرق الاوسط والعالم ومع ذلك وكما يعرف جيدا كان ذلك
الخطوة الاخيرة فقط فى سلسلة الاحداث التى بدأت منذ ربع قرن مضى تقريبا .

الجزء الاول
الدعوة الى التسليح
والسباق التـووى

كان ديفيد بن جورويون يزرع مكتبه بمصيبة مثل أسد حبيس ويحلق في خريطة كبيرة للشرق الاوسط على الحائط ، ثم اتجه مرة اخرى الى مساعديه المقربين ويتذكر اسحق نانون رئيس دولة اسرائيل الحالي - هذه اللحظة جيدا .

وتنهد بن جورويون وهو يقول : لم أستطع أن انام طوال الليل . ما هي اسرائيل ؟ ، انها نقطة صغيرة فقط : نقطة واحدة : كيف يمكنها أن تعيش في هذا العالم العربي ؟ ان المحارب القديم ذا الشعر الابيض الذي يشغل منصب رئيس الوزراء وكذا وزير الدفاع طوال الفترة منذ مولد اسرائيل في اعقاب حرب ١٩٤٨ قد أصبح ملما بالاما كبيرا بالامن القومي لبلده . وعلى الرغم من انه ليس خبيراً عسكرياً محترفاً كانت لديه أفكار محددة بشأن الاستراتيجية الطويلة المدى التي ينبغي على اسرائيل تنفيذها .

فقد كان يرى أن مصير اسرائيل على المدى الطويل قد يكون نفس مصير المملكة الصليبية التي اقيمت في الارض المقدسة ، والتي اخفقت في اواخر القرن الثالث عشر . ومن المؤكد أن الظروف ليست متماثلة ، غير أن الدروس التي تغلها الصليبيون كانت ولا تزال تشغل تفكيره - وخاصة في ضوء وجود علوه في العالم العربي ، جمال عبد الناصر .

فقد كان الرئيس المصري يحب من حين الى آخر أن يقارن اسرائيل بالمملكة الصليبية ، ويشبه نفسه بصلاح الدين المحارب المسلم الذي قضى في النهاية على الوجود المسيحي في الشرق العربي . وكان ناصر يذكر شعبه بأن العرب قد وهبهم الله نعمة الصبر الذي لا ينفد . لقد انتظروا ٢٠٠ عام حتى قضوا على معقل الصليبيين في العالم الاسلامي واذا ما حسبوا خطواتهم حساباً صحيحاً ، فإن في وسعهم أن يخرجوا اليهود من المنطقة في بده افر وكان بن جورويون يخشى من انه يوجد ما هو أكثر من ظل الحقيقة في كلام الرئيس المصري هذا . فكيف كان يمكنه (أى يمكن بن جورويون) اصابة هذا التهديد الدائم لوجود دولة اسرائيل بالشلل ؟

كان بن جورويون واقعياً : فبعد أن حاول من خلال العديد من القنوات اجراء حوار مع زعماء العالم العربي ، اقنعتته التجربة أنهم ليسوا مستعدين بعد لأن يطرأ تغير اساسي في مواقفهم تجاه الدولة اليهودية ، وكان يعرف الشخصية العربية ، كما يعرف انه طالما أن العرب مقتنعون بأن في امكانهم « أن يلتقوا باسرائيل في البحر » فانهم لن يقبلوا وجود دولة اسرائيل ككيان حي قائم بين بلاد الشرق الاوسط .

وكان احد البدائل للتوصل لاتقرار السلام الذى من شأنه ان يجعل اسرائيل آمنة من عداء العالم العربى ، هو ابرام حلف عسكرى بين اسرائيل وبين دولة كبرى او أكثر من دولة ومع ذلك ، لم تكن الولايات المتحدة وبريطانيا مستعدين فى ذلك الوقت لبحث مجرد اقامة علاقات عسكرية غير رسمية مع اسرائيل - ناهيك عن ابرام تحالف عسكرى كامل معها . وكان سبب ذلك يرجع الى رغبتهما فى انشاء ما يسمى بالحلف الشمالى (الذى عرف باسم حلف بغداد) الذى ابرم فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ . وهو ائتلاف من دول اسلامية (تركيا والعراق وايران وباكستان) وبريطانيا العظمى والذى كان من المفترض أن يتصدى لاحتواء الاندفاع السوفيتى فى اتجاه الشرق الاوسط للخليج الفارسى وكانت هذه المعاهدة مع هذا العدد من الدول الاسلامية المحادية لاسرائيل تستبعد امكانية اقامة علاقات عسكرية معها .

وكان الاتحاد السوفيتى يعد حليفا محتملا ، وذلك باعتباره من الدول الاولى التى اعترفت باسرائيل - الدولة الجديدة - عقب اعلان الاستقلال يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وباعتباره مورد الاسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا للجيش الاسرائيلى الذى كان يقاتل من اجل وجوده ورغم ذلك ، وعقب انسحاب البريطانيين من فلسطين وعند نهاية حرب الاستقلال ، أجرى الاتحاد السوفيتى - فى ظل زعامة ستالين - أجرى تحولا جذريا فى سياسته تجاه الشرق الاوسط ، ولم يعد ينظر الى اسرائيل على انها قاذرة على دعم المصالح السوفيتية فى المنطقة . لقد تحول الآن الاتحاد السوفيتى الى جليتب العرب .

وفى سبتمبر ١٩٥٥ أعلن ناصر إمام الملا عن ابرام صفقة اسلحه تشكيلية (أى روسية) مصرية . وقد أصيبت اسرائيل بصدمة من جراء ذلك فقد كانت الصفقة تتضمن من بين أسلحة أخرى ٢٠٠ مقاتلة قاذفة حديثة ، و ٢٢٠ دبابة و ٢٠٠ حاملة جنود وحوالى ٦٠٠ قطعة مدفعية . ولقد كان هذا يعنى فى ذلك الوقت زيادة كمية ونوعية لا مثيل لها من قبل فى مستوى التسلح فى الشرق الاوسط . ففى ضربة واحدة انهار توازن القوى الاقليمى .

وعند هذه النقطة الحرجة فى تاريخ اسرائيل ، كانت فرنسا هي الامل الوحيد فلقد أسهمت الحرب فى الجزائر والمساعدة التى يقدمها ناصر لجهة التحرير الجزائرية والتعاطف الطبيعى تجاه نضال اسرائيل البطولى والمنفرد من جانب المقاومة الفرنسية وأزمة السويس - أسهم كل هذا فى تنمية علاقات وثيقة بين اسرائيل وفرنسا . فلقد كانت فرنسا هى التى زودت اسرائيل سرا بالأسلحة الضرورية لهزيمة الجيش المصرى فى حملتها المخاطفة فى سيناء فى أكتوبر ١٩٥٦ . فضلا عن ذلك ، كانت فرنسا تؤيد باستمرار

اسرائيل في الساحة الدبلوماسية الدولية ، وكذا تساندا اقتصاديا ورع
ذلك وفي اعقاب انسحاب فرنسا من الهند الصينية وقناة السويس ، اصبح
واضحا انها قد اصبحت قوة من الدرجة الثانية فقط . وقبل ذلك بشهور
قلائل حمص ، وخلال احتدام حملة السويس ، ارسل بولجانين رئيس
الوزراء السوفيتي رسائل لرئيس وزراء بريطانيا وفرنسا اوعهما فيها بحرب
نووية .

ولقد اظهرت ضغوط التهديدات الامريكية والسوفيتية التي مورست في
آن واحد على كل من البريطانيين والفرنسيين ، والتي ارغمتها على وقف عليه
السويس ، انحصرت اهمية هذين البلدين بالنسبة للدول العظمى ولم يغب
ذلك عن رئيس الوزراء بن جوريون الذي تلقى رسالة شخصية من رئيس
الوزراء السوفيتي كانت تحتوى - ضمن تهديدات اخرى - الآتى :

« ان الحكومة الاسرائيلية التي تنفذ ارادة الآخرين وتتصرف بناء على
تعليمات تتلقاها من الخارج ، تتصرف - على نحو اجرامى وغير مسئول -
بمصير السلام وبمصير شعبها نفسه . انها تبذر بذلك الكراهية لدولة
اسرائيل بين شعوب الشرق ، الامر الذى من شأنه ان يؤثر على مستقبل
اسرائيل والذى يضع وجود اسرائيل كدولة ، موضع المخاطرة (٥ نوفمبر
١٩٥٦) » .

وكان بن جوريون يعلم جيدا ان التهديد السوفيتي لا يعدو كونه خدمة .
ورغم ذلك وبعد مضي عام ، كان بن جوريون لايزال يشعر بالرجفة عند
التفكير في خطاب بولجانين وحتى بعد انتصار اسرائيل في حملة سيناء
- وهى هزيمة اكبر جيش عربى خلال اقل من عقد - لم تتلاش عداوة العرب
لاسرائيل .

وقد كان بن جوريون مقتنعا بانه فى ظل غياب تغير حاسم فى الصراع
العربى الاسرائيلى ، لمن ستستمر هذه الكراهية لسنوات قادمة . ان ايا من
الدول الكبرى لا يمكنها ان تضمن امن اسرائيل فى المدى الطويل ومن ثم كان
بن جوريون يرى ضرورة ان تتحرك اسرائيل تحركا مستقلا بدرجة ما ،
وصولا الى ضمان وجودها دون عون خارجى .

وقد اقترح هذا الحل اثنان من اقرب مساعدى بن جوريون فى شئون
الامن وهما : الجنرال موشى ديان رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلى .
وشيمون بيريز نائب بن جوريون المقرب منه فقد اقترح هذان المستشاران
الكبيران للامن القومى ان تبني اسرائيل مفاعلا نوويا مستقلا ، وذلك لتعويض
امكانية تعرضها للاصابة الاقليمية ولتقوى القوى المحاربة ، ووضحا ان شأن
هذا اتاحة مجال اوسع للمناورة الدبلوماسية فى العالم العربى وبين الدول
الكبرى . ولقد بلغ هذا القرار الكبير من الحساسية درجة ان بن جوريون

أبقاه في طي الكتمان ، ولم يطلع عليه معظم أعضاء مجلس وزرائه غير أنه كان قرارا لا رجعة فيه . وطالما أنه لا توجد أى وسيلة أخرى مضمونة لضمان وجود إسرائيل وأمنها فإن إسرائيل ستتجه الى فرنسا - حليفها الوثيقة الوحيدة - طلبا للمساعدة في تنمية مركز أبحاث نووى إسرائيل .
وفي أوائل أكتوبر ١٩٥٧ ، وافقت الحكومة الفرنسية على مساعدة إسرائيل في ارساء أساس المعرفة والقدرة النووية ، التي اعتبرها بن جوريون بمثابة الضمان النهائي لوجود إسرائيل في المدى الطويل . وقد أبلغ شيمون بيريز الذي كان مسئولاً عن المفاوضات السرية بين إسرائيل وفرنسا بن جوريون أنه قد توصل الى اتفاق .

وعندئذ بدأ السباق النووي في الشرق الاوسط .

٢ - الأسد والجمالان :

مولد المناقشة النووية فى اسرائيل

فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٠ نشرت صحيفة « الدليل اكسبريس » عناوين مثيرة تعلن أن اسرائيل تضطلع بعملية تطوير أسلحة نووية . وكان تقرير الصحيفة يستند الى مصادر المخابرات الامريكية والبريطانية ، ويناقش القلق الضخم الذى يسود الغرب من جراء احتمال تطوير أسلحة نووية فى اسرائيل ثم نشرت صحيفة « واشنطن بوست » بعد ذلك بيومين ، ان التقديرات الرسمية فى واشنطن (أى وكالة المخابرات المركزية الامريكية) ترى انه سيكون فى وسع اسرائيل انتاج أسلحة نووية فى غضون السنوات الخمس القادمة . وذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » فى نفس اليوم ان الجهود النووية الاسرائيلية تبذل بالتعاون مع فرنسا .

وقد سبب كشف هذه الانباء قلقا عميقا لبن جوريون . فلقد ضاعت لدى الجهود التى بذلها لابقاء ستار من المرية على مشروع الابحاث النووى . ذلك أنه فى الفترة من أكتوبر ١٩٥٧ الى ديسمبر ١٩٦٠ اشترك مئات المهندسين والفنيين الاسرائيليين فى بناء مركز الابحاث النووية الاسرائيلية فى ديمونا .

غير ان تغيير الحكومة فى فرنسا - واقامة الجمهورية الفرنسية الخامسة برئاسة ديغول - قد تخفص عن وقوع ازمة مؤقتة فى العلاقة الخاصة بين فرنسا واسرائيل . ففى ١٤ مايو ١٩٦٠ استقدمى كوف دى مورفيل وزير خارجية فرنسا السفير الاسرائيلى والتر ايتان وابلغه ان فرنسا لن تزود اسرائيل باليورانيوم اللازم للابحاث النووية والذى كانت الحكومة الفرنسية السابقة قد وعدت بتزويد اسرائيل به . فضلا عن ذلك ، رأى كوف دى مورفيل انه يتعين على اسرائيل ان تظن على الملا عن وجود مركز ابحاثها النووى . وكان من الممكن الافتراض بأن هذا التغير العميق قد اتخذه الرئيس ديغول الذى كان يريد انتهاء العلاقة الخاصة بين الدولتين ، ويريد تحسين علاقات فرنسا مع العالم العربى .

ولهذا ، وصل بن جوريون - الذى كان هذا الامر ليس خيبة امل شخصية خطيرة بالنسبة له محسب ، وانها كان كذلك يخشى ان يتعرض لمن اسرائيل للمساومة والتدمير ، وصل بن جوريون الى باريس فى ١٢ يونيو ١٩٦٠ للاجتماع مع الرئيس الفرنسى . وقد بدت هذه الزيارة الرسمية ناجحة للغاية ، باستثناء مشكلة التعاون النووى بين فرنسا واسرائيل غير انه تم التوصل الى حل وسط بين الزعيمين حول هذه المشكلة ، ويقضى

بن تعطى اسرائيل ضمانات بانها لا تعتزم انتاج اسلحة نووية ، وانها لن تنشئ مصنعا خالصا لانتاج البولوتونيوم ، بينما وعدت فرنسا بامداد اسرائيل بما تبقى من الاجزاء اللازمة لاستكمال اقامة المفاعل النووي الاسرائيلي . كما اتفق على ان تطن اسرائيل من انشاء مركز نووى للأغراض السلمية في ديمونا .

غير انه كان من المفترض ان الفرنسيين لن ياخذوا تعهدات اسرائيل بماخذ انجد بشأن هذا الموضوع الحساس للغاية ، ولذلك سربوا بعض المعلومات الخاصة بالمركز النووي الاسرائيلي في ديمونا للولايات المتحدة . ومع ذلك ، كانت المخابرات المركزية الامريكية تعلم بالفعل ، فيما يبدو ، عن المشروع الاسرائيلي الجديد . وليس اقل على ذلك ، من انه في مارس ١٩٥٨ ، وبعد اشهر قلائل من قرار باريس والقدس ، الخاص بالتصاوغ النووي فيما بينهما ، سجلت ثلثات الرادار الاسرائيلي طائرة تحلق على ارتفاع كبير فوق النقب ، ومن المرجح انها كانت في مهمة استطلاعية . وقد انطلقت على الفور طائرتان اسرائيليتان من طراز ستر . ٤ لاعتراض هذه الطائرة المجهولة . وعندما فشلا في اعتراضها ، اطلقت لأول مرة المناقلة المتقدمة للغاية وهي السوبر مستر ب - ١١ لاعتراضها . غير ان كانه الجهود الاسرائيلية ذهبت سدى . ولم يستطع الطيارون الاسرائيليون سوى التعرف على ان طائرة الاستطلاع هي الطائرة الامريكية الشهيرة ي - ٢ وكانت محصلة ذلك بالنسبة لصانعي القرار الاسرائيلي هي ان المخابرات المركزية الامريكية قد علمت بشأن المشروع السرى الجديد . ويبدو ان الفرنسيين ، قرروا بعد زيارة بن جوريون لباريس ان يضموها الضغوط الامريكية الى جانب ضغوطهم ضد اسرائيل ، ولذلك تسربت انباء المفاعل للصحف .

واصبح بن جوريون مضطرا الى الاعتراف بان اسرائيل تبني مركزا للأبحاث النووية في ديمونا . وفي ٢١ ديسمبر ١٩٦٠ أعلن في الكنيست ان اسرائيل تبني مفاعلا نوويا في النقب بقصد المساهمة في تنمية المنطقة . وأشار الى ان قوة المفاعل ستكون ٢٤ ميجاوات وانه يهدف الى تدريب العلماء اللازمين للزراعة وتصنيع الدواء والصناعة والعلوم ، وذلك حتى يمكن لاسرائيل ان تصمم وتنتج مفاعلهما النووي في غضون عشر سنوات او خمس عشرة سنة . وأكد على أن اسرائيل لا تعتزم انتاج اسلحة نووية . غير أن هذا الاعلان لم يخفف ، فيما يبدو ، مخاوف المخابرات والحكومة الامريكية تجاه النوايا الحقيقية لاسرائيل .

وفي ٣ يناير ١٩٦١ قدم السفير الامريكي في اسرائيل لجلولدا مانير وزيرة خارجية اسرائيل رسالة تضم مجموعة من المطالب الانذارية حشمت فيها

اسرائيل على شرح خططها ونواياها تجاه البلوتونيوم الذى سينتجه المفاعل .
والموافقة على اجراء تفتيش على منشآتها النووية ، وأن تعلن على نحو طامع انها
لن تنتج اية اسلحة نووية . وقد شعر بن جورويون باهانة بالغة من جراء
اللهجة الامرة التى تنطوى عليها الرسالة ، واجرئ مناقشات مطولة مع
السفير الامريكى الجديد فى اسرائيل . واكد للسفير أن التعاون الفرنسى
الاسرائيل فى هذا المجال الدقيق سيكون على غرار التعاون القائم بين كندا
والهند ، أو أى اتفاق بشأن تعاون نووى آخر من جانب واحد وأشار الى أن
البلوتونيوم الذى سينتجه المفاعل سيعاد الى البلد الذى زودنا باليورانيوم
المخصب . وفى الوقت نفسه ، أعرب بن جورويون عن اعتراضه على اخضاع
المفاعل الاسرائيل للتفتيش الاجنبى وقال شارحا للسفير الشاب « اننا لا نول
اى اهتمام تجاه اية دولة معادية نريد انندخل فى شئوننا الداخلية ، غير انه
كان ، من ناحية أخرى ، مستعدا لان تقوم أمريكا أو اية دولة أخرى صديقة
بزيارة المنشآت النووية الاسرائيلية - على ألا تجرى الزيارة فى المستقبل
القريب -- وانما بعد أن تخف حدة الاثارة الناجمة من جراء كشف أبناء المشروع
النووى الاسرائيل .

وقد احيا الضغط الامريكى المتصاعد ، المناقشات ، داخل اسرائيل .
حول امكانية الرغبة فى تحقيق استقلال نووى . وبدأ مجلس الوزراء وأعضاء
الاحزاب - الذين كانوا لا يزالون يجهلون البرنامج النووى الاسرائيل -
فى التعبير عن آرائهم الخاصة بشأن هذا الموضوع وكان أن تعرض
بن جورويون للنقد من جانب خصومه داخل اسرائيل ، وكذا من جانباصدقائه
وأعدائه فى الخارج . فقد أعرب أعضاء الحزب الحاكم ماباى ، مثل اشكول
وجولدا مائير وسابير عن اعتراضهم على تطوير خيار نووى بالنسبة لاسرائيل
وكان اشكول وسابير وكلاهما خبير اقتصادى ، يخشيان من التكاليف الهائلة
لهذا المشروع أما جولدا مائير التى كانت لسنوات عديدة لبيريز ، فقد
أقامت اعتراضها تجاه المشروع على اسباب شخصية أكثر منها موضوعية
أو منطقية .

وهكذا ، وفى اوائل الستينيات انقسمت الصفوة السياسية فى اسرائيل
حول السياسات النووية الاسرائيلية وكان السؤال المطروح آنذاك هو : على
' شئ يمكن لاسرائيل أن تعتمد خلال العقد القادم ، تعتمد على جيش
تقليدى قوى يستند أساسا الى الدبابات ، والطائرات التكتيكية ؟ أو تعتمد
على استخدام التكنولوجيات المتوقعة خلال السبعينيات على نحو ما تثير
حماس « الأعضاء فى مجموعة الامن الاسرائيل » الى ضرورة تنفيذ البرنامج
النووى .

وقد وجد ديان وبيريز انهما قد اصبحا ضمن الاكثية في هذه المناقشة
المنارة واستخدام ايجال لون القائد السابق « للبالاخ » والذي يعد واحدا
من اكثر العقول العسكرية الاسرائيلية أصالة وفكاهة ، ضد ديان وبيريز حججا
دامغة .

ويبدو ان بن جوريون ، الذي واجه هذه الضغوط الخارجية ، وكذا المشاكل
الداخلية الاخرى ، قد قرر التقاعد وترك المهمة لجيل اكثر شبابا . لقد كان
قرارا صعبا بالنسبة له . فقد ظل طوال سنوات عديدة يقود اسرائيل خلال
الازمات والعواصف السياسية مستخدما براعته السياسية في ذلك . وكان
هدفه دائما ان ترسو اسرائيل على شاطئ الامان غير انه مثل (النبي موسى
لم يصل ارض الميعاد . وعلى الرغم من ان السلام مع العرب كان باى حال
امرا منشودا . كل بن جوريون لا يزال يأمل في ان يكون الهيكل الاساسى
النوى الذى ارساه مع مساعديه ضحانا اكيدا ضد سعى العرب لتدمير
اسرائيل ، وانه بليجاد خيار نووى ، سوف ينشأ ميزان الرعب في الشرق
الاطوسط مما يؤدي الى اقرار السلام .

غير ان التطورات التى اعقبت ذلك وضمت حدا لهذه الامال .

٣ - كابوس ناصر

وحل السادات

اصبحت المسألة النووية بالنسبة لناصر في مصر ، وكذا بالنسبة لبن جوريون في اسرائيل (مثل أى عناصر أخرى في المواجهة العربية الاسرائيلية) مسألة حاسمة لقد كان طنوح ناصر يستهدف تصفية الدولة اليهودية ومحو اسمها من خريطة الشرق الاوسط ، كوسيلة لتحقيق الوحدة العربية في ظل سيطرته وإذا ما استطاعت اسرائيل الحصول على القنبلة فانه سيكون في وسعها القضاء على ذلك . ومن ثم ، وحتى يتسنى شل فعالية هذا التهديد بالنسبة لاهدافه (ناصر) حاول ناصر اتخاذ اجراءات مضادة معينة .

ففي بداية عام ١٩٦٦ ، واثر تسرب انباء الجهود الاسرائيلية الخاصة بانشاء المفاعل النووي ، دعا ناصر اللجنة العربية الاستشارية للشئون العسكرية للانقاد . وكانت تتألف من رؤساء أركان الجيوش العربية . وكان هدفها تزويد ناصر بمشروع شن غارة وقائية على المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا . وقد اعترف ناصر نفسه بان الاجتماع في ذاك الوقت كان يرجع الى انه يشعر بقلق بشأن انتاج اسلحة نووية اسرائيلية .

بيد أن هذا الاجتماع لم يكن يكفي بالنسبة للرئيس المصري الطموح فقد كان يدرك ان « الحرب العربية الباردة سوف تستغرق العالم العربي المنقسم سنوات عديدة أخرى قبل ان يكون مستعدا لان يتوحد لخوض حرب ضد اسرائيل . وشعر ناصر بان عليه ان يعمل على الفور لايجاد تهديد مضاد يمكنه - تبعا لفلسفته - ان يشل فعالية التهديد النووي الاسرائيلي الجديد .

وفي نهاية عام ١٩٥٩ بدأت بالفعل جهود مصرية لبناء طائرات أسرع من الصوت وصواريخ أرض - أرض . فقد جرى تعبئة مئات من العلماء الألمان ، معظمهم من قدامى النازيين ، للعمل في مصر في ثلاثة مشروعات سرية للغاية . اولها كان يدعى المشروع ٣٦ وفي هذا المشروع كان « ويل ميسير شميدت » الأب الشهير لطائرة الحرب العالمية طراز ام . اى . ١٠٩ - مشغولا في بناء طراز جديد من الطائرات للدكتاتور المصري ، تسمى الطائرة طراز اتش - ايه - ٣٠٠ أما في المشروع الثاني الذي كان يطلق عليه ١٣٥ ، فكان « فرديناند براندنر » يرأس مجموعة من المهندسين والفنيين الألمان والمصريين الذين كانوا يحاولون تطوير محرك طائرة نفثة للمقاتلة التي تضمنها المجموعة الأولى . أما المشروع الأكثر سرية فكان يسمى ٣٣٣ أو (الثلاث ثلاثات) كما

يطلق باللغة العربية . ففي هذا المصنع كان يجرى بناء صواريخ ارض ارض متوسطة المدى . وكان من المفترض ان يتراوح مداها ما بين ٢٨٠ الى ٥٨٠ كيلو مترا ، او ان يمكنها ، كما قال ناصر في احدى خطبه ، ان تصيب أي هدف في جنوب بيروت .

ويبدو انه عندما اكتشف ناصر نشاطات اسرائيل في ديمونا ، قرر ان يجرى تغييرات قليلة في خطته فقد كان قبل ذلك يحتزم ان يزود رؤوس صواريخه بشحنات متفجرة تقليدية ، ثم قرر ان يشرع في تنفيذ مشروعات جديدة من شأنها ان تزود برؤوس غير تقليدية وكان المشروع الاول يسمى ايزيس ، اما الثاني فكان يسمى كليوباتره .

وكان من المفترض ان يزود مشروع ايزيس رؤوس الصواريخ بمواد خطيرة جديدة هي كوبالت ٦٠ وهي وحدة نظائر مشعة يمكنها ان تنشر اشعاعا مهلكا فوق مساحات شاسعة من اسرائيل . وكانت البدائل الاخرى مثل الغاز والمواد الكيماوية او البيولوجية يجرى بحثها باعتبارها مواد ملائمة لتحقيق هذا الهدف .

اما المشروع الثاني فكان يهدف الى انتاج رؤوس نووية باعتبارها تهديدا مضادا للقنبلة الذرية الاسرائيلية المفترضة . ولما كانت مصر لا تملك في ذلك الوقت أية مفاعلات نووية او انه لا يوجد لديها على الاقل مفاعلات في قدرتها توفير المواد اللازمة للأسلحة . فقد اعترفت مصر شراء يورانيوم في درجة منخفضة من السوق العالمي الحر ثم تخصينه باستخدام اساليب فنية خاصة جرى تطويرها في المانيا الغربية وهولندا .

بيد انه لم تتجج الجهود المصرية المستقلة ، ولا جهود ناصر في توحيد العالم العربي . وعلى الرغم من ان الحكام العرب كانوا يشعرون بالقلق من جراء القنبلة الاسرائيلية ، الا انهم لم يكونوا مستعدين لوضع جيوشهم تحت القيادة المصرية . فقد كانوا يعرفون الرئيس الطموح ، وكانوا واثقين من ان اول شيء سوف يفعله هو الاطاحة بنظامهم ، ثم يتجه بعد ذلك الى القسدي للاسرائيليين .

وكانت اسرائيل ، من جانبها ، قد بدأت عملية سرية ضد العلماء الامم الذين يعملون من اجل ناصر . ففي نهاية عام ١٩٦٢ بدأت الرسائل النافذة تنتج في ايدي كبار مهندسي المشروع ٣٣٣ . وقد اخفى الدكتور كروج ، وهو واحد من المنظمين الاساسيين لمصنع محركات الطائرات النفثة ، ولم يعثر له على أثر حتى اليوم . ومن ثم ، عم الخوف كل الذين يشتركون في المشاريع المصرية السرية من ان ينقوا حثفهم . وكان جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) ذو الخبرة الطويلة ، في اوج نشاطه

مرة أخرى ، مع اقتران ذلك بالجهود السرية من جانب رئيس الوزراء الاسرائيلي - بن جوريون - لاقتناع المستشار الالماني الفريدمان اضطررنا بضرورة كسب الطماء الالماني من العمل من اجل مشروعنا ناصر المملكة .

وقد اثمرت عملية المخابرات الى جانب الجهود الدبلوماسية الاسرائيلية في المانيا الغربية . وكان المصريون قد انشأوا في منتصف الستينيات عددا من نماذج صواريخ طراز « اس . سي » مثل (القاهر) و (الظافر) و (الناصر) . ورغم ذلك ثبت انها غير موثوق من عمليات اطلاقها وانها غير دقيقة للغاية بالنسبة لتصويبها . ولم يصل المصريون منذ ذلك الحين الى مرحلة وضع الرؤوس في الصواريخ نفسها . . فقد اثبتت خطة ناصر الطموحة على انها خطة غير ناجحة بعد سنوات من العمل الشاق والاستثمارات الباهظة جدا .

غير ان هذا الفشل لم يمنع ناصر من محاولة وقف المشروع النووي الاسرائيلي . ففي منتصف الستينيات ، وبينما كانت مناقشة سرية تجري في اسرائيل حول الاستثمارات الضخمة اللازمة لتمويل المشروع السري ، حاول ناصر تنفيذ البديل الثالث . فقد ذكر محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة « الاهرام » والصديق المقرب من الرئيس المصري ، في مذكراته ، كيف حاول ناصر الحصول من بعض كبار زعماء العالم ومن بينهم ماوتسي تونج وليونيد بريجنيف على اسلحة نووية جاهزة . غير ان جهوده هذه باءت بالفشل كذلك . ومن ثم أصبح ناصر أكثر شعورا بالاحباط من ذي قبل .

اما البديل الاخير الذي كان لديه فكان أكثر نجاحا . فقد طلب من بريجنيف وغيره من زعماء الكرمليين اعطاء مصر ضمانات نووية اذا حصلت اسرائيل على قنبلتها . وذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » في ١٤ فبراير ١٩٦٦ في تقرير لها من القاهرة ان (اندريه جريشكو) نائب وزير الدفاع السوفيتي قد اعطى مصر ضمانات نووية معينة ، ولكن لم يكن في وسع احد آنذاك ان يعرف نوع هذه الضمانات .

والواقع انه لم يعرف بعد ، بوضوح السبب وراء تحريك ناصر قوائمه في صحراء سيناء في مايو ١٩٦٧ هل حركها كخطوة نحو شن غارة وقائية ضد المنشآت النووية الاسرائيلية او حركها لأسباب أخرى ؟ بيد أنه لا يوجد أي منطلق على الإطلاق في أعماله هذه ، ما لم يكن هذا هدفه الاساسي . ومن المعروف انه قبل يوم أو يومين فحسب من بدء الحرب ، كان ناصر قد بدأ يبتز اسرائيل ويطالب بالجزء الجنوبي من النقب الذي يصل اسرائيل بالبحر الأحمر . ومن المرجح أن هدفه كان ابتزاز اسرائيل في الميدان النووي كذلك ، ودون أن تدخل هذا الامر في الحساب ، لا يستطيع أحد أن يشرح على نحو منطقي ، سلوك ناصر ، عشية حرب الايام الستة .

وسيكون من الخطأ اعتبار ناصر انه الحكيم العربي الوحيد الذي شعر بالقلق تجاه التهديد العنوي الاسرائيلي . وذلك ان كافة الحكام السياسيين العرب تناولت خطتهم وبياناتهم مرات ومرات هذا الموضوع . بل ان منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت آنذاك لا تزال منظمة صغيرة تعتمد على حسن النية المصرية والسورية والاردنية كانت قلقة ازاء هذا التهديد.

في مايو ١٩٦٦ ، التي احمد الشقري - زعيم منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك خطبة في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثالث للجنة الوطنية الفلسطينية . وقد تناول فيها ، ضمن موضوعات اخرى ، الجهود التي تبذلها اسرائيل في ديمونا . وقال الزعيم الفلسطيني انه ينبغي على العرب ان يستعدوا لشن حرب وقائية ضد اسرائيل قبل ان تصبح الدولة اليهودية دولة نووية . وكان ضمن البيان الختامي لهذا المؤتمر فقرة تحظر الدول العربية من القنبلة الذرية الاسرائيلية . وكانت هذه الفقرة تشير الى ان هدف اسرائيل هو خلق الانقسام بين العالم العربي وان تغزو المزيد من الاراضي المصرية .

ومن الممكن للمرء ان يفهم (السيكولوجية) التي حدثت بناصر الى انتهاج مقاومة عنيفة خاصة تجاه المشروع النووي الاسرائيلي . ذلك ان معظم سكان بلاده يتركزون في وادي النيل ودلتا النيل . ومن ثم تكون اي اصابة لياه النيل بنشاط اشعاعي من شأنها ان تضع حدا للتاريخ الطويل لمصر . كما ان انفجار قنبلة ذرية اسرائيلية فوق سد اسوان من شأنه ان يسبب اتسباب سائل محمر يصل الى كافة قرى منطقة الدلتا وكذا الى القاهرة نفسها كما يمكن للمرء ان يفهم قلق الفلسطينيين . ذلك ان حصول اسرائيل على قنبلة ذرية سيجعلها دولة امر واقع وسيحول دون اخراجها من الشرق الاوسط . غير ان بن جوريون لم يكن يعترف بتوسيع الاراضي الاسرائيلية . وان جهود اسرائيل لم تكن بقصد تغيير الوضع الراهن ، ولنا من اجل الحفاظ عليه ، ولذلك كان الفلسطينيون يشعرون بالقلق اساسا من جراء ذلك .

ولم يكن لدى القوات العربية التقليدية ، في منتصف الستينيات ، اية قدرة على مهاجمة المنشآت الاسرائيلية في ديمونا . فمن المرجح ان هزيمتهم في يونيو ١٩٦٧ قد قتلت ناصر وحسين وباتى الزعماء العرب بعض الدروس القاسية . وكان اهم هذه الدروس ان اية محاولة للفوز في الحرب ضد اسرائيل باستخدام الوسائل التقليدية من المحتم ان تبوء بالفشل . وكان البديل الآخر هو شن حرب استنزاف طويلة في مناطق الحدود الجديدة على قناة السويس ومرتفعات الجولان ووادي الاردن . وفيما يتعلق بالحدود المصرية والسورية فقد قامت القوات النظامية اساسا بهذه الحرب . اما في

وادی الاردن ، وكذا في الاراضی العربية المحتلة ، فإن منظمة التحرير الفلسطينية كانت العدو الاساسی لجيش الدفاع الاسرائیلی . غیر ان العرب لم ینجحوا سواء بالحرب التقليدية أو بحرب الاستنزاف لم ینجحوا في تحقيق هدفهم . لقد منی جيش الدفاع الاسرائیلی بخسائر كثيرة في الایواح ، بيد ان اسرائيل لم تتخل عن الاراضی الجديدة التي استولت عليها في حرب ١٩٦٧

وقد أدت نهاية حرب الاستنزاف وموت ناصر فی صیف ١٩٧٠ الى خلق وضع جدید في النزاع العربي الاسرائیلی . فلقد كان للسادات خليفة ناصر — وجهة نظر مختلفة ازاء العلاقات في الشرق الاوسط . فهو لم یكن يريد استئناف حرب الاستنزاف على ضفاف قناة السويس على النحو الذي كانت عليه بین ١٩٦٩ و أغسطس ١٩٧٠ . فلقد كان یفضل ، بدلا من ذلك ، شن هجوم شامل مفاجيء قد یؤدي الى تحقيق انجازات عسكرية محدودة ، ویسفر عن مكاسب سياسية قصوى .

ومنذ تولی السادات السلطة كانت تجري داخل مصر مناقشة جادة حول : كيفية وامكان التصدی للتهديد النووي الاسرائیلی . وكانت الجماعة الموالية للسوفييت — ومنها على صبری وعزیز وصفي وحسین هیکل وآخرون من الشخصیات العسكرية والشخصیات ذات النفوذ — تطالب بانتهاج سياسة نووية مصرية مستقلة نشیطة ، أو بالحصول على الأقل على ضمانات نووية سوفیة أكيدة .

وكانت وجهة نظر انور السادات مختلفة عن ذلك . فقد كان يرى انه لا توجد سوى فرصة ضئيلة لتحقيق مظلة نووية مستقلة لمصر ، وانه لن یكون قادرا على الحصول على أجهزة نووية سوفیة توضع على التراب العربي تحت اشراف سوفییتی مصري مشترك . وعلى العکس من ذلك ، كان یقرأ قراءة جيدة الاشارات التي كانت تأتي من اسرائيل منذ يوم تولیه السلطة فقد كان ديان وغيره في اسرائيل یلمحون بان أية محاولة عربية للهجوم على اسرائيل فیما وراء خطوط ١٩٦٧ داخل قلب البلاد سوف تواجه بهجوم اسرائيل مضاد . ومن ثم ، خلص الرئيس الى أن التهديد النووي الاسرائیلی لا یطبق على أية محاولة عربية لغزو جزء على الأقل من الاراضی التي یحتلها الاسرائیلیون منذ ١٩٦٧ .

ووضع السادات هذا في ذهنه ، وخطط لشن هجوم مفاجيء على اسرائيل عام ١٩٧٣ . ولا یزال غیر واضح بعد أن كان السادات قد نسق في الفترة السابقة في التخطيط للهجوم — نسق وجود مظلة نووية سوفیة كرادع ، من وجهة نظره ، لرد فعل اسرائیلی نووی محتمل . وفي ضوء ما یمكننا من الحكم على السلوك السوفیتی خلال الحرب وخاصة قرب نهايتها

يكون من المنطقي ان نفترض انه كان يوجد مثل هذا التوسيع • ففى ٢٢ اكتوبر وصلت سفينة شحن سوفيتية تصل رؤوسا نووية الى الاسكندرية . ومن المرجح ان هذا كان رد فعل سريع ازاء التهديد الاسرائيلى فى ٩ اكتوبر الذى اكتشفته الاقمار الصناعية السوفيتية التى ترقب من الفضاء كل تحرك داخل اسرائيل لير ان ثمة تفسير آخر لهذا وهو انه قد يكون اشاعة روجنها عن عهد الولايات المتحدة للضغط على اسرائيل لانهاء الحرب .

والواقع ان حرب اكتوبر من وجهة نظر السادات ، يضمن رؤيتها من خلال القول المأثور لكوليفيتس "ان الحرب استمرار للسياسة بوصفائل اخرى، ذلك انه بعد ان ادرك الرئيس المصرى ان كافة الجهود الدبلوماسية ستؤدى الى طريق مسدود قرر محاولة اللجوء لحيار عسكري محدود ، مع افتراض ذلك بفرض حظر بترولى ، الامر الذى يؤدى الى انسحاب اسرائيل ذى مغزى من اراض عربية . وطالما ان مصر لن تهدد ، خلاله الحرب ذاتها ، وجود اسرائيل عسى الرغم من ان ديان كان يرى فى هذه الحرب تهديدا لوجود اسرائيل - كان السادات لا يتوقع ان تتعرض مصر او القاهرة لاي خطر نووى .

ومنذ حرب ١٩٧٣ ومصر تمد خططا طويلة المدى لتشغيل محطات توليد الكهرباء بالطاقة النووية والواقع انه لا يوجد لدى مصر الآن أية منشآت نووية لانتاج قنبلة • ان لديها فحسب مفاعل ابحاث قوته ٢ ميجاوات فى انشاص • وكان السوفيت هم الذين امدوا مصر بهذا المفاعل من طراز (دبلو - دبلو - آر - سي) فى نهاية الخمسينيات ، غير أنهم لم يشغلوا هذا المشروع • ومن ثم يتدرب فيه العلماء المصريون فى مجال الطبيعة النووية . وفى جميع انحاء العالم العربى لم تبلغ أية دولة المستويات المصرية فيما يتعلق بالعاملين المؤهلين والخبرة ورغم ذلك ، ومنذ حرب اكتوبر ، فقد انقسمت مصر فى برنامج طموح لبناء محطات طاقة نووية أكثر من عشرين محطة امريكية والمانية وفرنسية من المقرر أن تصل الى مصر • وقد أعلنت مصر مرارا وتكرارا انها ضد ادخال الأسلحة النووية الى الشرق الأوسط . ويتسق برنامجها الخاص بالذرة من أجل السلام مع سياستها هذه ، وكذا مع سياسة السادات تجاه اسرائيل منذ ١٩٧٣ .

ولقد كانت زيارة الرئيس المصرى الى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ واحدة من اكبر المفاجآت فى تاريخ الدبلوماسية العالمية الحديثة • وبها لاشك فيه ان أحد اكبر العوامل التى حركت السادات لاختيار هذا الاتجاه فى السياسة هو التهديد النووى الاسرائيلى (ففى خلال المفاوضات الطويلة بين اسرائيل ومصر ، كانت المسألة النووية مطروحة على نحو بارز - على الرغم من ان الجانبين ، وفيهم الامريكيون ، كانا يحجمان عن اعلان ذلك لأجهزة الاعلام

إعالية) والواقع أن مصر من الممكن أن تتعرض للاصابة الى حد كبير ، ومن ثم لا يريد الرئيس التعرض لمزيد من المخاطر . ولذلك أيضا ، تخل السادات عن كل آماله بشأن تدمير الدولة اليهودية . وقد ثبت بالنسبة للسادات أن انخراطه في النزاع دون أن يسترد صحراء سيناء التي احتلت عام ١٩٦٧ ، وأن استمراره في اتفاق اموال طائلة على الجيش الذي من المفترض أن يواجه إسرائيل ، ليست سياسة طيبة . ولذا ، كان عليه أن يختار خطأ جديدا ، والا فإن اندلاع أزمة في سياق هذه العلاقات الدقيقة السائدة بين بلاده وإسرائيل قد تؤدي الى ظهور كارثة التهديد النووي .

وقد استمرت في مصر مناقشة مريرة حول مزايها ومساوئها انتهاج مصر خيارا نوويا مستقلا . وكان الذين يؤيدون هذا التيار ، وعلى رأسهم إسماعيل جسي وزير الخارجية يصرون على أنه يتعين على مصر ألا توقع معاهدة حظر الانتشار النووي ، وأنه ينبغي عليها تحقيق وضع نووى مستقل اذا ما كانت ترغب في الإبقاء على دورها كدولة قائدة في العالم العربي . ويبدو أن فهمي ومؤيديه كانوا يشعرون بالقلق ازاء أن يصبح الشرق الاوسط منطقة نووية خلال الثمانينات . ذلك أن إسرائيل ودولة عربية على الأقل (من المرجح أنها العراق) سيكون لديهما القنبلة . ومن ثم ، وبدون أن تحقق مصر وضعا نوويا ، يترجح أن تفقد مصر الكثير من قدرتها على التأثير في سياسات الشرق الاوسط . واذا وقعت مصر على معاهدة حظر الانتشار النووي ، فإنها ستجهد الوضع وسيتمكن للاسرائيليين في المستقبل ابتزاز المصريين ، وهو وضع غير مقبول بالنسبة لفهمي وجماعته .

والواقع أن قدرة إسرائيل على ابتزاز مصر قد أثارت متاعب للسادات كذلك خلال مفاوضات السلام . فقد نشرت « غلورا لوي » الصحفية في « نيويورك تايمز » في ٢ ديسمبر ١٩٧٧ ، أي بعد وقت قصير من زيارة السادات لإسرائيل وقبل ثلاثة أيام من اجتماع السادات مع بيجين في الاسماعيلية ، أن مصر ستطلب من إسرائيل التخلي عن اسلحتها النووية كجزء من اتفاقية السلام النهائية . غير أن إسرائيل وجدت أنه من المتعذر عليها الموافقة على هذا الطلب ، بسبب الجهود التي تبذلها العراق في هذا المجال . وفي ٨ نوفمبر ١٩٧٨ ، نشرت نفس الصحيفة (نيويورك تايمز) أن إسرائيل رفضت للأسباب سالفة الذكر عرضين مصريين للتخلي عن سباق التسلح النووي في الشرق الاوسط ، والاقتصار على سباق التسلح التقليدي .

ورفضت إسرائيل ذلك لأنه كان لا يزال عليها أن تتعامل مع كابوس يسمى « الجبهة الشرقية » يضم سوريا والأردن والعراق وتؤديها السلوك العربية الأخرى .

ومن ثم ، يمكن القول بأنه يوجد الآن مدرستان أساسيتين للتفكير في مصر . أحدهما مدرسة اسماعيل فهمي ، إلى جانب هيكل وعلى صبرى وآخرين الذي يصر على أن حصول مصر على قنبلة ذرية سيكون وحده الرد الصحيح على الخيار النووي - الاسرائيلي - أما المدرسة الأخرى ، فهي مدرسة المشاعدين المقربين للسادات الذين يرون أنه حتى إذا حصلت مصر على القنبلة - مع اتفاق الاموال الطائلة التي تتطلبها - فإنها لن تسفر عن حل مشر . ان مصر يمكن أن تتعرض للاصابة النووية ، ولذا ليس لها الا خيار أن تستمر في عملية السلام مع اسرائيل . وكان المحرك الاساسي للسفادات طوال فترة حكمه هو تجنب ان يخرج المارد النووي من القمم . غير أنه بالنسبة لبعض الحكام العرب الآخرين لم يكن الامر كذلك .

٤ - السعى من أجل القنبلة الاسلامية :

ليبيا وسوريا والسعودية وباكستان

يعد الرئيس الليبي معمر القذافي واحدا من أبرز الحكام العرب منذ السبعينيات . فمنذ توليه السلطة في عام ١٩٦٩ في انقلاب عسكري ناجح ضد الملك ادريس ، حقق العقيد الليبي الشاب سمعة هي انه أكثر الزعماء المتطرفين وغير المسئولين في العالم .

ويصير القذافي نفسه بمثابة الخليفة الاسلامي للعقيد ناصر . غير ان العامل الفكري والثقافي للقذافي بسيط للغاية وقد تم وصفه في كتابه الاخضر هو تقليد للكتاب الاحمر لماو تسي تونج - تبعا لما يرى القذافي ، فان العالم قد اختبر نظريتين اساسيتين فيما يتعلق بنظم الدولة منذ القرن التاسع عشر غير انهما قد فشلتا . وهاتان النظريتان هما . الشيوعية والراسمالية بكل روافدهما المختلفة . ولذلك يقترح القذافي نظرية جديدة هي : نهج الاسلام والقرآن ، ويجد المرء فيها افضل ما في العالمين الشيوعي والراسمالي . فهي تجمع بين المساواة في الحقوق ، والبساطة ، والتواضع ، والاخلاق ، والواقع ان منهاج القذافي يتسم بالتشدد والعنوانية . فهو يؤمن بانه يتمين الاخذ بنظرية القرآن في جميع انحاء العالم ، ليس عن طريق الاقتناع ، وانما عن طريق القوة . وتبرر اهدافه وسائله تماما . وبهذا المعنى ، يعد استخدام القوة والقهر وحتى الارهاب الدولي ، وسائل مشروعة .

وبالتسبة للقارئ الغربي الذكي ، فان مثل هذه الاساليب من شأنها فيما يبدو تقويض النظام الدولي ، او اغتيال الاعداء السياسيين في لندن وباريس ، او مساندة الاعمال الارهابية مثل قتل ١١ رياضيا اسرائيليا في دورة الالعاب الاولمبية في ميونيخ عام ١٩٧٢ او التعاون مع ارابيين دوليين مثل -كارلوس الشهير . ويبدو كل هذا كأمور لا يمكن فهمها . ولكنها بالنسبة للقذافي تعد أعمالا مشروعة في اطار الجهود التي يبذلها لاقامة منهاج اسلامي خالص في جميع أرجاء العالم .

ولأن القذافي لا تصاوره أية شكوك ، ولأن لدى ليبيا كميات طائلة من البترول أصبح القذافي واحدا من أكثر الشخصيات خطرا في العالم العربي .

وتبدو محاولاته الأولى للحصول على أسلحة نووية مشيرة للشكفة في الوقت الحاضر . فقد ذهب الزعيم الليبي الشاب الى ناصر في بداية عام ١٩٧٠ طالبا منه بدء شن حرب واسعة النطاق ضد اسرائيل . وغنما أوضح

له ناصر ، ثم السادات بعد ذلك ، أن مثل هذا الاجراء المستحيل بسبب التهديد النووي الاسرائيلي المستتر ، قرر القذافي أن واجبه المقدس سيكون شل هذه الميزة التي تتمتع بها اسرائيل عن طريق انتاج قنبلة ذرية عربية . ولذلك طلب ، من خلال وسطاء ، من شواين لاى رئيس وزراء الصين الحمراء أن يبيعه معدات نووية . غير أن رجل الدولة الصيني وجد أنه من الصعب جعل الزعيم المتحصب غير المحنك يفهم أن القنابل النووية لا تباع فى السوق الحر العالمى . وكان على العقيد الشاب أن يعود من الصين صفر اليدين .

ولما فشل القذافي فى الحصول على قنبلة جاهزة من على الرف ، شرع فى انتهاز طريق طويل ولكنه يبشر بالآمل . فقد تفاوض طوال سنوات مع الاتحاد السوفيتى لشراء مخاض نووى . وعلى الرغم من أن السوفيت قد زودوا القذافي بأفضل أسلحتهم الثقيلة ، إلا أنه كان من الطبيعى أن تساورهم الشكوك من بيع المخاض له . غير أنه فى عام ١٩٧٣ ، تم التوصل الى اتفاق باع الاتحاد السوفيتى بمقتضاء للقذافي مفاعل أبحاث قوته ١٠ — ميجاوات كما وافق السوفيت على تزويد القذافي بمحطة نووية قوتها ٤٤٠ — ميجاوات .

وإذا ما اخفنا فى الاعتبار انخفاض كفاءة الايدى العاملة فى ليبيا ، وانتشارها الى العلماء القويين ، الى جانب مالى ليبيا من فائض من البترول ، فانه يتعين على المرء أن يخلص الى أن القذافي حاول الحصول على خيار نووى عن طريق استخدام المساعدة السوفيتية . والواقع أن الاتحاد السوفيتى ، حتى اليوم ، يراعى بأمانة قواعد معاهدة حظر انتشار النووى ، التي تسمى الى الحد من انتشار الأسلحة النووية فى أرجاء العالم . ومن ثم يكون من العسير الافتراض أنه مكن لليبيا من استخدام مفاعله لتحقيق هذا الغرض .

غير أن القذافي اختار بديلا ثالثا وربما كان أكثر وثوقا منه واعتمادا عليه . إذ توجد دلائل كثيرة فى الوقت الحاضر تشير الى أن القذافي قدم للجهود الباكستانية فى المجال النووى . مساعدات تربو على ألف مليون دولار . وعلى الرغم من أن الجدل لا يزال مستمرا حول القدر المحدد لهذه المساعدات المالية ، يتضح أنه يوجد تعاون بين البلدين فى هذا المضمار . والواقع أن التكنولوجيا الباكستانية قد بلغت ، فيما يبدو ، أعلى مستوى فى العالم الاسلامى ، ومن المحقق أن نفترض أن باكستان ستكون أول دولة تحصل على « القنبلة الاسلامية » . ويريد القذافي ، فى ضوء الفصل الذى مضى به فى الماضى ، أن يكون واثقا من أنه لن يفقد استثماره فى باكستان .

ومن أجل تحقيق هذا ، اشترت ليبيا من النيجر اكبر قدر ممكن من اليورانيوم امكها ان تشتريه - والتيجر هي اول مورد لليورانيوم في العالم هنا يرجح - وقد ذهب جزء منه الى باكستان . وحاولت باكستان شراء اليورانيوم مباشرة من النيجر لكن حاكم باكستان يفضل ان يبيع النيجر اليورانيوم للغذاء . ومن طريق تراكم آلاف الاطنان من خام اليورانيوم في سيطر الغذاء - من قريب او بعيد - على الجهد النووي الباكستاني ، ولعل لم يبدو انه لديه فرصا طيبة للحصول على القنبلة اذا صنعتها باكستان .

واذا ما حدث هذا ، فان امن اسرائيل مستهدده المخاطر . كما ان وجود قنبلة نووية في ايدي مثل هذا الزعيم غير المسئول سيشكل مخاطرة محتملة بالنسبة للدول المجاورة لليبيا ، وفيها مصر ، والواقع ان هذا يعد تهديدا للعالم بأسره .

وقد ابدت دول عربية أخرى في الشرق الاوسط ، الى جانب العراق ، اهتماما بالميدان النووي . غير انه لا توجد اية دلائل واضحة حتى الآن ، على انها تعترف على نحو جاد للحصول على قنبلة .

وتعد سوريا مثالا (كلاسيكيا) على ذلك . فهي من ناحية تبدي اهتماما بتحقيق خيار نووي ، بيد انها من ناحية أخرى لا تفعل تقريبا اي شيء لتحقيق ذلك . ففي حديث صحفي ادلى به الرئيس السوري الاسد في ٢٩ ابريل ١٩٧٨ لصحيفة « النهار العربي والدولي » ، قال « ان لدى سوريا خطة مضادة ذات تفاصيل كاملة ، وذلك في حالة حصول اسرائيل على القنبلة » . ويمكن للمرء ان يفهم مما قاله الزعماء الآخرون لحزب البعث السوري ان سوريا لا تتفاوض بشأن عقد معاهدة سلام مع اسرائيل طالما تتحتم اسرائيل بتفوق نووي . ذلك ان السوريين يشعرون بالقلق فيما يبدو ، مثل فهمي وآخرين في مصر ، من استخدام اسرائيل لخيارها النووي كورقة على مائدة ايفاضات . ومن ثم كان لدى السوريين بديلان واضحا : النتائج قنبلة نووية سورية ، او الاستمرار في الوضع الراهن ورفض المفاوضات .

وفي ابريل ١٩٧٨ ، اتخذ الرئيس الاسد اول خيار نووي بينما كان يزور الهند ، وذلك عندما حاول التوصل الى اتفاق بشأن التعاون النووي بين الدولتين . وكانت الهند قد اجرت اختبارا نوويا ناجحا عام ١٩٧٤ ، غير انها اعلنت انها لا تعتزم تحقيق وضع نووي مستقل ، كما انه لا تروق لها فكرة التعاون العسكري مع سوريا في المجال النووي ، وقد سررت مصادر المخابرات الفرنسية ان هذا هو الفشل الثاني الذي يواجهه الاسد . فقد ردت عليه فرنسا قبل ذلك بشهور قلائل ردا سلبيا في هذا الصدد .

غير ان فرنسا جددت بذل جهودها في هذا الشأن في اعتاب الفسار
على المفاعل العراقي في يونيو ١٩٨١ . على نهلية يونيو ١٩٨١ ، زار
عمر يوسف وزير الكهرباء السوري بلجيكا ، وتفاوض لابرام عقد مع عدد
من الشركات البلجيكية والسويسرية لبناء محطات لتوليد الكهرباء بالطاقة
النووية . ويبدو ان هذه الصفقة تشمل ٦ مفاعلات تقدر قوتها الكلية بـ ٦٠٠
ميغاطوات . وفي ضوء الفلرة الاسرائيلية ، اكّد الوزير السوري ان الصفقة
لا تنطوي على أية جوانب عسكرية . ولكن اذا وضفا في اعتبارنا الجهود
التي تبذلها سوريا لتحقيق توازن في قدرتها النووية مع اسرائيل ، فلا يوجد
اي شك في ان هذه الصفقة اذا ما تمت سوف تنطوي على جوانب
عسكرية هامة .

غير انه بالنسبة للوقت الحاضر ، حيث لا يوجد لدى سوريا اي خيار
نووي ، يحاول الاسد الحفاظ على الوضع الراهن بالنسبة للعلاقات بين
سوريا واسرائيل . والواقع انه بدون وجود هذا العنصر في الترسانة
السورية ، او على الاقل بدون وجود ضمانات سوفييتية اكيدة ضد اي تهديد
نووي اسرائيلي ، بدون ذلك كله يحق لنا ان نفترض ان النزاع السوري
الاسرائيلي سوف يستمر .

وتجدي السعودية كذلك اهتمامها بالمفاعلات النووية . ولما كان من
الواضح ان هذه المملكة البترولية لا تعاني من اية مشاكل تتعلق بتزويد
نفسها بالطاقة ، فمن الجبل ان كبار زعمائها يهتمون أساسا بالجوانب
العسكرية للمشروع النووي .

في ٢٤ ابريل ١٩٧٩ ، نشرت صحيفة كريستيان ساينس مونيتور تقول :
انه نتيجة للتقدم الذي تحرزه العراق في مجال مشروعها النووي، يبدى السعوديون
اهتماما بمشروع مماثل . وفي مايو ١٩٧٣ قام الملك خالد بزيارة فرنسا ووقع
على عقد صفقة اسلحة تقدر قيمتها بثلاثة مليارات دولار . وقد اتضح في
اعتقاب الزيرة ، ان الملك كان مهتما للغاية بتزويد فرنسا بالبترول السعودي
بقابل حصول السعودية على مفاعلات فرنسية .

وفي يوليو ١٩٧٩ اميط اللثام عن انه في وقت مبكر منذ ١٩٧٥ وقعت
فرنسا والسعودية على صفقة سرية تقضي بتزويد السعودية بمفاعل
فرنسي . ونشرت مجلة « الحوادث » اللبنانية الموالية للسعودية ، والمعروفة
بمصادرها الجديفة في السعودية ، في ٢٠ يوليو ١٩٧٩ ان السعوديين قد
اشترؤا شركة (كريسو لويار) الفرنسية ، وهي القسم العسكري من
شركة (ايمبان شيندر) التي تصنع المفاعلات النووية .

وإذا ما كانت هذه التقارير تستند على حقائق دقيقة فهي تعنى ان السعوديين ينتهجون اختيارا نوويا . واذا ما كان الامر كذلك ، فان السبب الرئيسي لهذا التغير لابد ان يكون هو العراقيين . ذلك ان السعودية تعد دولة من الدول التي تحبذ استمرار الأوضاع الراهنة في سياستها الداخلية والخارجية ، وتحاول جعل الشرق الاوسط منطقة منزوعة السلاح النووي . ويحرك حكام السعودية ان انتاج قنبلة ذرية يعنى ان يبلغوا مستوى عاليا من الايدى العاملة القادرة على انتاج القنبلة . غير ان مثل هذه المجموعة من الشبان المثقفين العلميين من الطبيعي ان يشكلوا تهديدا على الامرة بالاكسة . وفى ضوء هذا المعنى يفضل السعوديون دائما الوضع الراهن في الشرق الاوسط ، دون ان يندلع فيه سباق جديد لتسلح النووي . وفى وضع المرء ان يفترض لذلك ان السعودية قد استفادت من الغارة الاسرائيلية على المفاعل العراقي اكثر من اى دولة اخرى في الشرق الاوسط .

ولكن من المرجح ان اول دولة اسلامية ستصنع القنبلة ستكون دولة غير عربية ، وانها ستكون دولة لم تتخذ اى موقف نشط في النزاع العربي الاسرائيلي، الا وهى باكستان .

فى يناير ١٩٧٢ ، عقد مؤتمر سرى في (مولتان) وهى مدينة صغيرة في جنوب شرق صحراء باكستان . ذلك ان (ذو الفقار على بوتو) رئيس وزراء باكستان — آنذاك — الذى صحبته نتائج الحرب الاخيرة بين بلاده وبين الهند ، قد جمع كل كبار العلماء النوويين الباكستانيين في هذا الاجتماع ، وكانوا مجموعة تتألف من خمسين عالما وقد دارت مناقشتهم معه حول القنبلة الذرية . وقد طرح عليهم هذا السؤال « هل يمكنكم تزويد بالقنبلة ؟ » وكان ردهم ايجابيا . وقد ارتاح بوتو لهذا الرد ووعد بتزويد ملكانه بكل ما يحتاجون اليه .

وفي فبراير ١٩٧٤ ، عقد في باكستان اول مؤتمر للدول الاسلامية . وكان اهتمام معظم العالم يتركز على الحظر البترولى وغيره من مثل هذه الموضوعات ولكن وراء (الكواليس) كان بوتو يتفاوض على صفقة مع المعيد القذافي الذى وافق بمقتضى هذا الاتفاق السرى جدا على دعم جزء من الجهود الباكستانية للحصول على القنبلة الذرية . ووافقت باكستان على تزويد الليبيين بالاجهزة والخبرة حتى يتسنى لهم صنع قنبلة في باكستان وشرح المعيد القذافي انه يفضل ان تتركز كافة جهود ليبيا النووية في باكستان ، لان اسرائيل لن تدع دولة عربية في الشرق الاوسط تنتج قنبلة نووية على ارضها .

وحتى ١٩٧٢ ، نجرت الهند قنبلة نووية من اجل الاغراض السلمية .
 وكان الهنود قد استخدموا نفس المفاعل الذي يستخدمه الباكستانيون وهو
 كدى « طراز كندو » ، وتحطكة الدولتان منذ بداية الستينيات وبعد هذا
 المفاعل مريدا في نوحة . اذ ان انتاجه الجلبى هو اليورانيوم
 وله نظلم للتحكم من بعد ، ويمكن الطباء من ادخل او تحريك كابسولات
 اليورانيوم دون مرطلة اداء المفاعل .

وقد اصبحت الولايات المتحدة قلقة جدا بشأن احتفال الحرب النووية
 بين الهند وباكستان . وقد ضغط هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية
 على فرنسا وباكستان لالغاء الصفقة التى عقدت بينهما والتي كانت فرنسا
 تزود باكستان بمقتضاها بصنيع لمعالجة البلوتونيوم الذى يمكن باكستان من
 ان تنتج خلال عام ما يكسبها من البلوتونيوم لانتاج ما بين ١٠ الى ١٥
 قنبلة في حجم القنبلة التى القيت على مدينة نجازاكى . وقد حضر كيسنجر
 رئيس وزراء باكستان من انه قد يخطر بمنصبه كرئيس للوزراء ما لم يقلص
 جهوده النووية . كما ضغط كيسنجر على جاك شراك رئيس الوزراء
 الفرنسى لالغاء الاتفاق . وتوجد دلائل على ان كلا من (بوتو) و (شراك)
 قد نقدا بمنصبيهما نتيجة لذلك الضغط . وكان المصنع الفرنسى لمعالجة
 البلوتونيوم قد بنى في باكستان عام ١٩٧٥ . غير انه بسبب الضغط الامريكى
 لصر الفرنسيون على ضرورة ان تستخدم باكستان فقط (الكاراميل) وهو
 يورانيوم منخفض الدرجة - بدلا من استخدام اليورانيوم المخصب الذى يعد
 في حد ذاته قادرا على ان يستخدم لانتاج القنبلة .

وكانت باكستان تترك جيدا الصعوبات التى تواجهها في المجال
 النووى . فقد نجح الأمريكيون تقريبا في الحيلولة بينها وبين الحصول على
 ما تحتاجه من البلوتونيوم اللازم لصناعة القنبلة . ولذلك ، قررت باكستان
 ان تختار بديلا آخر وهو ان تخصب اليورانيوم في مصانعها . فقد ارسل
 ممثلات الطلبة الباكستانيين الى فرنسا واطاليا والمانيا وهولندا حتى يتعلموا
 الاساليب الفنية الخاصة بتخصيب اليورانيوم . وقد عمل أحد هؤلاء الطلبة
 واسمه عبد الله قمر جون لمدة عامين في المركز النووى الهولندى في (المادو) ،
 الذى يخضع لرقابة بريطانيا العظمى والمانيا الغربية وهولندا . غير انه في
 عام ١٩٧٥ اختفى هذا المهندس واختفت معه خطط سرية جدا بشأن بناء
 مركز حديث لتخصيب اليورانيوم .

وصفة علمية . يعتبر البرنامج النووى الباكستانى - وهو المشروع
 ٧٠٦ - يعتبر مقتدما عن أى برامج نووية في أى دولة عربية . ويقدر الآن

ان الباكستانيين اما ان يكونوا قد وصلوا الى المرحلة الاولى من صنع القنبلة واما انهم سيجرون اختبارا لتجربة نووى قريبا جدا .

ولكن لما كانت باكستان لم تتخذ اى موقف نشط فى اى من الحروب التى مشيت فى الشرق الاوسط ، فان اسرائيل لا تشعر بالقلق من اى تهديد نووى مباشر من جانب هذه الدولة . غير ان مخاوف اسرائيل الاساسية تنبع من التعاون بين باكستان وليبيا والعراق . ذلك ان القذافي يحاول الحصول على قنبلة جاهزة الصنع من على الرف ، مقابل ملايين الدولارات التى استثمرها فى هذا البرنامج اما بالنسبة للمراقبين فان الامر مختلف .

ال يوجد لديهم مركز نووى خاص بهم - بالرغم من انهم فى حاجة الى المساعدة الفنية من باكستان - ومن انهم فى يونيو ١٩٨١ كانوا متقدمين على كافة الدول العربية فى السباق من اجل صنع القنبلة .

• - القبلة في « البديوم »

صيفة ديسان

١٩٦٣

كان ليفي اشكول هو الذى تولى رئاسة الوزراء ومنصب وزير الدفاع خلفا لبن جوريون . ولما كان اشكول قد تولى هذا المنصب بعد ان كان وزيرا للمالية ، فقد كان يعرف تماما التفاصيل المالية للشروع النووى الامرائيل . غير انه لم يكن عسكريا محترما ، وانما كان يعمل معه عن كخب بشأن المشكلة العسكرية شخصان هما : اسحق رابين - رئيس الركان الجيش الاسرائيلى - وايجال آلون وزير العمل النشط . وكان كل من رابين وآلون من الاعضاء السابقين فى البالمخ (وهى الفرقة الليلية الخاصة التابعة للهاجانا اليهودى ، اى الحركة السرية اليهودية فى فلسطين التى اسسستها الحركة العمالية عام ١٩٢١) . وكانا يؤمنان باتخاذ استراتيجية تقليدية فقط بالنسبة لاسرائيل . ومن ثم كانا ضد المبدأ النووى الذى دافع عنه بن جوريون خلال سنواته الاخيرة فى السلطة . وكانا يظنّان بتخصيص المزيد من الاموال للاتفاق على الجيش التقليدى .

وبالنسبة للجال السياسى ، وافقت اسرائيل على زيارات تفتيشية لبريكية . وقدر من المراقبة الامريكية على منشآتها النووية فى (ديمونا) و (ناهال سوريك) . ووافق الرئيس الامريكى ليندون جونسون على ان يزود اسرائيل بمقابل فلك بأسلحة امريكية من بينها القاذفات المقاتلة (طراز سكاي هوك ١ - ٤ - اى) ودبابات (طراز باتون م - ٤٨) وغيرها من نظم الاسلحة الحديثة .

ولقد كان بن جوريون ضد هذا النمط من السياسة - اى استبدال الأسلحة التلمينية بالخيار النووى المستقل لاسرائيل . ولذلك كان احد الموضوعات الانشاسية فى الحملة الانتخابية عام ١٩٥٦ اتهم بن جوريون لاشكول بالاستسلام للضغوط الامريكية حول المفاعل النووى فى ديمونا .

غير ان اشكول لم يوطد الجهود الاسرائيلية فى المجال النووى . اذ ان ما اقدم عليه فى الواقع كان هو ترك الخيار النووى مفتوحا فى المدى القصير ، ولا شئ أكثر من ذلك . وكان هذا يعنى فى الواقع انه اذا طرأت اية تغييرات حاسمة فى الشرق الاوسط ، فانه يكون فى وسع اسرائيل استخدام ما لديها من

طاقة كامنة على وجه السرعة . لقد كان اشكول هو القائل . « أن اسرائيل لن تكون أول من يدخل الاسلحة النووية في الشرق الاوسط ، ولكنها لن تكون الثانية في هذا السباق » . وقد أصبح هذا ، فيما يبدو ، السياسة النووية الرسمية لاسرائيل منذ ذلك الوقت .

وقد استمرت سياسة الغياب النووي هذه في مقابل الدعم الامريكى (في مجال الاسلحة التقليدية والمساعدات الاقتصادية) حتى نهاية الستينيات . اذ اعادت الازمة الداخلية التى نشبت قبل بداية حرب ١٩٦٧ فتح مناقشة السياسة النووية . ففى يونيو ١٩٦٧ ، دعا اشكول ديان للعمل وزيرا للدفاع ، في محاولة من جانبه للحصول على تأييد قومى . وقد انضم الحزب اليمينى ، اى كتلة جاحال برعاية مناحم بيجين للائتلاف الجديد والى حكومة الوحدة الوطنية التى تشكلت . وقد اثارت عودة ديان الى الحكومة ، كوزير للدفاع ، مسألة المبدأ النووى الاسرائيلى . وقد تعرض ديان لمواجهة من جانب آلون زعم انه يتعين على اسرائيل ان تستمر في انتهاز مبدأ الاسلحة التقليدية . وقال آلون ان قنبلة نووية اسرائيلية ستعنى اندلاع سباق تسليح نووى جديد في الشرق الاوسط . وكان يرى أن اسرائيل عرضة للاصابة بأى هجمات نووية بسبب ضآلة مساحتها وعدد سكانها ولو حدث هذا لنشأ عنه وضع فظيع . وكان هذا الامر بالاضافة الى ان الحكام العرب يمكن أن يكونوا غير عقلين وانهم لا يمكن الوثوق بهم يزيد من مخاونه بشأن المعركة النووية الفاصلة .

ولقد كان اشكول ، الذى لم يكن خبيرا في الشؤون العسكرية والاستراتيجية يفضل الا يضطر الى اتخاذ قرار حول كون اسرائيل يتعين عليها ان تصل الى المرحلة الاخيرة من القنبلة ام لا وطبقا لما ذكره بعض الباحثين ، نجد أن هذا القرار ربما اتخذه ديان ، الذى عمل كوزير للدفاع في حكومة المرأة العجوز التى كانت لا تزال تطاردها كوابيس المذابح فى روسيا القيصرية ، وهذه المرأة هى جولدا مائير .

لقد اصبحت جولدا مائير رئيسة لوزراء اسرائيل عقب موت ليفى اشكول في فبراير ١٩٦٩ . وكانت تعترض في الماضى على المبدأ النووى الذى اقترحه جوريون وبريز وديان . وكان بن جوريون ، الزعيم العجوز ، قد اوقف نشاطاته السياسية في نهاية عام ١٩٦٠ . غير أن كلا من بريز وديان كانا عضوين في حكومة مائير وكان ديان هو الذى توصل الى صيغة جديدة هى القنبلة في البديوم .

فقد أثبتت تجربة حرب ١٩٦٧ لوزير الدفاع ان اسرائيل كانت تعتهد لتحقيق امنها على القوى الأجنبية . ذلك ان الحظر الذى فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة التقليدية لاسرائيل في أعقاب الحرب مباشرة ، ورفض الحكومة البريطانية بيع دبابت (شفتين) لاسرائيل ، والشروط التى تفرضها الولايات

المعدة على اسرائيل ليبع اسلحة لها قد اثبت انها امور تطوى على مخاطرة
بالغة من وجهة نظر ديان . وتبعاً لمنطق ديان ، يمكن لاسرائيل ان تحقق ، على
نحو مستقل ، معظم الوسائل اللازمة لضمان مستقبلها . وهكذا ، وخلال الايام
التي تضاهاها ديان في وزارة الدفاع ، تم التوصل الى قرار ببناء نظم اسلحة
اسرائيلية مستقلة ، مثل طائرة (كاتير) (القاذفة المفادلة) وببابة المعارك
الاساسية الاسرائيلية (ميركانا) .

ان معدات مثل هذه يمكنها ضمان مستقبل الدولة اليهودية ، طالما ان العرب
وحيثهم هم الذين كانوا متورطين في النزاع . غير ان ديان كان يشعر بالقلق
بمسألة اساسية من الاتحاد السوفيتي ذلك ان دعم الروس للعرب كان مضموناً
لعدة سنوات طويلة ، في حين انه لا يمكن قول هذا بالنسبة لعلاقات الولايات
المتحدة مع اسرائيل . اذ ان قدرات اسرائيل الدبلوماسية كانت محدودة بمقما .
وعنى يقضى تحسين هذه القدرات ، ولتأمين هذه الاراضى التي تعتبرها اسرائيل
ضرورية لدفاعها ، كان عليها ان تثير الشكوك بشأن استعداد الروس لان
يتورطوا تورطاً مباشراً في النزاع . ذلك ان اسرائيل في حاجة الى ردع الاتحاد
السوفيتي .

وقد زاد من مخاوف ديان اندلاع حرب الاستنزاف على طول قناة السويس
والاعمال الارهابية الفلسطينية داخل حدود اسرائيل ، وكذا استعدادات الجيوش
العربية الاخرى لخوض حرب ضد اسرائيل . غير ان اكثر ماكان يثير مخاوف
ديان هو احتمال الا تستطيع اسرائيل ، في المدى الطويل ، تحمل الاعباء
الاقتصادية لسباق التسلح التقليدي في الشرق الاوسط . فعلى الرغم من ان
انتصار اسرائيل في ١٩٦٧ كان مطلقاً ، لم يظهر العرب أية دلائل تتم عن
استعدادهم للدخول في مفاوضات . والواقع ان اشتراك اسرائيل في حروب
الاستنزاف على طول حدودها قد جعلها تواجه مصاعب اقتصادية خطيرة ، وان
الحفاظ على جيش تقليدي قوى قد أصبح عبئاً ثقيلاً جداً على الدولة اليهودية .

وحتى يمكن الخروج من هذا الطريق المسدود ، وضع ديان صيغة جديدة
يمكنها ان تساعد اسرائيل على الاحتفاظ بالاراضى التي تحتاجها من اجل دفاعها
وكذا تحمّل التكاليف المتزايدة للجيش التقليدي . وتنص هذه الصيغة على
(تخفيف حدة النزاع باعادة بعض الاراضى لمصر وسوريا) ، الى جانب قوة ردع
اسرائيلية معقولة ، الى جانب جيش تقليدي يكتفى للدفاع عن النفس وخوض
حروب على نطاق صغير ، وان كل هذا يساوى تحقيق أمن معقول بشن معقول .

وطبقاً لهذا المبدأ ، سيكون في وسع اسرائيل ان تعيد بعضاً من الاراضى
المحتلة وان تحدد ميزانيتها العسكرية ، ذلك ان اعادة جزء من هذه الاراضى
سيقلل من دافع العرب لخوض الحرب ، وان هذا الدافع سيتضاءل كثيراً عندما
يكفّف العرب الخيار النووي الاسرائيلي .

ولا يزال منطق ديان سليما حتى الآن . ولكن حتى يمكن لاسرائيل تنفيذه ، لابد من أن تملن على الملائحة ان لديها خيارا نوويا (وهى حقيقة يفترضها على الاقل معظم الخبراء في هذا الميدان) .

فيم ان ميب هذه الاستراتيجية ان المرء عندما يفتلرها لا يمكنه اخيرها عكسها . والواقع ان السلسلة الرسمية تطلب بجعل الشرق الاوسط منطقة خالية من الاسلحة النووية ، على غرار الاتفاقات التي وقعتها دول امريكا اللاتينية في هذا الشأن . ولقد اعلن ديلن ، عندما كان وزيرا الخارجية ، في الامم المتحدة انه يتعين على كل الدول المجاورة لاسرائيل ان تشترك في مفاوضات مباشرة بقصد الاتفاق على جعل الشرق الاوسط منطقة خالية من الاسلحة النووية .

وقد قال البروفيسور يهودا بلوم السفير الاسرائيلى لدى الامم المتحدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٨ ، لقد اعلنت حكومة اسرائيل في مناسبات عديدة انها لن تكون اول من يدخل الاسلحة النووية الى الشرق الاوسط . وهذا بيان حكومى رسمى انه تمهد رسمى ينبغي (على الدوائر المسئولة في كافة اتجاه العالم ان تنبه اليه كما يجب) وحتى نتفهم هذا الاعلان الاسرائيلى ، يتعين على المرء ان ياخذ في اعتباره الكيفية التى ينتظر بها الاسرائيليون للامم المتحدة . اذ يعتبرونها منظمه عاجزة ، ومن ثم فهم يستخدمونها كنقطة للدعاية فقط) .

وقد ادلى ديلن في بداية السبعينيات ببيانات مختلفة حول قدرة اسرائيل النووية . ومن ناحية اخرى ، طابان العالم بانته ان تخوض دولة عربية الحرب مع اسرائيل حتى نهاية ذلك العقد . واذا ماوضعنا في اعتبارنا ان تطوير الخيار النووى يستغرق ما بين ٨ الى ١٠ سنوات على الاقل ، يتضح لنا ان ديان كان ولتنا جدا من تفوق اسرائيل على العرب .

غير انه كان على ديلن ان يكتشف باسرع مما تصور ان تفكير الرئيس المصرى الجديد كان مختلفا .

فقد فاجأت حرب اكتوبر اسرائيل . اذ كان جيش الدفاع الاسرائيلى يقدر ان مصر ومصرىا لن تخوضا حربا واسعة النطاق ضد اسرائيل ما لم تكونا قادرتين على شل فعالية السلاح الجوى الاسرائيلى ، وما لم يكن في وسعهما التسلل بقاذفات مقاتلة على ارتفاع منخفض الى قلب اسرائيل . وكان هذا المفهوم يسفل فى اعتباره بعض عناصر فقط من عناصر القدرة العربية ومن ثم ، لم يكن ينطوى على كثير من الادراك والمقولة . ويمكننا ان نفترض كذلك ان الاسرائيليين قيموا عنصر آخر ، وهو تفوقهم النووى . فقد كانت مراكز المخابرات العسكرية والمدنية تقدر ان العرب لن يشنوا حربا جديدة ضد اسرائيل لانها قد تؤدى الى مواجهة نووية . وعندما يوضع هذا الاعتبار في التقدير : نجد المفهوم الاسرائيلى ينطوى على مزيد من المقولة . وبالطبع لم يعترف الاسرائيليون بان هذا كان اساس مفهومهم عشية يوم كيبور

(ميد الخفران) عام ١٩٧٣ ، لان هذا يعنى ان بحوزتهم القنبلة . غير ان هذا لا يزال هو السبيل الوحيد لفهم منطق تصرفهم خلال هذا الحدث المفجع . لقد منيت وجهة النظر الاستراتيجية الاسرائيلية بالفشل من ناحيتين اولهما : ان جيش مصر وسوريا اتابا مظلة من صواريخ أرض - جو مما اسلب التفوق الاسرائيلى بالشلل في مجال الجو . وثانيهما : ان السادات والاسد جعلوا اهداف الحرب محدودة منذ بدايتها ذلك انه بتخطيطها لحرب محدودة ، كتنا (السادات والاسد) ياملان في تخفيف التهديد الذرى الاسرائيلى . لقد كتنا واقتنع من أن اسرائيل لن تستخدم الأسلحة النووية ضدنا طالما انهما لم يهددا وجود دولة اسرائيل داخل حدود ١٩٦٧ .

ولقد كتنت المراحل الاولى من الحرب افضل مما خطط لها اكثر الجيران ، المصريين والسوريين تزاؤا . فقد نجح الجيش المصرى في احتلال « خط بارليف » الذى كانت تدافع عنه قوة صغيرة من الدبابات وقوات المشاة . وتكن الجيش المصرى من احتلال قطاع يبلغ عرضه ٥ ايمال على طول قناة السويس ، وفي الشمال ، نجحت فرق الدبابات السورية في اختراق الخطوط الاسرائيلية ، واحتلت تقريبا مرتفعات الجولان كلها . ولذلك وطبقا لمصادر مختلفة موثوق منها ، اعتبر ديان الوضع في ٨ اكتوبر ١٩٧٣ حرجا بالنسبة لوجود اسرائيل وامنها . ومن ثم قدم استقالته لجولدا مائير بسبب ما اعتبره دورة فشل اسرائيل . وحضر مئير بقوله : « اتنا نوثك أن نفقد المجد الثالث » .

ولمى ضوء هذه الخلفية الخاصة بتفسير الرؤيا ، بدا ان كبار المسئولين في اسرائيل قد اتخذوا قرارا باستخدام التهديد النووى . وهناك دلائل على ان ديان قد اعطى - لأول مرة - امرا سريا بان توضع الصواريخ الاسرائيلية الصنع من (طراز اس. اس. اريما) التى تحمل رؤوسا نووية ، وكذا القاذفات المقاتلة من طراز كير المزودة بشحنات نووية ، في حالة الاستعداد القتالى . لقد وضعت الأسلحة الاسرائيلية النووية الثلاثة عشر في حالة تأهب . واذا ما كان الامر كذلك ، فقد كتنت هذه هى المرة الاولى التى تنفذ فيها اسرائيل خيارها النووى . غير ان المصادر الاسرائيلية تنفى ، بالطبع ، ما ترد من شائعات بشأن هذا التأهب النووى الخاص . واذا ما كان هذا حقيقة ، فمن العسير فهم ما كان ديان يعتزمه من اعطائه هذا الامر . فربما كان من المرجح انه اعتبر اطلاق الصواريخ بمثابة خيار واقعى . غير انه من المنطقى الى حد كبير اعتبار هذا الامر بمثابة اشارة واضحة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . فقد كان ديان واقفا من أن للقوى العظمى لعبارا صناعية استطلاعية خاصة تدور فوق الشرق الاوسط ، وانها سوف تلتقط على الفور هذا النشاط الاسرائيلى وتتهم مئير . وبالنسبة للاتحاد السوفيتى سيكون بمثابة تحذير بالا يشترك في الحرب

اشترانا جاثرا وكلن من المفترض ان تقوم الولايات المتحدة ان اسرائيل ،
تعرض لضغط شديد ، وانها في وضع قد ينجسها الى استخدام قسرتها
الآخر ، وتجر الممركة النووية الفلصلة في الشرق الأوسط . وكان تزويد
اسرائيل بشخصات ضخمة من الأسلحة التقليدية هو السبيل الوحيد لاتفاع
زعيماتها بعدم اللجوء للفترة النووية الاسرائيلية .

وحتى يتحقق هذا ، لابد من ان ترسل الولايات المتحدة اسلحة بالجو
لاسرائيل . وكنت واشنطن تعجل كثيرا عمليات ارسال الأسلحة ، بالرغم
من ضغوط اسرائيل في هذا الشأن . ومن ثم ، كان من شأن الاشارات
الاسرائيلية ان توضح لمتلقى القرار في البيت الأبيض ووزارة الدفاع
(البنتلجون) ووزارة الخارجية ان اي تأجيل آخر قد يؤدي الى وقوع
كارثة في الشرق الأوسط . لها بالنسبة للروس ، فان ديان قد ادرك انهم
سيزدون عملياتهم ، مصر وسوريا ، بالمعلومات الخاصة بهذا التحرك
الاسرائيلي . واذا ما حدث هذا ، فان ديان كان واثقا من ان كلا من
السادات والاسد سوف يحددان من اهداف حريهما حتى يتجنبوا اي رد
نووي اسرائيلي .

ولقد حققت الاشارات الاسرائيلية ، فيما يبدو ، بعض النتائج . فقد
بدا الأمريكيون في تزويد جيش الدفاع الاسرائيلي بكميات متزايدة من الاسلحة
الامريكية التقليدية عن طريق الجو ، أما الجيوش العربية فقد حدثت من
اهدائها ، وقد سبغت عليها ، على أية حال ، القوات الاسرائيلية
المنتصرة قدسها .

وقد ارسل الاتحاد السوفيتي ، كرد فعل او كوسيلة لدعم احتمال تورط
سوفيتي مباشر في الحرب ، سفينة محملة بمعدات نووية الى ميناء الاسكندرية
بمصر . وقد اكتشف الأمريكيون طبيعة ما تحمله السفينة بواسطة اجهزه
الاستعمار الحساسة للغاية عنونها كانت تعبر مضيق الدردنيل . والواقع
انه يتبين على نحو قاطع بالنسبة للأمريكيين او الاسرائيليين معنى ودلالة
هذا التحرك الروسي . سد انه كان في وسعهم استنتاج شقين
لأولهما . اعتبار التحرك الروسي بمثابة اجراء لايتراز الأمريكيين ، نظرا لان
الخيار النووي قد اثبت انه بالغ الفعالية . وفي ضوء هذا تم اسباغ مزيد
من الثقة على المؤيدين لان تنتهج اسرائيل ميلا نوويا مستقلا ، وان هذا من
شأنه ان يريد حرية اسرائيل على الحركة . أما الاستنتاج الثاني : فقد خلص
اليه الذين يجادلون في ان التهديد الاسرائيلي الكامن ، بتدمير البلاد العربية .
اذا امتدت الحرب ضد اسرائيل وهددت وجودها ، لم يثبت نجاحه نظرا
لان في مثل هذه الظروف اختار السادات تجاهل هذا التهديد الكامن ، وان
مصر وسوريا حصلتا على ضمانات نووية من الاتحاد السوفيتي لثقل تعاليه
التهديد التوربي الاسرائيلي المحتمل .

غير ان التهديد النووي الاسرائيلي قد كان له ، فيما يبدو ، اثر واحد
كلى ٧ يزال مخبئا وان قليلين قد فهموه عام ١٩٧٢ . ذلك ان احد العوامل
الاساسية التي غيرت سياسة السادات في اتجاه اقرار السلام مع اسرائيل .
كان اعتقاله وجود القنبلة الاسرائيلية .

لقد خلقت حرب « يوم كيبور » أزمة داخلية في اسرائيل . ذلك انه
على الرغم من ان النتائج النهائية للحرب كانت مرضية نسبيا ، نجد الطريقة
التي بدأت بها الحرب ، والمفاجأة وقتل الخطة العسكرية ، قد نجرت
ذات الا سياسيا في البلاد . فقد اضطرت جولدا مائير الى الاستقالة تحت
ضغط الانتقادات الشعبية . وخرج ديان معها من الحكومة . وعين اسحق
رابين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي المنتصر عام ١٩٦٧ ، رئيسا للوزراء ،
واصبح شيمون بيريز وزيرا للدفاع .

وهكذا ومرة أخرى يقضى في قلب مجلس الوزراء الاسرائيلي شخصان
كانا مختلفين حول مشكلة المبدأ النووي الاسرائيلي . بيد أن المشكلة كانت
تبدو هذه المرة مختلفة . ذلك ان اسرائيل كان ينظر اليها على أنه سيكون
لديها القنبلة في مستهل السبعينيات . ومن ثم نجد موضوعين أساسيين
كانا مطروحين للمناقشة بين رابين وبيريز وهما :

(١) إلى أى مدى يتعين على اسرائيل أن تستمر في تنمية قدرتها النووية
بالنسبة لقهرتها القتالية ؟

(٢) هل يتعين على اسرائيل أن تعلن على الملأ عن خيارها النووي . كاجراء
أساسي لردع العدوانية العربية ؟

ولقد كان شيمون بيريز ، أحد كبار المهندسين الاسرائيليين لقدرة
اسرائيل النووية ، يعتقد طوال سنوات عديدة ، أن القدرة النووية يمكنها
وحدتها اقرار السلام . وكان يرى أن هذا يمكن تحقيقه من خلال مرحلتين (*)

« ان الخطر الكبير الذي تشكله الصواريخ (وكل شيء يقال عن
الصواريخ يصدق على نظم الاسلحة الاخرى الماثلة) يتمثل في حالة وجودها
في الجانب العدواني فقط أى العرب . ولكن في حالة وجود الصواريخ لدى
الجانبين ، قد لا يحد ذلك من الارادة العدوانية فحسب ، وانما يحد كذلك
من خطر الحزب . لان حقيقة أن كلا الجانبين معرض للصابة بحيث لا يجب
اللبس بالخطط العسكرية » .

وتبعا لما يرى بيريز كانت هذه هي المرحلة الاولى الا وهي ايجاد توازن

(*) المرحلة القادمة ١٩٥٦ ص ١٧٩

الربح في الشرق الاوسط . ولن يكون في وسع اسرائيل تحقيقه دون أن تعلن على الملا بمبادها النووي ، ويبدون تطوير خيارها النووي .
وتجما لما يرى بيريز من أنه عندما يصل الشرق الاوسط الى هذه المرحلة

تبدا المرحلة الثانية :
« ان السلام لن يتحقق من جراء ذاته . . لن تقرأ امم اجنبية خارجية انه لن ينمو في ظل الخلفية السياسية الحالية للشرق الاوسط ، غير أنه في وسع اسرائيل ان تجعل السلام اكثر مثالا اذا أقنعت العرب بأنه مع استخدام العلم لن يكون لديهم الفرصة لاصابتها ، لافي الوقت الحاضر فحسب ، بل في المستقبل كذلك » (*) .

ودائما ما يستخدم بيريز تقريبا في مقالاته الاشارات التفسيرية الى وضعها بين الاقواس والتعابير اللطيفة عن الاشياء البغيضة . ولذلك وعندما يتحدث عن العلم ، يجب على المرء ان يفترض انه يعني به اساسا ورقة اسرائيل الراجعة وهي : التكنولوجيا النووية . فمن وجهة نظر وزير الدفاع الجديد . يعتبر هذا السلاح هو الحجة السياسية الاساسية التي يمكنها أن توضع للعرب انه ليس في مقفولهم على الاطلاق تدمير اسرائيل دون أن يدمروا انفسهم ، ومن ثم يجب عليهم أن يتوصلوا الى اقرار السلام معها .

غير أنه في مواجهة هذا الرجل الاستراتيجي المؤيد للتكنولوجيا النووية كان يقف رابين الذي يصد الجيش الاسرائيلي منذ مستهل الستينيات لغرض حرب تقليدية . فقد عمل رابين في الفترة من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٢ سفيرا لاسرائيل لدى الولايات المتحدة الامريكية . ومن ثم طور خلال وجوده في واشنطن مفهوما جديدا اذ كان الامن الاسرائيلي يعتمد - طبقا له - على القرارات التي تتخذ في البيت الابيض ، ولما كانت الولايات المتحدة الامريكية تعارض بشدة طوال العشرين عاما السالفة ، الجهود التي تبذلها أية دولة للحصول على أجهزة نووية . ولما كان واضحا بالنسبة لرابين أن انتهاج اسرائيل مبدأ نويا مستقلا . من شأنه أن يلحق الضرر بالعلاقات الاسرائيلية الامريكية . فقد اعترض على الاستراتيجية التي اقترحها بيريز . وبينما كان رئيس الوزراء رابين يطالب بعلاقات خاصة مع الولايات المتحدة ، يطالب بالحصول على موافقة الولايات المتحدة قبل اتخاذ أية مبادرة اسرائيلية ، كان بيريز يضغط من أجل انتهاج استراتيجية نووية وبذلك يلحق الضرر بالعلاقات الاسرائيلية الامريكية .

ولذلك ، كانت سياسة رابين تتمثل في استخدام الخيار النووي الاسرائيلي كقوة ضاغطة للحصول على مساعدات عسكرية ودبلوماسية

(*) نفس المصدر السابق بصفحة ٤٥ .

والصداقة من الولايات المتحدة . فكان يرى هذه المساعدات كمقياس للعلاقات بين الدولتين . اما بيريز فكان يرى الورقة النووية الراحبة كوسيلة لتحقيق السلام او على الاقل التوصل الى وضع علم الحرب مع الدول العربية . وفي ضوء هذه العملية لوجهتي النظر المختلفتين ، تبين ، وقت مصادمات عديدة بين رئيس الوزراء وبين وزير دفاعه ، وليس أدل على ذلك من الآتي :

وفي يوليو ١٩٧٤ زاد الرئيس نيكسون الشرق الاوسط . وقد عقدت خلال زيارته هذه صفقة بين الولايات المتحدة وبين مصر واخرى بين الولايات المتحدة وبين اسرائيل . وتقضى الصفقة بأن تحصل كل من مصر واسرائيل على خطتين لتوليد الكهرباء بالطاقة النووية . وكانت هذه الصفقة هامة بالنسبة لاسرائيل التي تعتمد اعتمادا كبيرا تقريبا على المصادر الخارجية للحصول على ما يلزمها من الطاقة كما كانت الصفقة هامة كذلك بالنسبة للمصريين . وفي اغسطس ١٩٧٦ ، انتهت المفاوضات في واشنطن وتم التوقيع بالاحرف الاولى الى الاتفاقيات الخاصة بهاتين الصفقتين بين مصر والولايات المتحدة ، وبين اسرائيل والولايات المتحدة . وعند مرحلة معينة كانت الادارة الامريكية في ظل حكم كارتر مستعدة للموافقة على الصفقة بعودة اجراء تفتيش على المنشآت النووية ، ورغم ذلك اصبح واضحا لكافة الاطراف ان التصديق على الصفقة يعتمد على موافقة كل من مصر واسرائيل على السماح للولايات المتحدة باجراء التفتيش على منشآتهما النووية . وكان من المقرر ان يصديق على الصفقة في منتصف ١٩٧٧ ، غير ان رابين اضطر الى تقديم استقالته بسبب المشاكل السياسية الداخلية والشخصية التي واجهته واصبح بيريز الزعيم الجديد للحزب (الحاكم) حتى اجراء الانتخابات العامة في مايو ١٩٧٧ . وقد أدى هذا الى تغير موقف اسرائيل ازاء الصفقة . وكان بيريز لا يوافق على شروط عقد الصفقة ، وخاصة تلك المتعلقة بالتفتيش الامريكي ، ولذا لم يوقع العقد على الاطلاق . ولا توجد لامريكا اية رقابة حتى الوقت الحاضر على المنشآت النووية الاسرائيلية .

وواقع ان المناقشة والجدل الذي كان مثارا بين رابين وبيريز لم يوقف انبحث النوى الاسرائيلي . فلقد تمكن العالمان الاسرائيليان اسحق نيبزراهل ومناحم ليفين في عام ١٩٧٧ من احراز تقدم في مجال معالجة التخصيب عن طريق استخدام اشعة الليزر . وبمقتضى هذا النظام الجديد اصبح من الممكن تخصيب سبعة جرامات من اليورانيوم ٢٣٥ الى درجة ٦٠٪ خلال يوم واحد . ويقدر الخبراء في هذا المجال ان ٥٠ كيلو جراما من الـ (٦٠٪) من اليورانيوم المنضب هو القدر الذي يحتاجه العلماء لانتاج قنبلة واحدة . وهذه هي احدى العمليات القائمة لتخصيب اليورانيوم .

غير ان هذا لم يكن الاتجاه الوحيد الذي كانت تعمل فيه اسرائيل . ذلك ان اهداف اسرائيل ، فيما يبدو ، منذ بداية السبعينيات كانت ترمي

الى توسيع نطاق ترسانتها النووية من حيث الكم والكيف ، وكذا ترسانتها
فى مجال نظم اطلاق الصواريخ . ومن اجل تحقيق هذا الغرض ، تتعاون
اسرائيل مع جنوب افريقيا ولاشأن .

وقد اكتشفت اقدار التجسس الامريكية والسوفيتية فى شهر سبتمبر
١٩٧٩ انفجارا نوويا فوق المحيط الهندي على ارتفاع ٢٦ ألف قدم . وقدر
وكالة المخابرات المركزية الامريكية وغيرها من اجهزة المخابرات فى الغرب
ان الانفجار نتج عن اطلاق قذيفة نووية من مدفع خاص (عيار ١٥٥ سم)
انتجته شركة امريكية تسمى ابحاث الفضاء وكانت اسرائيل وجمهورية
جنوب افريقيا اشترتا هذا المدفع الخاص ، بعد ان نجحتا فى الافلات من
نظم المراقبة الامريكية والبريطانية والكندية . وقدرت مصادر المخابرات
الغربية ان الانفجار الذى وقع فى سبتمبر ١٩٧٩ كان تجربة مشتركة بين
جمهورية جنوب افريقيا واسرائيل تتعلق باحد النظم النووية التكتيكية
المتطورة جدا .

وقد قال الكاتب الامريكي جاك اندرسون : ان اسرائيل وجمهورية
جنوب افريقيا قد وافقتا على التعاون مع دولة ثالثة . ومن المرجح انها تاوان
(وهى الدولة التى تشتر بترضاها للحصار ، وخاصة منذ حسنت الولايات
المتحدة الامريكية علاقاتها مع الصين الحمراء) وقد انضمت لنادى الدول
المنبوذة . ويضيف اندرسون : انه فى إطار هذا الصلوان الثلاثى توجد دلائل
على ان جهدا مشتركا يبذل لتطوير صاروخ كروز الذى يبلغ مداه ١٥٠٠
ميل . واذا ما اطلق مثل هذا الصاروخ من اسرائيل ، فسوف يصيب
اى هدف فى العالم العربى ، وهيب كذلك اهدافا عديدة جنوبى الاتحاد
السوفيتى . ويمكن لهذا النوع من الصواريخ ان توجد دلائل على ان
سفينة وبذلك يزيد مداه امينالا عديدة اخرى . كما توجد دلائل على ان
اسرائيل وجمهورية جنوب افريقيا تحاولان انتاج قنبلة نيوترون ، وانهما
يملان على اساس اقامة ترسانة تكتيكية بنفس القدر الذى يقيمان به
ترسانة استراتيجية .

غير ان موقف اسرائيل فى المجال النووى ليس واضحا تماما (ومن
المرجح الا يتضح ابدا) ، ولكن من الممكن تقدير ان الجهد الذى بداه
بن جوريون فى هذا الصدد منذ نهاية الخمسينات قد أسفرت عن نتائج
مشرة للغاية من وجهة نظر الاستراتيجيين النوويين الاسرائيليين .

وتوجد تقديرات مختلفة للقدرات النووية الاسرائيلية ، ويقدر آخر
تقارير وكالة المخابرات المركزية الامريكية ان عدد الرؤوس النووية التى
تمتلكها اسرائيل تصل الى حوالى ٢٠٠ رأس وأن العدد الاكبر منها مخصص
لاغراض تكتيكية ، وتقدر قدرته التدميرية بأقل من ٢٠ كيلو طنا . ويوجد

لدى إسرائيل في الوقت الحاضر مجموعة متنوعة من نظم إطلاق الصواريخ .
ذلك أن طائرات الفانتوم اف-٤ ، أو طائرات كافيير م-٢ الإسرائيلية
على قصف القنابل . وإلى جانب ذلك ، يوجد لدى إسرائيل - طبقا لتقديرات
المصادر الغربية - ثلاثة صواريخ أرض - أرض على الأقل قادرة على حمل
رؤوس نووية . كما يوجد نوعان من الصواريخ الإسرائيلية الفرنسية الصنع
من طراز اويما وهما : (ام ٥٠ - ٦٦٠) ويسلغ مداه ٤٥٠ كيلو متر ،
(م-٦٢٠) وهو ذو مدى أطول ، ومزود بنظام ملاحي أفضل . كما
يوجد لدى إسرائيل صاروخ (لانس اس-١) الأمريكي الصنع الذي
زودتها به الولايات المتحدة في أعقاب حرب يوم كيپور . ويسلغ مداه حوالي
١٩٠ كيلو متر . ويعتقد الخبراء الأمريكيون أن في إمكانه حمل رأس نووي
تكتيكي وزنه ١١ كيلو جراما وقدرته التدميرية كيلو طن واحد ، الى مدى
يبلغ ١١٨ كيلو مترا . ويمكنه إصابة الهدف بدقة في نطاق ٧٠ كيلو مترا
إذا استخدم نظم الملاحة ذات القصور الذاتي .

وإلى جانب نظام الإطلاق الصاروخي هذا ، يرجح أن يكون لدى
إسرائيل نظامان آخران في نهاية الثمانينيات وذلك طبقا لتقدير بعض
التقارير وسوف يكون أحدهما هذين النظامين مدفعا نوويا ، والآخر صاروخ
كروز . وإذا ما كان هذا هو حقيقة الموقف ، فإنه سيكون لدى إسرائيل
القعدة على توجيه الضربة الثانية - وهو عنصر هام بالنسبة لدولة مساحتها
محدودة ، ومواردها من الأيدي العاملة محدودة كذلك . وفي ظل هذه
الظروف ، يحق للمرء أن يفترض أن إسرائيل سوف تتحرك من استراتيجية
القبلة في « البدروم » الى انتهاج مبدأ نووي معلن . وإذا ما حدث هذا ،
فقد يؤدي الى أحداث تغير حاسم في موقف العالم العربي المهادي للدولة
اليهودية . ولقد كان بن جوريون يأمل منذ ٢٥ عاما ، في أن قدرة إسرائيل
النووية قد تحقق السلام في هذا الجزء المضطرب من العالم .

٦ - صدام حسين ومشروع تموز

كان امتلاك العراق للتكنولوجيا النووية اول محاولة عربية تجاه التسلح النووي ، على الرغم من أن الهدف الرسمي المعان لبناء المفاعل لم يكن انتاج اسلحة نووية .

صدام حسين ، مجلة الاسبوع العربي

(لندن ، ٨ سبتمبر ١٩٧٥)

كتب ريتشارد لنكلي في مجلة « دى ليسر » ملخصا اسلوب حكم صدام حسين : « يحكم صدام الشعب وفي احدى يديه بنفقتة وفي اليد الاخرى النقود . ويشير النقاد الى صدام حسين - باعتباره رئيسا لمجلس قيادة الثورة وامينا عاما لحزب البعث ، على أنه « جزار بغداد » . ذلك ان الضابط البعني الذي وصل الى السلطة عام ١٩٧٩ قد حافظ على هذه السلطة من خلال العنف ، تبعا لمفاهيم التاريخ السياسي الحديث) في بلد يسيطر فيه الحكام من ينتمون الى الاقلية السنية منذ ١٩٦٨ على اغلبيية السكان الذين ينتمون الى الشيعة والاكرد . (يتكون سكان العراق من ٢٩٪ من اهل السنة ، و ٤٦٪ من الشيعة و ١٣٪ من الاكرد . وعلى النقيض من ذلك يتألف الجيش العراقي الذي يسيطر عليه حزب البعث من ٨٠٪ من السنة و ١٤٪ من الشيعة و ٤٪ من الاكرد . وان ٩٠٪ من ضباط العراق من السنة) .

ووضع صدام حسين نصب عينيه ، تاريخ الدكتاتوريات السابقة الناجحة والطغاة السابقين ، ولذا قام - عندما كان رئيسا لقوات الأمن ومديرا للخابرات بعمليات تطهير داخل الجيش ، وأعدم أو نفى عددا من المعارضين من الضباط البعثيين والشيعة والاكرد . كما أنشأ ميليشيا من صفوة الحزب أو « الجيش النظامي » ، واختار أعضائهما من العناصر الحزبية المتشددة الموالية له .

ومع حلول عام ١٩٧٨ ، كان النظام العراقي قد أصبح أكثر عنفا واتساما بالمحسوبية . ووجد صدام حسين أفضل أداة للرعب في شخص خير الله حسين صهره وابن عم البكر ، الحاكم الاسمي . وقد نظم خير الله الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع العراقي منذ ١٩٧٧ ، وكذا حاكم بغداد ، فرقة اغتيالات تابعة له بدأت سلسلة من الاغتيالات ، من بينها اطلاق الرصاص على (النافذ) رئيس وزراء العراق السابق امام فندق هيلتون بالندن . وفي عام ١٩٧٩ تنازل البكر ، الذي كان قد طعن في السن ، عن سلطته لصدام حسين ، الذي تولى

مصب رئيس مجلس قيادة الثورة ، وهنا ، مرة أخرى ، اطلق صدام حسين ، الذي كان حريصا على الدفاع عن نفسه ، (خير الله) على حوالي ١٢ من الضباط الشيعة المعارضين ، فتم القبض عليهم ، وتعرضوا للتعذيب . وقتلوا في عملية وحشية استمرت يوما ~~كامل~~ ، مما يعيد الى الازمان ليلة المساكين الطويلة التي اقلها هتلر . ذلك ان صدام حسين ، والى جانبه حراسه . قد شاعه بنفسه عملية الذبح الوحشية لمعارضيه من الضباط الشيعة .

ومما لا شك فيه ان العراق يعد بلدا ذات قدرات عسكرية هائلة وكامه . اذ يبلغ عدد سكانه ١٣ مليون نسمة ، ويصل اجمالي الناتج القومي له ١٨٠ مليار دولار . وتبلغ ميزانيته العسكرية ثلاثة مليارات ونصف مليار دولار سنويا . ويتألف جيشه من ١٩٠ الف جندي ، وينقسم الى ١٢ فرقة منها ٤ فرق مدرعة ومرتتان ميكانيكيتان . وتوجد في ترسقة العراق ٢٢٠٠ دبابة (منها دبابة سوفيتية الصنع على مستوى عال من طراز (ت - ٦٢ اس) و ١٧٠٠ قطعه مدفعية ، وعدد من الصواريخ المضخمة . كما تملك العراق سلاحا جويا يتألف من ٣٠ الف رجل ، وهو مزود بمحركات مثل ٤٥٠ طائرة مهاجمة (وهذا العدد اكبر من عدد الطائرات المقاتلة التي تملكها بريطانيا العظمى مثلا) ، وكذلك ١٤٠ طائرة ذات مستوى عال مثل المراج - ٢٢ والصوخوي والتوبولوف . ١٢٢ اس . وتتألف البحرية العراقية من ٤٤ الف بحار ، وتضم ١٢ زورق طوربيد . ١٤ زورقا مضادا للصواريخ ، و ١٩ زورقا من انواع اخرى . ومنذ عام ١٩٧٣ زاد الجيش العراقي من ٦ او ٧ فرق الى ١٢ فرقة بالإضافة الى ٣ لواءات ابرار جوى . وخلال هذه الفترة ، تضاعفت قوة دبلجته ، وزاد اجمالي طائراته المقاتلة من ٢٥٠ الى ٤٥٠ طائرة بينما قفز عدد طائرات الهليكوبتر من ٨٠ الى ٢٢٥ طائرة . كما حصل العراق على اسطول من هيلبات الدبابات ومن المرجح امكان استخدامها ضد اسرائيل .

غير ان اكثر الاشياء التي تنفر بالشر ، هو ان العراق يعد البلاد العربي الوحيد في الشرق الاوسط الذي ينفى قدرته النووية ، وهو الامر الذي سنناقشه فيما بعد في هذا الفصل .

ان صدام حسين والعراق لهما طموحان في منطقة الخليج ، احدهما ذو طبيعة عامة وطويلة الاجل ، وامر عاجل يتعلق بالاراضي . ذلك ان العراق يريد ان تكون القوة العربية المسيطرة في الخليج العربي ، ولا ترضى بشيء اقل من ذلك . فهي تريد ان تحل محل ايران التي تنفك وتحتل ببطء ، والتي تهتم الآن تقريبا بسياساتها الداخلية وعدائها للولايات المتحدة .

وتبعاً لما تقوله الصحافة العراقية ، يسمى صدام حسين الى السيطرة على اقليم خوزستان الايراني (او عريستان ، كما تسميه العراق) وعلى اقليم بلوخستان الايراني ، وكذا على الكويت الغنية بالبترول . والواقع ان ايران والعراق قد خاضتا مع بعضهما عددا من الحروب الصغيرة نيبا بين عام ١٩٧٣

١٩٧٥ حول المنطقة التي تقع على ضفتي شط العرب ، وهو النهر الذي يفصل إقليم خوزستان الإيراني عن العراق . وتم التوصل الى اتفاق الجزائر « عام ١٩٧٥ بين شاه ايران وصادق حسين (وقد وعدت فيه ايران بعدم التدخل في إقليم خوزستان بالعراق ، مقابل وعد العراق بالكف عن ممارسة الاعتداءات على إقليم خوزستان الإيراني) ، لكن هذا الاتفاق لم يعد قائما الآن . ففي سبتمبر ١٩٨١ ، تفجرت الحرب القديمة مرة اخرى في نفس اللحظة التي كانت تواجه فيه ايران المحاصرة والمنقسمة على نفسها العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة عليها وقطع العلاقات الدبلوماسية الرسمية .

اما الهدف التالي لصادق حسين المكمل لهيئته على الخليج فهو تدمير اسرائيل . ذلك ان موقفه المعادي لاسرائيل يتسم بالتشدد والاستمرار والعلانية منذ ١٩٧٨ على الأقل ، وذلك عندما اعلن في خطاب اذاعه راديو بغداد : « ان الموقف المبدئي والثابت للنظام العراقي ازاء النزاع العربي الاسرائيلي يتمثل في الرفض الكامل لاي حل سياسي ، وان تسوية النزاع تكمن في شن صراع عسكري شامل بهدف انتزاع الصهيونية من المنطقة » .

وقبل ذلك بعام واحد ، وضع صدام حسين واحمد حسن البكر حاكم العراق الاسمي آنذاك والرئيس السوري حافظ الأسد ميثاق العمل القومي ، وهو اساس جبهة الرافضين . وقد قامت الجبهة ذاتها خلال الاجتماع الذي انعقد في طرابلس في ديسمبر ١٩٧٧ ، وتضم العراق وسوريا وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقد دعت الجبهة في اعقاب زيارة السادات للقدس . الى شن حرب اقتصادية على السادات والصهيونية والامبريالية الامريكية . ومنذ ذلك الحين ، غدت الجبهة التي ترأسها العراق المسيطرة عسكريا ، قوة فعالة في جعل دول عربية معتدلة مثل السعودية والاردن لا تخرج عن موقف الجبهة . وقد قدمت العراق الملجا لأكثر الجماعات الفلسطينية والعربية الراديكالية ومن بينها الجماعات ذات الاتصال المباشر بموسكو مثل جماعة « ابو نضال » (يونيو الأسود) التي تعمل في اليمن الجنوبية . كما ساندت العراق ثورة ظفار في سلطنة عمان .

ومن المؤكد ان العراق تعد اقرب الدول العربية الى الحصول على القنبلة الذرية ، يدفعها الى ذلك الرغبة في ان تصبح زعيمة الخليج الفارسي والدول العربية والعالم الثالث . وحتى تجعل العراق سياستها هذه فعالة ، زادت من قوتها العسكرية بعبء لا مثيل له من قبل . واستخدمت دولاراتها البترولية ، وسعت لتطوير الهيكل الاساسي للتكنولوجيا العسكرية ، وذلك في ضوء ان العراق قد كونت خلال السنوات الاخيرة او نحوها ، ترسانة تقليدية قوية ، حتى تصبح اقوى دولة بين الدول العربية كلها . غير ان هذا لم يكن كافيا بالنسبة لصادق حسين . ذلك انه منذ منتصف السبعينيات ، تبني العراق قواتها في مجال آخر - هو المجال النووي .

ويمكن تتبع اثر الجهود العراقية في هذا الصدد منذ عام ١٩٥٩ . بعد ذلك
العام اصدرت الحكومة العراقية القانون رقم ٤٥ الذي تنشأ بمقتضاه لجنة الطاقة
النووية العراقية . وفي عام ١٩٦١ عين رئيس الوزراء نفسه رئيسا لهذه اللجنة .
والان يتولى صدام حسين هذا المنصب .

وقد قبلت العراق في عضوية الوكالة الدولية للطاقة الذرية عام ١٩٥٩
في ٢٩ اكتوبر ١٩٦٩ وقعت على معاهدة حظر الانتشار النووي . ولم
التصديق على المعاهدة في ١٤ مارس ١٩٧٢ ، مع الاشارة الى ان الموافقة على
المعاهدة لا تعني ان العراق تتعرف بدولة اسرائيل .

وفي ٢٠ يوليو ١٩٦٠ ، وقعت العراق مع الاتحاد السوفيتي اتفاقا بشأن
بناء مفاعل ابحاث . وبدأ السوفيت عام ١٩٦٢ ببناء المشروع في منطقته مع عل
بعد ٢٠ كيلو مترا جنوب شرق بغداد . وتم بناء المشروع عام ١٩٦٨ . وقد
وافق السوفيت بعد عشر سنوات على تغيير الوفود المستخدمة في المفاعل .
فيديلا من ان كان يعمل بـ (١٠ ٪) من اليورانيوم المخصب ٢٣٥ ، اصبح يعمل
الآن بـ (٨٠ ٪) من اليورانيوم المخصب ، وزادت قوته من ٢ الى ٥ ميجاوات .

وقد زود السوفيت العراق بتسهيلات اخرى . وبذلك مكثوا العراقيين
من بناء مجمع نووي كليل ويضم مفعلا لانتاج النظائر المشعة ، ومفاعل مبرءاء
خاصة ، وغيرها من المشروعات الصغيرة . وقد ارسل حوالي مائة طالب عراقي
للاتحاد السوفيتي لاستكمال دراستهم في الطبيعة النووية .

ولقد كان هذا المشروع السوفيتي الصنع ، الذي يوجد بالقرب من
بغداد كافيا بالنسبة لاحدى دول العالم الثالث المهمة بالتكنولوجيا الحديثة .
غير ان هذا المشروع كان بالنسبة للنظام البعثي في العراق غير كاف . فقد
كان الفتيون الروس يفتشون على المفاعل منذ عام ١٩٦٨ . وفي ظل هذا
التفتيش الوثيق ، أدرك العراقيون انه لن تواتيهم الفرصة للحصول على كمية
من اليورانيوم او البلوتونيوم تكفي لانتاج قنبلة . ولذلك ، كان عليهم
- ان ارادوا ان يحصلوا على القنبلة - ان يستمينوا بمصادر خارجية اخرى .

ولما كانت العراق واحدة من اكبر الدول التي تزود الغرب بالبتترول ،
فان زعماء العراق وصلوا الى نتيجة مفادها انه في وسعهم ايجاد فرصة طيبة
تمكنهم من الحصول على المنشآت والخبرة الفنية النووية من اوروبا الغربية .
ولقد كان للدول الغربية ، وخاصة فرنسا وايطاليا ، ميزتان كبيرتان في هذا
الصدد ، بالمقارنة مع الاتحاد السوفيتي من جهة نظر العراق . اولهما ، ان
الدول الغربية كانت على استعداد لتزويد العراق بالمعدات اللازمة للوصول
الى خيارها النووي ، وثانيهما ، ان التكنولوجيا الغربية كانت اكثر تقدما
من التكنولوجيا الروسية ، وخاصة في مجال صنع اليورانيوم المخصب ،
والبلوتونيوم .

وفي ٧ ابريل ١٩٧٥ ، عقد في بغداد مؤتمر علمي . اشترك فيه الى جانب العلماء النوويين العراقيين ، علماء عرب ، وكذا علماء امريكيين واوروبيين غربيين . وفي وسعنا أن نفترض في الوقت الحاضر ان هذا المؤتمر قد احرز تقدما في الجهود العراقية الرامية الى انتاج القنبلة . فقد عقدت خلاله اواخر الصلات الاولى بين رئيس ادارة الوقود النووي بلجنة الطاقة النووية الايطالية وبين العلماء العراقيين . ومن ثم بدأت العملية التي ادت الى الفاترة الاسرائيلية على المفاعل العراقي .

ولقد كان من المعروف عند حلول عام ١٩٧٥ ان شاه ايران ، وهو العدو المجاور للعراق ، قد شرع في تنفيذ برنامج نووي طموح من شأنه ان يمكنه من الحصول على القنبلة في غضون اقل من عقد . بيد ان العراقيين لم يكن يحركهم للحصول على القنبلة الخوف من ايران . فخلد كان لزراعة حزب البعث طموحاتها الخاصة - وهي السيطرة على الخليج الفارسي وان تصبح العراق دولة قائدة في العالم الثالث . ومن ثم ، كان الحصول على القنبلة اللدنية يعد مقياسا لبلوغ هذه المكانة القوية ولذلك ، قرر العراقيون التجهيز بتنفيذ خططهم ، وقد ثبت ان اول بلد اتجهوا اليه لتحقيق هذا القصد ، هو من اكثر البلاد التي يمكن الاعتماد عليها وهى : فرنسا .

وفي سبتمبر ١٩٧٥ ، قام صدام حسين نائب الرئيس العراقي آنذاك ، والرجل القوي في النظام العراقي ، بزيارة لفرنسا . وقد وقعت العولتان ، بعد مباحثات طويلة ، اتفاقا بشأن التعاون النووي في ١٨ نوفمبر ١٩٧٥ . ولقد كان العراقيون ، حتى قبل توقيع هذا الاتفاق يبدون اهتماما بالتكنولوجيا الفرنسية التي يمكن استخدامها في الأغراض العسكرية وكذا الأغراض المدنية . وقد طلب العراقيون من الفرنسيين ان يزودوهم بمفاعل لتوليد الكهرباء تبلغ قوته ٥٠٠ ميجاوات . ولقد بنى هذا الطراز من المفاعلات في فرنسا في الفترة ما بين ١٩٥٩ و ١٩٧٢ ولم يستخدم كمحطة لتوليد الطاقة بحسب ، بل استخدم لانتاج البلوتونيوم كذلك . كما بنى هذا النوع من المفاعلات الجرافيتية (الكربونية) في الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة ، بل من المرجح انه بنى كذلك في الاتحاد السوفيتي . وعلى الرغم من ان هذه المفاعلات تعمل كمحطات لتوليد الطاقة ، نجد ان الدول الكبرى تستخدمها اساسا لانتاج البلوتونيوم . غير انه عند حلول نهاية الستينيات ، تم اكتشاف نظم أكثر فعالية لتوليد الكهرباء . ولذلك توقفت الدول الغربية عن انتاج هذا النوع من المفاعلات وطلبت العراق هذا النوع من المفاعلات ، ومن الممكن نهم معنى هذا الطلب اذا وضعنا في الاعتبار حقيقة ان هذا المفاعل ينتج ٤٠ كيلو جراما سنويا من البلوتونيوم الذي يمكن استخدامه في أغراض عسكرية .

ولقد رفض الفرنسيون طلب صدام حسين الخاص بالحصول على المفاعل الذي يمكن استخدامه في ابحاث وتسهيلات أخرى يمكن ان توفر لهم على نحو

غير مباشر خيارا نوويا . وكان هذا العرض هو المفاعل النووي أوزوريس المتقدم للغاية ، وهو الطاقة الحرارية المرتفعة للغاية - اذا ما قورنت بالطاقة الحرارية بغيره من النماذج الاخرى كما انه يعمل باليورانيوم المخصب .

ومن المعروف ان المواد تغير خصائصها نتيجة تعرضها لاشعاع قوى ولذلك كان من الضروري دراسة نتائج الاشعاع على المواد المكونة لهيكل المفاعل وينتج أوزوريس الى مجموعة من المفاعلات تسمى « مفاعلات اختبار المائدة » وقد صمم هذا النوع من المفاعلات من اجل تحقيق الفرض سالد ، الذكر . ومن ثم ، لا عجب من ان تستخدم الدول الصناعية الكبرى وحدها مثل هذه المفاعلات في ميدان التنمية و انتاج بلمعات الطاقة . والعراق لا يعد من بين الدول الصناعية المتقدمة في العلم ، ولا يوجد اى دليل على انهما من الدول التى تبني المفاعلات ، ولذلك كان لاختيارها مفاعل أباحت أوزوريس يبدو امرا يتسم بالسخف . غير ان أوزوريس كان يتضم بسمة واحدة جعلته ملائما بالنسبة للأغراض العراقية ، بالرغم من ان العراق لم تؤكد هذه الأغراض . ذلك انه واحد من افضل المفاعلات القائمة لانتاج البلوتونيوم المستخدم في الأغراض العسكرية .

ولقد كان الفرنسيون ، وكذلك الأمريكيون ، يدركون بالطبع دلالات البرنامج العراقى الذى يستند على هذا النوع من المفاعلات ، كما كانت توجد مؤشرات اخرى تدل على الهدف الحقيقى الذى تبني العراق تحقيقه .

وفى ١٥ يناير ١٩٧٦ ، وقع اتفاق بين ايطاليا والعراق ، وامن الايطاليون بمقتضاه على تزويد العراقيين بمعدات وبخبرة فنية لمواجهة المشكلات النووية . وشمل ذلك اعادة دورة الوقود النووى ونظاما خاصا لمعالجة الوقود النووى المشع . وهذا فى الواقع اسم آخر للفصل البلوتونيوم

وعند حلول نهاية ١٩٧٦ ، كان العراقيون يتقدمون لتحقيق طموحاتهم النووية . وفى اطار الاتفاق الذى تم التوصل اليه مع فرنسا ، كان مشروع اوزيراك ، كما كان يطلق عليه ، قد بدأ . وتحت مظلة اوزيراك جرى بناء نوعين آخرين من المفاعلات عام ١٩٧٧ . كان الأول هو أوزوريس الذى تبلغ قوته ٧٠ ميجاوات ، بينما كان الثانى مفاعل أباحت نوويا صغيرا يسمى ايزيس . ثم غير العراقيون اسم المشروع الى « ٧٠ توز » وهو تاريخ تولى حزب البعث السلطة . وسمى المفاعل أوزوريس « توز - ١ » ، بينما سمي المفاعل الأصغر « توز - ٢ » . كما تم بناء بعض معامل خاصة للفيزياء فى اطار مشروع توز . وحتى يتسنى مراقبة نوع المشروع اقيم اتحاد آخر من مجموعة من المؤسسات الفرنسية (كونسورتيوم) فى بداية عام ١٩٧٨ .

وبينما كان « الكونسورنيوم » الفرنسى ينشئ مشروع تيزوز ، تم توقيع اتفاق آخر فى ٨ فبراير ١٩٧٨ . وكان هذا الاتفاق قد عقد بين مجموعة « شركات ايطالية » هى « سنين » و « سينا » و « آمين » بين الحكومة العراقية . وكان اسم المشروع الجديد هو « ٣٠ يوليو » .
وكان هذا المشروع بالنسبة للعراقيين يماثل فى اهميته تقريبا مشروع تيزوز . وقد اشتركت فيه بعض الشركات الايطالية الاخرى كمقاولين من الباطن .

والى الوقت نفسه ، تم ايضا ما بين ١٥٠ الى ٢٠٠ من العلماء العراقيين لدراسة التكنولوجيا النووية المتطورة . كما ارسل ١٥٠ مهندسا وفنيا آخر الى ايطاليا من اجل تلقى دراسات متقدمة . فلقد كان صدام حسين الذى يحرف شخصيا على المشروع النووى يدرك ان تنوع موارد القوى العاملة ، على نحو كاف ، يعتبر اساس النجاح فى تشغيل مثل هذا البرنامج الضخم . ولقد كان « رجل بغداد القوى » ، كما تطلق عليه اجهزة الاعلام الاجنبية ، يمس الهدف النهائى للمشروع كله . ولم يكن الايطاليون والفرنسيون ليمكنوه من انتاج القنبلة . طالما كان الفنيون التابعون لهم لا يزالون يعملون فى موقع تيزوز . ولذلك ادرك العراقيون ان عليهم ان يعمدوا الاجانب عن الموقع قبل ان يشرعوا فى العمليات اللازمة لانتاج القنبلة . ولذلك ، كان عليهم ان يعمدوا مقدما عددا كبيرا من العاملين المؤهلين حتى يمكنهم ادارة المشروع عندما يتركه كافة العلماء والفنيين الاجانب .

وفضلا عن عقود واتفاقات التعاون التى ابرمها العراقيون مع ايطاليا وفرنسا ، تطلعوا الى تحقيق المزيد من التصالون مع دول اخرى كذلك . وكانت البرازيل من بين هذه الدول . وفى ٨ يناير ١٩٨٠ توصل البلدان الى اتفاق تزود البرازيل بمقتضاه العراق بخام اليورانيوم ويورانيوم مخصب ذى درجة « منخفضة » ووصل العلماء البرازيليون الى بغداد فى شهر يونيو ١٩٨٠ لاختيار احتمالات تعدين اليورانيوم فى العراق ذاته . وكان العراقيون يزرون ان اتفقتهم مع البرازيل هام للغاية ، نظرا لانه كان من المفترض ان البرازيل تحصل على تكنولوجيا تخصب اليورانيوم من المانيا الغربية . ومن ثم كان العراق يتوقع ، بدوره ، ان يحصل على هذه التكنولوجيا من البرازيل ، الامر الذى يفتح امامه خيارا جديدا لانتاج القنبلة .

كما كان العراقيون يحاولون تجميع اكبر كمية من اليورانيوم يمكنهم الحصول عليها من جميع انحاء العالم . وفى عام ١٩٨٠ اشترى ١٢٠ طنا من البرتغال و ٢٠٠ طن من النيجر . وكانوا يمتزمون شراء اليورانيوم من المغرب فى المستقبل . وكانت مصادر المخابرات الغربية تصرخ ان عملاء العراق حاولوا شراء يورانيوم منخفض الدرجة من دول اخرى دون ان ينجحوا فى ذلك . وقد استخدبوا فى هذا المجال من النشاط ، خدمات المتعاملين فى صفقات الاسلحة وبعض الاطراف المريبة فى العالم الثالث .

ولقد كانت المفاوضات بين العراق وباكستان سرية مثلما كانت تتطوى على أهمية بالغة . فكما قلنا بالفعل ، توجد لدى باكستان أكثر تكنولوجيا نووية متقدمة في العالم الإسلامي . وتفاصيل ضئيلة بشأن هذه المفاوضات قد عرفت حتى الآن ، لكن من الواضح ان الاتفاقات بين هاتين الدولتين يمكن ان تكون في مجالات حساسة مثل اليورانيوم المخصب وفصل البلوتونيوم بل حتى بناء 'جبهة نووية' .

ويحلول منتصف عام ١٩٨٠ ، لابد ان صدام حسين ، الذي أصبح رئيسا للعراق منذ العام الماضي ، كان يشعر بالرضا البالغ ازاء ما تحرز به بلاده من تقدم في الاتجاه النووي .

نفى نهاية شهر يونيو ١٩٨٠ شحنت فرنسا الى العراق اول (١٢ كيلو جراما) من يورانيوم مخصب تبلغ درجة جودته ٩٣٪ وكان من المقرر ان تسلم العراق من فرنسا حوالي ٨٠ كيلو جراما من هذا النوع من وقود المفاعل لتشغيل مفاعليها تموز - ١ وتموز - ٢ ، واذا كانت العراق قد اختارت منهاجا صريحا يحقق لها انتاج لثقلية، فان عليها ان تحصل على ٨٠٠ كيلو جراما من يورانيوم اى يمكنه لانتاج ما بين ٤ الى ٦ « قنبلة » في قوة قنبلة هيروشيما . غير ان هذا الخيار كان ملائما بحسب في حالة وجود وضع طارئ . وفي المدى الطويل ، كان صدام حسين ورفاقه في حزب البعث يتوقعون تشغيل كلا المشروعين - ١ و ٢ - تموز الفرنسي الصنع ، و ٣٠ يوليو الايطالى الصنع . في نهاية عام ١٩٨٠ . وكان الجمع بين المشروعين من الممكن ان يوفر للعراق قودة بلوتونيوم على الفور . وقد وصف كبار العلماء النوويين العراقيين « للرجل القوي في بغداد » كيف سيستمررون في المشروع من اجل انتاج البلوتونيوم اللازم لانتاج القنبلة بعد ان يخاطر العلماء والفنيون الاجانب المشروع .

واستطرد العلماء العراقيون شارحين لزعيمهم كيف يمكنهم بناء لجهته من التسهيلات والاجهزة التي حصلوا عليها من فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول ، صنع القنبلة بأنفسهم .

وقد حدث هذا في صيف عام ١٩٨٠ . ووعد العلماء العراقيون صدام حسين بانه اذا لم يحدث شيء غير متوقع ، فان مشروع ١٧ تموز سيتم انتاجه في غضون اقل من عام .

وكان صدام حسين يشعر بالارتياح ، وهو يفكر في الخطة التي عرضها عليه العلماء . وكان يأمل في اتمام هذا المشروع في اسرع وقت ممكن . غير انه عندما اخذ في اعتباره العقبات التي كانت تعترض المشروع في ذلك الوقت ، والطرق الفاضلة للمفاعلات ذاتها . وطن نفسه على مجابهة مشاكل اكثر من الذي تنبأ به العلماء المتفائلون .

الجزء الثاني

صنع القرار

٧ - تهذير - التخريب في فرنسا

عل الرغم من أن العراقيين كانوا في صيف ١٩٨٠ يعضون قدما في تنفيذ برامجهم النووية ، كان عليهم أن يواجهوا الكثير من الصعوبات ، والتأجيلات منذ بدا المشروع في عام ١٩٧٥ ولابد أن مجموعة من الضغوط الدبلوماسية مقترنة بضغط تآمرى غامض - قد حذرتهم من أن الطريق الى انتاج القنبلة لن يكون سهلا .

ولقد تعرض الاتفاق الاساسي بين العراق وفرنسا بشأن اقامة مشروع ١٧ - تموز للهجوم على ثلاث جبهات .

اولها : انه كان هناك انشقاق داخل فرنسا بشأنه . ذلك انه فور توقيع الاتفاق احتج (اندريه جيرو) رئيس لجنة الطاقة النووية الفرنسية ، لان الاتفاق قد يسمح للعراق بالانضمام للنادي النووي الخاص كما احتج كذلك مسئول بالحكومة الفرنسية ضد الاتفاق ، زاعما انه قد يؤدي الى توقيع اتفاقات مماثلة مع دول عربية اخرى من بينها ليبيا . ذلك ان الشرق الاوسط عندما يصبح منطقة نووية وتكون القنبلة في حوزة حكام مثل القذافي وصدام فان ذلك سيكون خطرا بالنسبة لفرنسا كما هو خطير بالنسبة لاسرائيل .

ولقد كان لـ (جاك شيراك) رئيس وزراء فرنسا عام ١٩٦٧ وجهة نظر ازاء الاتفاق . فقد كان ينظر الى العراق على انها ستكون دولة عربية فائدة في المستقبل ، وأهم مورد للبترول لفرنسا ، ولم يكن شيراك صاذجا ، وكان يمكنه ان يخطر جيدا الى السبب الذي يجعل صدام حسين مهتما جدا بمشروعه الباهظ التكلفة ومع ذلك قرر ان الاتفاق يجب ان يتم من اجل مصلحة فرنسا مهما كانت العقبات التي تنشأ بسببه ، ومن ثم هدد باقصاء (اندريه جيرو) من منصبه اذا لم يتم الاتفاق . وكان في وسع رئيس الوزراء الفرنسي تجاهل رأى المسئولين المهنيين ، الا انه لم يكن في استطاعته تجاهل الاحتجاج الامريكى .

والواقع ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تعتبران اكثر الدول المؤثوق منها فيما يتعلق بمراعاة اتفاقية حظر الانتشار النووي . اذ تتمتع الدولتان بتكنولوجيا متقدمة في المجال النووي، وقد بذلت الدولتان غاية ما في وسعهما لمنع الانتشار النووي . كما كان في وسع الولايات المتحدة التأثير على السلوك

الفرنسي . لانها تد فرنسا بمعظم محتاج اليه من اليورانيوم المخصب من اجل تشغيل مفاعلات على نبط اوزوريس . ويبدو ان الادارة الامريكية هدعت فرنسا بفرض حظر على اليورانيوم المخصب الامريكي الذي تنقله فرنسا الى العراق ، غير ان الفرنسيين اكتشفوا سبيلا فعالا للتعطيل على هذه العقبة ، فقد قرروا تزويد العراق بيورانيوم من المخزون الاستراتيجي العسكري لفرنسا . وقد بولي الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستان) بنفسه الاشراف على موضوع المساعدات الفرنسية للعراق حتى ينجب اي ضغوط اى اخرى او تعطيل للمشروع .

غير انه كانت هناك دولة اخرى لاتزال تخشى المشروع العراقي واعربت عن احتجاجها ضد المساعدات التي يقدمها الفرنسيون للمشروع . ففي بدايه عام ١٩٧٦ ، وبناء على تعليمات من (ايجال يانين) وزير الخارجية الاسرائيلي زار (مورد خاي جازيت) السفير الاسرائيلي لدى فرنسا مقر رئاسة الوزراء الفرنسي فلقد كان الاسرائيليون منذ وقت طويل يشعرون بالقلق ، بالطبع ، من المفاوضات الفرنسية العراقية ، اما الان وقد وقع الاتفاق بين البلدين ، فان (جازيت) قد طالب الحكومة الفرنسية بان تقدم لبلاده ايضاحات حول هذا الاتفاق كما احيى لدى رئيس الوزراء الفرنسي . غير ان احتجاجه لم يسفر عن اي نتيجة ، وذهب سدى .

ففي ١٧ سبتمبر ١٩٧٦ . صدق برلمان الدولتين على الاتفاق واذا كان بعض اعضاء البرلمان الفرنسي قد احتجاجا على التعاون الفرنسي العراقي ، الذي قد يؤدي الى خيار نووي ، فلان (جيسكار ديستان) و (شراك) لم يواجها اية مشاكل بالنسبة للحصول على تأييد غالبية اعضاء البرلمان الفرنسي .

وفي شهر ديسمبر ١٩٧٦ . وقع حادث آخر كشف الى اي مدى كان العراقيون جادين في تحقيق خيار نووي من خلال مشروع ١٧ توز . فلقد دعا (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الامريكي - الذي كان مدركا للنظريات المحتملة في العالم الثالث ، اذا ما استمرت دول اوربية غربية في تزويد دول من الدرجة الثانية والثالثة بتسهيلات نووية ، مما يزيد من الانتشار النووي - الدول الغربية الى عقد مؤتمر في لندن لبحث هذا الموضوع ، وقد وافق المؤتمر اندي اشتركت فيه الدول الغربية المتقدمة في هذا الميدان الخاص (من بينها المملكة المتحدة وفرنسا والمانيا الغربية ، وايطاليا ، وكندا واليابان ، والولايات المتحدة) على ضرورة فرض قيود أكثر تشددا مما تفرضها اتفاقية حظر الانتشار النووي على مسألة التعاون النووي مع دول العالم الثالث . وكانت فرنسا مضطرة الى التوقيع على هذا الاتفاق العلم ، وقد اعلنت نتيجة لهذا الغاء اتفاقها بتزويد باكستان بمحمن لانتاج اليورانيوم المخصب . ولكن مما يدعو الى الغرابة ان فرنسا لم تقل كلمة واحدة حول المشروع العراقي . كما التزم الامريكيون الصمت بشأنه .

وطولها عام ونصف لم يتغير أى شئ، ولقد كانت فرنسا والعراق نشعمران
بفرنسا فلذلك ان مشروع تيز (وكذلك مشروع ٣٠ يوليو الابطالى ، بجرى
المصل فيه دون عقبات . ولقد كانت الشركة الفرنسية (نافالست
آيه ستيلاليس دى لايمدينبيال ، التى تعاقدت على بناء قلبى المفاعلين قد انتهت
بمبشها . وكان من المنتظر شحن هذين القلبين من جنوب فرنسا الى العراق فى
٩ ابريل ١٩٧٩ . غير ان هذه الشحنة لم تغادر الاراضى الفرنسية .

على ٤ ابريل ١٩٧٩ ، وصل الى طولون على الشاطئ الفرنسى ٣ سائحين
بحلون جوازات سفر اوروبية . وبعد ذلك بيومين . اى فى ٦ ابريل ، وصل
٤ سائحين آخرون وانضموا الى اصديقاتهم الذين كانوا يقيمون باحد الفنادق
الصغيرة بالمدينة . وفى تلك الليلة ، غادروا طولون فى سيارتين منجهين الى
« لسيى - سير مير » بالقرب من كوت دازور ومى احد الملاهي . التابعة للشركة
الفرنسية بميناء المدينة كان قلبا مفاعلى تيز - ١ ونيز - ٢ على استعداد
للمشغنها خلال ٤٨ ساعة الى العراق . ولم تكن اجراءات الامن فى
الميناء جيدة .

ولذلك ، لم يجد فريق الاشخاص السبعة القوى اية صعوبة تعترض
طريق دخولهم مكان قلبى المفاعلين العراقيين . ونشرت الصحف الشعبية
فيها بعد - حكايات تصف فيها : كيف حاولت المجموعة سرقة بعض عناصر
من قلب المفاعل ، الا ان هذه الحكايات ثبت انها محض خيال . لقد انجزوا
مهمتهم على وجه تام . لقد اوصلوا شحنات متفجرة بقلبي المفاعلين . وقد قام
خمس رجال بهذه المهمة ثم لحقوا بالرجلين الآخرين اللذين كانا ينتظران فى
الخارج لتفليطتهم . وقد عاد الرجال السبعة الى سيارتهما . وخلال خمس
دقائق ، كانوا قد غادروا المدينة الصغيرة بينما كان سكانها لا يزالون نائمين .
وفى الساعة الثالثة صباحا دوى انفجار فى الميناء ولم تكد تضى دقائق قليلة
حتى دوى انفجاران آخران .

واندمع البوليس وجهاز المخابرات الفرنسية والخبراء العسكريين الى
الميناء حيث موقع الانفجارات . وهناك وجدوا بقايا قلبى المفاعلين - كومة من
المواد المحترقة . وقد تعرف احد الخبراء عليها . كما عثر البوليس فى نفس
المكان على ٣ شحنات اخرى لم تنفجر . وبامستثناء قلبى المفاعلين لم تدم
اية معدات اخرى .

ولم يكشف النقاب عن شخصية وجنسية الفريق المقاتل الذى قام بهذا
العمل البالغ الاحتراف وايا كانت التخمينات والتكهنات ، فمن الواضح ان هناك
عددا كبيرا من القوى الأجنبية التى كانت ترى ان المشروع العراقى يعد تهديدا .

وعقب الفارة السرية تلقت صحيفة « الموند » وغيرها من الصحف
الفرنسية الرئيسية مكالمات تليفونية مجهولة من افراد منظمة تسمى « جياحه

البيثة الفرنسية، زعموا انهم دمروا المعدات المراقبة حتى يشلوا فعالية الاسلحة الخطيرة « من اجل مستقبل الجنس البشرى » ولم يكن احد قد سمع عن هذه الجباعة قبل ذلك ، كما لم يسمع عنها احد بعد ذلك . ولم يساور المخابرات الفرنسية اى شك فى انه لا توجد اية جماعة من ائصار البنية بيكتها ان تقوم بهذه العملية المعقدة التى لا يضطلع بها غير محترفين . ولذلك فان شكوى المخابرات الفرنسية اتجهت الى منظمات اخرى . وكلفت المخابرات الاسرائيلية (الموساد) هى اكثر هذه المنظمات المرجح اضطلاعها بهذه العملية ، واكثرما احتراما تبعا لما ذكرته اجهزة الاعلام الفرنسية .

ذلك ان المخابرات الاسرائيلية حققت شهرة ملحوظة خلال وجودها القصير من بين المنظمات التى قامت بها هذه المخابرات تلك العملية التى نفذتها و بداية للمستينيات لتقويض جهود عبد الناصر للحصول على صواريخ ارض - ارض - مزودة برؤوس غير تقليدية ولم يساور الفرنسيون اية شكوك فى ان لاسرائيل مصلحة مباشرة فى ابطاء المشروع العراقى او حتى وقف تنفيذه كما لم يساورهم اى شك كذلك ، فى ان الموساد كان بيكتها تنفيذ هذه المهمة . وقد تكهنت اجهزة الاعلام الفرنسية بان الاسرائيليين كان فى وسعهم القيام بهذه الغارة ، ولكن بعد حصولهم على مساعدة من الداخل وتردعت طلبات بان علماء من وكالة الطاقة النووية الفرنسية قد زودوا الاسرائيليين بمعلومات لتنفيذ هذه المهمة واذا ما اخذنا فى الاعتبار ان بعض هؤلاء العلماء كانوا يتركون جيذا الاهداف العراقية ، وكانوا يشعرون بالقلق تجاهها ، فان هذا الامر ينطوى على معنى واضح . كما ان للاسرائيليين تاريخا من العلاقات مع فرنسا . بل ان مثل هذه الاتصالات ربما كانت لاتزال قائمة حتى بعد التغير الذى تنبأ به العلماء المعتدلون .

بل ان صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » الامريكية قد ذهبت الى ما هو ابعد من ذلك فقد المحت الى ان الغارة قد قام بها موظفون فى المخابرات الفرنسية ممن ادركوا اخيرا ان الاتفاق مع العراق قد يشكل خطرا على دول اخرى فى الشرق الاوسط وان هذا يعد ضد مصالح فرنسا ذاتها . وان رنصف قلبى المفاعلين كان الاجراء الاخير الذى كان فى وسعهم القيام به لابقاء السيطرة على النشاط العراقى دون الحاق الضرر بالعلاقات الفرنسية العراقية .

غير ان دولا ومنظمات اخرى قد تردد ارتباطها بالغارة . فقد ذيعت مجلة « لوبوان » الفرنسية الى ان المخابرات المركزية الامريكية قد قامت بهزم الغارة من اجل تجنب الانتشار النووى فى جزء استراتيجى هام فى العالم . وكنت ليبيا بزراعة العقيد القذافى احدى الدول التى اشتبه فى قيامها بالغارة وتبعها لهدده الرواية الاخرى ، يكون الارهابيون التابعون لمنظمة التحرير الفلسطينية قد نفذوا الغارة لصالح القذافى الذى دفع لهم مبلغا سخيا من المال . كما ان الروس

والسوريين - بل والعراقيين أنفسهم - كانوا موضعاً للشبهات على نحو أو آخر . وفكرت مجلة « شتيرن » الألمانية الغربية ان مصدراً في المومسات / المخابرات الاسرائيلية) قد كشف التفاصيل الكاملة للغارة غير ان بعض هذه التفاصيل ثبت زيفه تماماً .

ولكن الافتراض الأكثر ترجيحاً هو ان الاسرائيليين قد نفذوا الغارة . ذلك ان لديهم الخبرة والقدرة على تنفيذها وما هو أكثر من اى شيء آخر انهم لديهم الدافع ، على الرغم من ان هذا لا يستبعد احتمال حصولهم على مساعدات ومعلومات من مصادر خارجية .

وقد كشفت تكتلات أجهزة الاعلام حقيقة هامة للغاية فيفض النظر عن اسرائيل ، كان يوجد عدد كبير من الدول الأخرى في الشرق الأوسط وفي كافة أنحاء العالم ممن لديهم مبرر للشعور بالخوف من المشروع العراقي . وكثت هذه الغلظة بالنسبة للعراقيين تحذيراً لهم . ولكم أثروا تجاهل التفجير ، غير انه لم يكن يمتضى عام حتى حدث نذيراً آخر .

كان يحيى المشد عالماً مصرياً في الحسين من عمره وكان له ماضى (أكاديمى) طيب فهو حاصل على شهادات دراسية من الجامعات الأمريكية والروسية . وكان زملاًؤه ، يعتبرونه عالماً من الصف الأول في ميدانه ، وكان خلال الستينيات يدرس في جامعة الاسكندرية بمصر . ويعمل كمعالم في مركز الأبحاث النووية المصرية في انشاص .

غير انه يبدو ان مصر ، التي تخلصت عن الخيار النووي خلال الستينيات والسبعينيات ، قد ضاقت بالنسبة لعالم جاد وطموح ، ولذلك عندما بدأت الحكومة العراقية مشروعها النووي عرضت على المشد ان يتولى منصباً جديداً . وكان العرض العراقي طيباً من وجهة نظر العالم المصرى . فلقد كان لدى العراقيين الامكانية والارادة لتنفيذ مشروع نووى وكثت النقود التي

دفعوها له حافزاً اضافياً . وقد عين المشد في منصب كبير في مشروع تموز . وفى صيف ١٩٨٠ ذهب الى فرنسا حيث وصلها يوم ٦ يونيو وبمه تعليمات من الحكومة العراقية بفحص المعدات والمواد التي سيجرى شحنها لبغداد وكانت هذه النشحنة تضم عنصراً هاماً للغاية وهو اول ١٢ كيلو جراماً من اليورانيوم المخصب بنسبة ٩٣٪ والذي من شأنه ان يقرب العراق من الخيار النووي مباشرة . وقد امضى العالم المصرى ما يزيد على اسبوع في فرنسا ، وخاصة في المركز النووى الفرنسى في (فونتينا - اوريث) وفي (ساكلا) و (كلدراش) ، و (بيريلات) . وفى يوم الجمعة ١٣ يونيو عاد الى فندق (ميريديان) في باريس بعد أن اشترى سلماً لعائلته استعداداً للعودة الى الوطن وقد علقت على جبرته رقم ٩٤١ طوال ليلة الجمعة اشارة مكتوب عليها « رجاء عدم الازعاج » .

وعنما جاءت خادمة الغرفة الشابة لتنظيفها صباح السبت لم نعرف من ترجع الضيف أم لا . وبعد تردد استغرق دقائق قليلة قررت أن نفتح الحجرة .

وكان المشهد الذي رآته يثير الفزع فقد كان جسد العالم المصري ملقى في السريرين الموجودان بالحجرة وكانت السجادة تنضج بالدماء وكان قد فارى الحياة ، بينما هضمت رأسه .

وقد اكتشف البوليس الجنان صباح السبت ، غير أن مستارا من السرية قد احاط بعملية القتل . وفي يوم الخميس ١٧ يونيو سمح للصحاف الفرنسية بنشر نبأ الجريمة العالقة وكان النبأ يشير الى كل شيء حول شخصية المصري الذي اغتيل . ويبدو ان الحكومة الفرنسية قد اجرت اتصلا مع العراق قبل السماح بنشر قصة الاغتيال .

وكان اغتيال المشد يرتبط ارتباطا مباشرا بالعملية النووية العراقية . فقد كان يعمل في مشروع نوز ، وكلن من اكثر العلماء تدريبا . ويرجح انه كان لفضل عالم عربي عمل في العراق .

وسرعان ما اكتشف البوليس الطابع الخاص للفندق الذي كان يقم فيه المشد فقد كان من المعروف ان شابات صغيرات يتسمن بالجاذبية يقدمن خدماتهن الخاصة للضيوف وكانت احدهن تسمى (ماري كلود ماجال) وهي في الثانية والثلاثين من عمرها ، وهي التي قالت : اننا قدمت عرضا وديا للمشد في نفس المساء الذي قتل فيه . فقد زعمت انها قابلت العالم عند مدخل الفندق واصطحبته حتى حجرته ، التي دخلها بعد ان رفض عرضها . وقد انتظرت خارج الغرفة عدة دقائق يحدوها الامل في ان يغير رأيه ولكن دون جدوى . وبينما كانت لا تزال منتظرة في الممر بين الحجرات كان في سمعها ان تسمع اصواتا قادمة من حجرته ولكن لم توجد اية دلائل على نشوب قتال في اطلاق رصاص .

وقد روت فتاة الليل الشابة قصتها هذه للمخابرات الفرنسية في اول يوليو ١٩٨٠ . وعنما ارادت المخابرات استدعائها لاجراء استجواب آخر معها تبين لهم انها قتلت بعد ان تعرضت للهجوم عليها في ١٢ يوليو وقد مارقت الحياة .

ومرة اخرى ، وكما حدث بالنسبة للفايزة على طلي المفاعلين منذ ١٤ شهرا مضت ، لم تستطع المخابرات الفرنسية تعقب آثار قتلة المشد . بل ان المخابرات لم تتمكن من تحديد الدافع للاغتيال - هل هو عاطفي أم جنسي أم اجرمي أم سياسي . و (حانظلة نقود) المشد تركت في جيبه وبها ١٤٠٠ فرنك

ومله الحقيقة جعلت المحققين يستبعدون السرقة كدافع لارتكاب الجريمة ، ومن ناحية أخرى ، جرى اغتياله بطريقة وحشية مما يشير فيما يبدو الى ان قاتله ليس عميلا محترفا . وكما كان الامر بالنسبة للفارة ، لم يستطع رجال البوليس الاخصائي ما حدث . فقد استنتجوا ان رجلا دخل حجرة المشد بينما كان في الخارج . ويمكن ان تكون مناة الليل الشابة قد أغرته لإبقائه خارج الحجرة . وإلا كان الامر ، فانها فشلت ، ودخل العالم حجرة . وقد فوجيء الرجل الذي كان بداخل الحجرة بينما كان يفتش في أوراقه (ومن المرجح مذكراته) ولم يجد امامه مناصا عن قتله ، وتبعاً لهذه الرواية ، فان وفاة المشد لا تعتبر امحالا . بل تعتبر وفاته حادثا .

لحرم انه توجد رواية أخرى تشير الى ان العميل او الصلاء قد خططوا في الواقع لاغتيال المشد ، حتى يكون اغتياله مبررة لكل العلماء الذين يشاركون في المشروع العراقي . وقد أثار هذا التحذير الوحشي مخاوف بعض العلماء الفرنسيين والاطاليين ، بيد ان العراقيين تمكنوا من التغلب على هذه المشكلة . وعلى الرغم من الروايات المختلفة للقصة ومن حقيقة ان المخابرات الفرنسية لم تستطع تعقب القنلة ، كان هؤلاء العلماء واثقين من شيء هو : ان هذه السيدة الفرنسية الشابة قد قتلت ، وان الذي دبر عملية قتلها كان ايضا مسؤولا عن وفاة المشد .

ومرة أخرى ، ارتبطت الموساد بهذه القضية غير ان مصادر المخابرات الفرنسية أعربت عن اعتقادها بان حادث اغتيال المشد كان عملا من اعمال الهواة . وان الموساد على قدر كبير من الاحتراف بحيث لا تضطلع بمثل هذه المهمة القذرة . وقد نفى الاسرائيليون انفسهم نفيا قاطعا بمسئوليتهم عن هذا العمل .

وبعد وقت قصير من اغتيال العالم المصري ، ذكرت مصادر ان الصلاء السوريين الذين يعملون لحساب السوفييت قد ارتكبوا هذه الجريمة . وترى هذه المصادر ان الروس ، كانوا يريدون معرفة المرحلة التي وصل اليها مشروع تموز وكان من المفترض ان السوريين يصورون اوراق العالم عندما فاجأهم . وعندئذ قتلوه . ثم غادروا الفندق .

وكما هو الحال بالنسبة للفارة بالقرب من طولون ، اثبتت التكهات المتضاربة نقطة هامة وهي ان للشروع العراقي اعداء كثيرون ، وان حكومات كثيرة كانت مستشعر بالسعادة اذا ما رأت المشروع وهو يهوى ، وان بعضها ربما عمل تبعاً لهذا الطوح . ولكن يبدو ان العراقيين قد تجاهلوا مرة أخرى ، هذه الدلائل ، وذلك التحذير .

٨ - تحليل : تمزيق الخيط

ان لاسرائيل صحافة حرة ولكن من المعروف جيدا انها مثل اى صحافة في دولة ديمقراطية اخرى ، يمكن ان تناور لتركز على موضوع تطلب الحكومه الاهتمام به . ولذلك ، ظلت الصحافة الاسرائيلية ، طوال شهور عديدة هادئة نسبيا في تناولها للمشروع العراقي ، بالرغم من انه كان ربما يعتبر اكثر التهديدات خطورة حتى الآن بالنسبة لوجود الدولة اليهودية ، غير انه فجأة ، وفي منتصف شهر يوليو ١٩٨٠ ، بدأت الصحف الاسرائيلية كلها والتلفزيون كذلك في مناقشة المشروع العراقي ومسألة التعاون بين العراق وفرنسا وابطاليا . وكانت مقالات تنشر تحت عناوين مثل « القنبلة العربية النووية : سبب يبرر الحرب بالنسبة لاسرائيل » واسرائيل تعتبر المفجرة الفرنسية (في العراق) سبيلا لادخال الشرق الاوسط الى العصر النووي » وكانت مثل هذه العناوين ظاهرة جديدة في الصحافة الاسرائيلية .

والواقع ان (رفايل ايتان) رئيس الاركمان الاسرائيلي ، والذي يعرف بانه شخص هادئ جدا ومتواضع قد اجاب ردا على سؤال على الجهود العراقية بشأن القنبلة ، خلال حديث للتلفزيون الاسرائيلي - اجاب بقوله : اذا ما حصل العراقيون على القنبلة ، فسيكون ذلك كما لو ان كافة بلاد المنطقة قد ملقت من شامق بخيط رفيع . وان اية محاولة لاستخدام القنبلة النووية ستؤدي على الفور الى تمزيق هذا الخيط وتدمير هذه الدول .

ولقد كان من يجري الحديث مع ايتان ، ماهرا بما يكفي لان يساله عما يقصده من العبارة السالفة . بيد ان اجابة ايتان كانت تتسم بالغموض على نحو ماهر . فاذ ما انتجت العراق القنبلة ، فان الشرق الاوسط بأسره سوف يكون رهينة لديها . وان اية محاولة من جانب العراقيين لاستخدام القنبلة ضد اسرائيل ستؤدي الى اندلاع معركة كبرى فاصلة في الشرق الاوسط . وربما كانت هذه اشارة الى دول الشرق الاوسط الاخرى ومن المفترض ان تحذير ايتان قد قصد به دول عربية اخرى في الشرق الاوسط كان من مصلحتها ، مثلما كان من مصلحة اسرائيل الا تحصل العراق قط على القنبلة .

غير ان اجابة ايتان ربما كانت تنطوي على معنى آخر كذلك . ان اسرائيل لن تدع قط حاكما متعصبا مثل صدام حسين ليحصل على القنبلة ، نظرا لان وجودها عندئذ سيعتد على سلوكه المجنون وغير المتوقع . ولقد كان مسئولون اسرائيليون آخرون اكثر وضوحا بالنسبة لتحديد رد فعل اسرائيل ازاء المشروع النووي العراقي في المستقبل .

فقد قال (ماتياهو شومبوليفش) وهو أحد كبار مساعدي مناحم بيجير :

رئيس الوزراء ان اسرائيل لا يمكنها الجلوس والانتظار الى ان تسقط القنبلة
الفريه العراقية فوق رؤوسنا .

واشار مسئول كبير آخر ، طلب عدم ذكر اسمه ، الى ان دولا عربية
اخرى في الشرق الاوسط يمتين ان تكون اكثر قلقا من اسرائيل بالنسبة
للمشروع العراقي وقال : « لو ان اية دولة في العالم من المحتمل ان تستخدم
القنبلة ، فان هذه الدولة هي العراق » .

ويضيف انه عندما تحصل العراق على القنبلة اولاً ، فان الروس سوف
يمدون سوريا بأسلحة نووية لانهم يخشون من العراق . وعندئذ ستحصل
ايران على هذه الأسلحة وبذلك تكون هناك اسلحة نووية في حوزة ثلاثة نظم
من اكبر النظم العالمية جنوباً وعدم استقرار .

ويعني هذا ، اساساً ، مصالح الغرب الذي يعتمد على بتروال الشرق
الاطوسط . ذلك ان اندلاع حرب نووية في هذا الجزء من العالم قد تؤدي الى
تفسير موارد البترول في العراق وايران ، كما ان السعودية وبقية ممالك
الخليج (الفارسي) قد تنورط فيها مما يشكل تحطراً بالنسبة لجزء كبير من
احتياطيات البترول في الشرق الاوسط . ومن ثم حاول الاسرائيليون ان
يشرحوا انه من مصلحة السالم الغربي ، مثلاً هو من مصلحة اسرائيل
تجنب وضع مثل هذا . بيد ان الغرب كان ينتهج سياسة قصيرة النظر ذلك
ان فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول الغربية ، كانوا على استعداد لفعل اي
شيء تقريباً حتى يحصلوا على البترول في الحال . وكان في وسع الصهاينة
باعتبارها مورداً كبيراً للبترول لكل من أوروبا الغربية واليابان ان تبتزها
وان تحصل على القنبلة من خلال تعاونهم معها .

ولقد اعطت الحملة العامة التي شنتها الصحف الاسرائيلية في يوليو
١٩٨٠ الاشارة للصحف الاجنبية كي تنضم الى الاسرائيليين .

فعل الرغم من ان اسرائيل لم تكن الموضوع الاكثر شعبية وتماطلا في
صحافة أوروبا الغربية ، نجد الصحفيين الغربيين فهموا أهمية ما كان يحدث .
وكان ان تدفق سيل من القصص الاخبارية والمقالات عن المفاعل العراقي ،
والتعاون بين العراق وبعض دول أوروبا الغربية .

ولو كانت الحملة الصحفية الجديدة التي اضطلعت بها الحكومة الاسرائيلية
قد اثارت اهتمام العالم ازاء هذا التهديد لا يمكن اعتبار انها نجحت جزئياً
غير ان الحملة كانت موجهة بصفة خاصة لبلد واحد هو العراق .

ففي العديد من المقالات التي نشرت في الصحف الاسرائيلية والاجنبية
على السواء كان يتردد باستمرار تحذير واحد مفاده : ان المشروع العراقي
يعتبر مسألة حياة او موت ، وان اسرائيل ستبذل أقصى ما في وسعها لمنع

الانشاء الاسلحة النووية في العالم العربي . وفي ضوء وجهة النظر هذه
أعلنت اسرائيل في صيف ١٩٨٠ اعلانا بالنوايا ، بالرغم من انه لم يكن
اعلانا رسميا .

وقد نشرت هذا مجلة « تايم الامريكية » في عدد اغسطس ١٩٨٠ فقد
اشادت الى ان اسرائيل وجهت انذارا صامتا مفاده انها اذا اعتبرت ان
العراق أصبحت على وشك الحصول على القنبلة ، فانها قد تشن غارة وقائية
ضد المفاعل العراقي . وقد استند هذا الافتراض على حديث أدلى به اسحق
حسامي وزير خارجية اسرائيل للمجلة . وقال فيه : « ان المفاعل العراقي
قد يفجر لزاما في المنطقة ويلقى الجهود المبذولة لتحقيق السلام » ، ولا توجد
اشارة يمكن ان تكون أوضح من هذا الى الكيفية التي كان يرى بها
الاسرائيليون المشروع النووي في العراق في صيف ١٩٨٠ . بيد ان العراقيين
أفروا تجاهل حتى هذه الاشارة . وسرعان ما كان عليهم ان يعلموا ان الحملة
ضد جهودهم قد تحولت الى عالم العمليات السرية القاسي والصلابت .

لقد كان (ماريو فيوريللي) هو المدير العام للشركة الإيطالية المشتركة في
المشروع وطبقا للمقدد الموقع بين العراقيين والشركة ، وافق الايطاليون على بناء
مفاعل « ساخنة » وأخرى باردة في نطاق مشروع ٣٠ يوليو (تموز) مسن
شأنها ان تمكن العراقيين من بناء «صنع مستقل لفصل البلوتونيوم ، وكان
هذا هو هدف الوكالة الفاضة التالية التي تعمل ضد المشروع العراقي .

في ليلة ٧ اغسطس ١٩٨٠ ، انفجرت قنبلة صغيرة بالقرب من باب
شقفة (فيوريللي) في شارع (ديلا لانجريتا) بروما . وكانت الحسائر المادية
التي أسفر عنها الانفجار ضئيلة . ولم يصب أى شخص . فلم يكن فيوريللي
بشقيقه لانه كان خارج المدينة .

وفي الوقت نفسه ، انفجرت قنبلتان أخريان في مكاتب الشركة الإيطالية
وكانت الحسائر المادية جسيمة . فقد جرى تدمير الاثاث وجهاز التكييف . وقد
غطت بالجلودان تقريبا سببها الانفجار .

ولم يتمكن جهاز الامن الايطالي من تعقب المنظمة التي دبرت هذه
الانفجارات ، وهي مجموعة يطلق عليها « لجنة حماية الثورة الاسلامية » اعترفت
بالانفجارين . ولم يكن أحد قد سمع عن هذه المجموعة ، سواء قبل الحادث
أو بعده ، ولذا تمذر على الايطاليين التعرف عليها . غير أنهم كانوا واثقين
من شيء واحد هو ان هذه الانفجارات مثلها مثل الهجوم على «طلبي المفاعلين»
العراقيين في أبريل ١٩٧٩ واغتيال المشد في يونيو ١٩٨٠ ، تعتبر بمثابة
تحذير للعراقيين . غير ان التحذير هذه المرة كان ينطوي على غرض مزدوج .
فالمرة الأولى لم تكن ممدات عراقية أو عالم عربي حما الهدف ، وإنما كان
الهدف شركة إيطالية ، وقد دمرت . وكان الهجوم على شقفة (فيوريللي) يمتنى ان

الذين دبروه يقصدون توجيه تحذير الى كافة الاوربيين الذين يشتركون في المشروع العراقي .

وكانت الرسالة التي وجلت بالقرب من شقة فيوريللي تشير الى انباء جديد في الحلة ضد القنبلة العراقية . فقد جاء بالرسالة ، ضمن اشياء اخرى ، « اننا نعلم عن تعاونك الشخصي مع اعداء الثورة الاسلامية » . وان اولئك الذين يتعاونون مع اعدائنا سيكونون لعداء لنا » . واستطردت الرسالة مطالبة بان تنهى الشركة الإيطالية تعاونها مع العراقيين لتجنب اراقة الدماء . وانتهت بتوجيه تحذير شخصي : « اذا لم تفعل ذلك ، سوف نهاجمك انت وعائلتك بدون رحمة » .

وفي اعقاب الهجمات التي وقعت في روما ، ارسلت خطابات تهديد الى علماء اوربيين آخرين في فرنسا وايطاليا بل في العراق ، كانوا يشتركون في المشروع العراقي . وقد ارسلت الخطابات للعلماء الذين كانوا يعملون بالفعل في المشروع من داخل العراق . ولم يكن هذا لتوفير النقود وانما ليتبين للعلماء والفنيين الاوربيين ان الذين يهددوهم قريبون جدا منهم ، وان في وسمهم تنفيذ تهديداتهم اذا لم ترضهم نتيجة هذه الخطابات .

وكانت كافة المحادثات موقعا عليها من جانب نفس المجموعة التي اعلنت مسؤوليتها عن انفجارات القنابل في روما والتي تسمى « لجنة حماية الثورة الاسلامية » . وكان هذا الاسم يوحى بجماعة موالية للخميين داخل العراق شعرت بتهديد المشروع العراقي لها . غير ان اجهزة الامن التي حقلت في الامر كانت واثقة من ان أية جماعة ايرانية لا يمكنها ان تنفذ مثل هذه العملية التي لا يضطلع بها الا محترفون . ومرة اخرى ، وجه اللوم الى المخابرات الاسرائيلية (الموساد) التي نفذت عملية مماثلة ضد العلماء الالمان الذهن كانوا يتعاونون مع عبد الناصر في مستهل الستينيات .

وعلى الرغم من ان عملية الابتزاز هذه قد نفذت بطريقة تتسم بالاحتراف نجد ان تأثيرها ، في حد ذاتها على المشروع العراقي كان ضئيلا فقد فكسر بعض العاملين الاجانب في المشروع ، فيما يفعلونه . وبعضهم تجاهل ذلك كلية . وقد وعدت الحكومة العراقية وكذا الحكومة الفرنسية والسلطات الإيطالية العلماء الخائفين بانها ستكفل حياتهم ومن دبروا هذه الهجمات ايا كانوا .

وفي منتصف هذه العملية السرية ، نشبت الحرب بين العراق وايران . وكان صدام حسين يتوقع تحقيق انتصار سريع على القوات الايرانية في هجوم خاطف . غير انه سرعان ما ادرك ان مبادرته هذه قد دفعت بالعراق في معركة طويلة واثبت الجيش العراقي انه اقل كفاءة مما كان يخشى اعداؤه .

٩ - التحذير الأخير : الهجوم الإيراني

بدأت الحرب بين إيران بزعامة الخميني والمراق برئاسة صدام حسين في ٢١ سبتمبر ١٩٨٠ . وقبل نشوب هذه الحرب بأربعة أيام ، أعلن الرئيس العراقي إلغاء اتفاقية عام ١٩٧٥ المبرمة بين المراق وإيران حول الاستخدام المشترك لسطح العرب .
ولقد كان لهذه الحرب بعض الآثار المباشرة على مشروع تموز . وقد وُلح أولها في ٣٠ سبتمبر .

ذلك أنه منذ بدء الحرب ، كانت الطائرات المقاتلة الإيرانية والمراقية تلمس أهداف كلا البلدين على نحو تكنيكي واستراتيجي - ولقد أثبت الدفاع الجوي لكلا البلدين أنه غير فعال تماما . وكان في وسع الطائرات المقاتلة العراقية أن تصل بسهولة إلى طهران ، بينما كان في وسع طائرات الماتدوم الإيرانية أن تحلق فوق بغداد . وعلى الرغم من أن كلا من المراق وإيران قد قصفتا معامل تكرير البترول وغيرها من الأهداف البترولية لهما ، كان المراقيون واثقين من أن الإيرانيين لن يحاولوا مطلقا قصف المشروع البترولي المراقي .

غير أن المراقيين اكتشفوا في الساعات الأولى من بعد ظهر يوم ٣٠ سبتمبر أنهم قد أخطأوا التقدير . فقد حُلقت طائرتان إيرانيتان من طراز إف - ٤ مزدتان بالصواريخ والمدافع ، على ارتفاع منخفض أثناء اتجاهاهما إلى موقع مشروع تموز الذي يقع على بعد ٢٠ كيلومترا فقط جنوب شرق بغداد . ولقد أطلقت الطائرتان صواريخهما وما في جونهما من ذخيرة مرة واحدة ، ودون أن تقوما ببجولة أخرى من القصف ، ثم اختفيتا خلال ثوان . ولم يجد المراقيون وقتا كافيا للرد عليهما . فلم يطلق عليهما أي صاروخ مضاد للطائرات . وبقيت المدفعية المضادة للطائرات من (طراز سزيو - ٢٣ - ٤) صامتة .

وكان الدمار الذي لحق بمشروع ١٧ تموز طفيفا . ذلك أن المفاعلات ذاتها لم يصيبها أي ضرر ولم يصب القصف سوى بعض المعامل وغيرها من المعدات . غير أن بناء نظام تبريد المياه للمفاعلات قد دمر من جراء أحد الصواريخ الذي أصابه إصابة مباشرة ، كما دمرت بعض منشآت أنابيب المياه ونظم شبكة المواسير . وقد لحق دمار خطير بمستودع تخزين النفايات المشعة السائلة . ولحق دمار طفيف بالجهاز الخاص بالتعامل مع النفايات المشعة .

وقد قدر (رناتيل أبتان) رئيس أركان الجيش الاسرائيلي ، الذي تعتبر مصادر مخابراته في هذا الجزء من العالم من بين أفضل مصادره ، أن المشروع

قد تمكن من البقاء بعد الهجوم الاول عليه ، و اضاف ايتان انه في الدقيقة التي يعود فيها الفتيون الفرنسيون للعمل في المشروع متعبداً تشغيله مرة اخرى .

غير ان الهجوم قد مغل اهراس اى تقدم في المشروع النووي . ففي بدايه اندلاع الحرب ، غادر معظم الخبراء الفرنسيون العراق . وبعد تصف المفاعل ، هادد على الفور بقية الفنيين الاجانب المشروع ولم يبق سوى عدد قليل جدا من الفنيين الذين املتهم السلطات العراقية تصريحا بالدخول لمنطقة المشروع .

وايا كان الامر فان الوقت الجديد كان ينطوى على بعض المزايا بالنسبة للعراقيين فقد كانوا قد شغلوا بالفعل مفاعل تموز - ٢ الصفر باول كمسبة من اليورانيوم المخصب زنتها ١٢ كيلو جراما . ولما كان جزء صفر من هذه الكمية قد استخدم ، فقد بلغوا بنقل بقية الوقود من المفاعل وحفظوه في مكان آمن . وكثت العراق قد التزمت بان تخضع للتفتيش من جانب الفرنسيين والوكالة الدولية للوقاية من النشأة ، لكنها رفضت مثل هذا التفتيش في الوقت الحاضر ، بدعوى ان الحرب مع ايران قد خلقت وضعا جديدا .

غير ان اهم مافي الهجوم الجوي الايراني هو الهجوم في هذه ذاته فهو يسمى بالنسبة للعراقيين انه حتى اكثر مشروعاتهم حساسية معرض للخسارة الجوية . ولقد بدأ العراقيون في الوقت الحاضر العملية بصفة خاصة بنظام الدفاع الجوي بالنسبة للمشروع كله . فقد كانوا يدركون انه اذا ما قامت الطائرات الايرانية بهجوم مرة اخرى ، فانها ستسبب اضرارا فانية ، ولذلك وقعت شركة (طوميسون) للصناعات في فرنسا في اكتوبر ١٩٨٠ اتفاقا قيمته ٩٠٠ مليون دولار مع العراق ، يقضى بان تنشئ الشركة الفرنسية مصنعة الكترونية في مدينة السمرام على ان تبدا بتصنيع اجهزة الراديو والرادار من اجل الاغراض العسكرية . وكان على فرنسا بمقتضى اتفاق آخر تبلغ قيمته ٨٠٠ مليون دولار ، ان تزود العراق بصواريخ جو - جو من (طراز ماجيك ر - ٥٥٠) او صواريخ (اكسوسيت) او صواريخ (شين) ارض - جو . ويبدو ان العراق كانت مهتمة اهتماما كبيرا بشأن دفاعاتها الجوية المضادة للطائرات . ولذلك وقعت في يناير ١٩٨١ اتفاقا آخر مع شركة طوميسون تزود بمقتضاها الشركة العراق بصواريخ خاصة ارض - جو وكذا نظم رادار ذات كفاءة خاصة ضد النظم الالكترونية الامريكية .

وربما كان العراقيون يفهمون معنى الهجوم الايراني الذي وقع في ٢٠ سبتمبر ١٩٨٠ . غير انهم لم يتمكنوا من ان يغطوا الى ما تمده اسرائيل لهم . ففي الوقت الذي علم فيه الخبراء الفرنسيون الى موقع المشروع خلال شتاء ١٩٨١ . كان السلاح الجوي الاسرائيلي يستعد لشن غارة وقائية ضد مشروع تموز العراقي .

١٠ - الثلاثة يقررون

على الرغم من الطابع الفريد والسري للقرار الاسرائيلي الخاص بتدمير المفاعل النووي العراقي ، نجد ان هذا القرار قد اتخذه مجلس الوزراء في وقت ما في شهر اكتوبر ، ١٩٨٠ . وفي الماضي ، كانت القرارات التي من هذا النوع يتخذها اما شخص واحد - مثل بن جوريون عام ١٩٥٦ - او الدائرة الدبلوماسية غير الرسمية لحكومة حزب العمل (والتي كان يطلق عليها مطبخ مجلس الوزراء ، اiban حكم جولدا مائير) او اللجان الوزارية الخاصة بالامن (والتي قد تضم رئيس الوزراء ووزراء كل من الدفاع والخارجية والخزانة ، وفي بعض الاحيان رئيس اركان الجيش ورئيس المخابرات العسكرية) وقد سمحت اتخاذ هذا القرار مناقشات جادة وهي مناقشات وجهود تستهدف الجبلولة دون اسعمرار التعاون النووي بين فرنسا والمراق . ولقد كانت حكومات حزب العمل التي راسها اسحق رابين (١٩٧٤ - ١٩٧٧) ووزير دفاعه شيمون بيريز قد عانت بالفعل حول انتهاز احسن استراتيجية عسكرية ودبلوماسية لتقع اقامة المفاعل النووي الحربي في العراق . وعلى الرغم من انه لم يحدد توقيت ليوم الهجوم ، كانت ادوات الحرب - السلاح الجوي وقسم العمليات في قيادة الجيش الاسرائيلي والمخابرات قد بدأت التخطيط في المعيد من الاحتمالات التي يمكن ان تطرا خلال تنفيذ الهجوم ، وكذا شرعت في التدريب اللازم من اجل العملية .

ولقد كان واضحا من خلال المناقشات الاولى لهيئة كبار الضباط برئاسة اركان الجيش الاسرائيلي - والتي بدأت في وقت ما ، في اواخر صيف او اوائل خريف ١٩٨٠ ان خيارات الضباط العشرة ، او الاثنى عشر ضابطا ، المشتركين في المناقشات كانت منقسمة تماما تقريبا .

وكانت الحجة الاساسية للذين يعارضون الهجوم هي انه حتى اذا نجح الهجوم فانه لن يدمر الاثنى عشر كيلو جراما من اليورانيوم المخصب الذي زود به الفرنسيون بالفعل العراقيين ، ولا الكمية الصغيرة من اليورانيوم المخصب التي قد يكون العراقيون قد حصلوا عليها من مكان آخر . وكان من المعروف كذلك ان على الفرنسيين ان يزودوا العراقيين نيبا بعد باثنى عشر كيلو جراما اخرى من اليورانيوم المخصب ، الذي يوجد في مكان ما ، محصن وعلى شكل هرمي (ومغطى بحوالي ٢٤ قدما من الاسمنت) ولذلك كتبت مخاوف الذين يعترضون على شن الغارة تتمثل في انه : حتى في حالة نجلهاها ، سيكون في مقدور العراقيين المضي قدما وانتاج القنبلة النووية - بل انه قد يزيـد لديهم الحافز على ذلك .

لما الذين كانوا يؤيدون شن الغارة فكثفوا يردون بأن كمية اليورانيوم التي نحى العراقيين لا تكفي لصنع حتى قنبلة واحدة - وكانوا يرون أنه إذا ما سمح للعراقيين بالحصول على كميات اكبر من اليورانيوم المخصب (٢٦ كيلو جرام في السنة) فسوف يستخدم لتشغيل المفاعل الذي سينتج في النهاية كمية محقولة من البلوتونيوم - تكفي لصنع قنبلة او قنبلتين في السنة ولذلك اذا تم تدبير المفاعل قبل تشغيله وقبل ان تزود فرنسا العراق بأثنى عشر كيلو جراما اخرى من اليورانيوم ، فلن العراقيين لن يكون في وسعهم انتاج قنبلة نووية . فضلا عن ذلك ، كانوا يرون أنه في اعقاب شن مثل هذا الهجوم ، قد يحجم الفرنسيون والاطليقيون عن اعادة بناء المفاعل العراقي ، أما اذا عملوا على اتمام بنائه ، فلتهم سيعرضون في هذه الحالة المزيد من الضوابط والقيود على امدادات واستخدمات اليورانيوم وما ينتجه المفاعل من بلوتونيوم .

وكان من بين الذين يؤيدون الهجوم على المفاعل رمثايل ايتان رئيس الأركان . وقد كتبوا المناقشة بجهد ضئيل . وتقرر المضي قدما في تخطيط العملية . وفي ذاك الوقت تقريبا زار مهنتمان اسرائيليان الولايات المتحدة وتشارورا مع خبراء نوويين امريكيين حول ما قد يحدث اذا ما تعرض مفاعل نووي للنصف بقنابل تبلغ زنتها ألف كيلو جرام .

وكلفت المنظمة التي دارت حول توقيت العملية تتلوى على جانبين متشاكين ومتداخلين متى يصبح المفاعل العراقي في مرحلة الخطر بالنسبة لاسرائيل ، ومتى يتعين استخدام الخيار العسكري ؟ ومتى يصبح القرار الذي اتخذته الحكومة في اكتوبر معروفا بالنسبة لزماء حزب العمل ، أي (بيتور) و (جور) ؟ وسرعان ما اختلطت هذه المناقشة حول التوقيت بالمهاشات الانتخابية .

لغى وقت مبكر ، سمعت حكومة حزب العمل وزعمائها للحصول على مزيد من الوقت من اجل الدبلوماسية ، على الرغم من أنه في عام ١٩٧٧ وعندما خسروا في الانتخابات كانت الاغراض العسكرية للمفاعل العراقي لم تتحدد ولا بد ان يبرز بصفة خاصة ، باعتباره المحرك الاساسي للمفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا في الفترة من ١٩٥٨ - ١٩٦٥ قد شعر في مايو ١٩٨١ بأن المفاعل العراقي لا يشكل بعدا خطرا ، وبان تولى الرئيس نيتان السلطة في فرنسا ، وهو اشتراكي وصديق شخصي ، قد يثبت أنه مفيد من الناحية الدبلوماسية لاسرائيل فيما يتعلق بالنشاطات الفرنسية العراقية . وهكذا في مايو سنة ١٩٨٠ وعندما كان يبرز لا يزال في القسمة في استطلاعات الراى العام التي تسبق الانتخابات ، بحث بيريز بالرسالة التالية الى ببجين في الاجتماع الأسبوعي التقليدي لمجلس الوزراء الذي يعقد كل يوم لحد .

١٠ مايو .

فخري - سري جدا .

السيد / رئيس الوزراء .

في نهاية شهر ديسمبر ١٩٨٠ ، استدعيتني الى مكتبك في القدس
والبقيّة بشيء معين خطير للغاية . ولم تستجب لردى كما اننى لم ارد
(بالرغم من شعورى الغريزي) في الظروف التى كانت قائمة آنذاك .

وانى لاشعر هذا الصباح بأنه من واجبى الاعلى ان انصك بعد تدبر
عيق في ضوء تقدير المصلحة القومية - بان نتلع عن هذا الشئ (١) .

واننى اتكلم كرجل له خبرة ، ان اتناقنا على المرحلة التى يصبح فيها
المفاعل المراقى يشكل خطرا ، بحيث تقرر الحكومة قصفه ليس الاتفاق
الواقى (وانى لادرك قلق شمعنا) ان الوسيلة يمكن ان تتغير بوسيلة
اخرى (٢) . وان ما نعتزم ان نحول دون حلونه قد يصبح مثيرا للتفاعل (٣) .

ومن ناحية اخرى ، ان اسرائيل ستكون مثل شجرة في الصحراء - وان
لديها ما ينبغي ان نشعر بالقلق عليه (٤) .

وانى اضيف صوتى - وهو ليس صوتى بهردى (٥) - الى اصوات
اولئك الذين يطلبون منك الا تعمل ذلك (٦) ، وبالتأكيد في الوقت الحاضر
والظروف المماثلة .

مع كل تقديرى

شمعون بيريز

هوامش :

(١) يميل بيريز الى استخدام تعبيرات لطيفة من شئ بخفى منحدما
يناقش امورا حساسة ، وتزخر رسالته السرية ببث هذه التعبيرات التى
سنورد فيما يلى فرحا لها .

امتزاج اسرائيل التحرك خطوة اخرى في الجهود الرامية الى وقف
المشروع النووى المراقى ، اى تصفه .

(٢) ان عملية تصف المفاعل (تبعا لمصادر بيريز) ليست عاجلة فلا تزال
توجد مساحة من الوقت للدبلوماسية وغيرها من النشاطات الاخرى ضد
المفاعل المراقى .

(٣) ان حذف الفارة الاسرائيلية هو منع العراق وغيرها من الدول
العربية من ان تصبح دولة نووية . ومع ذلك ، قد تؤدي هذه الفارة الى
تخفيف جهودها لانه سيتبين كيف تسمى اسرائيل الى التمتع بوضع احتكرى
نووى في الشرق الأوسط .

وقد اطلع بيجين - الذي استجبت به الدهشة والغضب لان قرار اكتوبر لم يعد سرا في طي الكتمان - عضو الكنيست موشى اريئز رئيس لجنة الشئون الخارجية والامن بالكنيست على رسالة بيريز ، اذ ان قرار اكتوبر لم يعد سرا بالنسبة لنخبة مختارة ، فبالاضافة الى بيريز ، فان وايزمان وزير الدفاع السابق ، وموردخاي جور - رئيس الاركان السابق ، واثنان من الصحفيين ولحد رجال الاعمال القريبين من وايزمان كانوا يعرفون بالفارغة المتوقعة .

وكان ما تبين يوم ١٠ مايو ١٩٨١ من ان القرار الخالص بتدمير المفاعل العراقي قد اتخذ في اكتوبر ١٩٨٠ قد فرض على بيجين ودائرته الداخلية من لوقت مساعدته ومعاونته ضرورة ان يختار موعدا آخر بدلا من الموعد الذي تحدد من قبل . وكان بيجين يدرك ان المخابرات الامريكية تعرف نوايا اسرائيل ومخاوفها كما كان يدرك انه اذا خسر في الانتخابات الصلابة ، فان المعارضه سوف تكون اقل رغبة في تنفيذ الخطة على الفور .

وحتى يتأكد من عدم وجود تسرب آخر ، وحتى يضمن الفوز في الانتخابات ، كون بيجين جماعة صغيرة من شأنها الحفاظ على الامن وكان يطلق على هذه الجماعة اسم لجنة الثلاثة ، وكانت تتألف من شارون ورفائيل ايدان ، واسحق شامر . وكنت تجري مشاورات حول الموعد الجديد مع الآخرين مثل ايجال يادين وتسيبوري نائب وزير الدفاع . ومع ذلك كان اكثر المتحمسين لشن الفارة التي تقرر لها ٧ يونيو ١٩٨١ شارون وايدان والواقع ان معظم المناقشات كانت تدور بين « بيجين وبيجين » ذلك ان بيجين كان يدرك بوضوح الخطر الذي يشكله صدام حسين الذي يشبه النازيين . وكان بيجين يخشى مخبحة جديدة يروح ضحيتها نصف مليون يهودي من جراء القنبلة العراقية التي لم يكن يساور بيجين اية شكوك في ان صدام حسين سيستخدمها عندما يتم انتاجها . ومن ثم ، فانه وبالنسبة لبيجين كانت الصلبة والناجحة التاريخية اليهودية الشخصية والجمامية للمخبحة الجماعية (الهولوكوست) كانت المحرك الذي جعله يقرر تدمير المفاعل العراقي في ٧ يونيو ١٩٨١ .

(١) اشارة الى الجهود النووية الاسرائيلية اذ يشعر بيريز بالقلق من ان تؤدي الفارة الى تركيز الاهتمام العالمي على الخيار النووي الاسرائيلي ، وهو الامر الذي سيكون ضد مصلحة اسرائيل .

(٢) سرب بيريز المعلومات الخاصة بالفارة على المفاعل الى بعض كبار اعضاء حزبه ومنهم رابين وجور (وكلاهما كان رئيسا سابقا للاركان) ولأبلا اييل (وزير الخارجية السابق) وكانوا جميعا ضد الفارة .

(٣) ان بعض اعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلي كانوا ضد الفارة وليس ضد توقيعها فحسب . كما كان يعارض البعض الآخر الفارة وخاصة في الجيش . ويبين بيريز هنا ان المسألة ليست بمسألة معارضة ضد الانتلاد الحاكم برئاسة بيجين ، وانما هي مشكلة اوسع نطاقا من ذلك .

الجزء الثالث

الاعداد لعملية بابل

١١ - عملية بابل : اللخيرات

كان الاسم الشفري « عملية بابل » وكان من المتوقع ان تصغفر دقيقتين على غرار الفسادة على عنتيبي - هجوم ضد مشروع ١٧ تموز العراقي (الذي يسمى اوزيراك) وهو مفاعل نووي تبلغ قوته ٧٥ ميجاوات ، ويقع في مرتكزا الابحاث النووية على بعد ١٧ ميلا جنوب شرق بغداد .

وكان كاتبة الخبراء العسكريين يدركون انه وراء كل عملية عسكرية معقدة للغاية حتى اذا استغرق تنفيذها وقتا قصيرا وجرى تنفيذها بدقة - تمكن من حدوث عديدة من الاعداد المكثف اذ تتطلب كل عملية معقدة تخطيطا دقيقا ومراقبة دقيقة ، وابداء اهتمام بالغ بكل التفاصيل الدقيقة بل الصانعة اذ يقتضى الامر الحاجة المستمرة الى مراجعة اجراءات كل خطوة وتحديث هذه الاجراءات تبعاً للتطورات الموقف ، واختيار القادة والجنود الملائمين لتنفيذها ، واختيار المعدات والاسلحة المناسبة لتنفيذ العملية وقد يقتضى الامر تصميم واعداد اجزء ومعدات خاصة لعملية محددة . وتنفيذ اعمال الصيانة بدقة . واخيرا وليس آخرا ، ان نجاح كل عملية عسكرية يتطلب عملا شاقا وتدريبها مستمرا وبمسد تنفيذ كاتبة اوجه الاعداد الضرورية بدقة يمكن ان يتوافر للعملية فرس النجاح .

لن الفسادة على مشروع تموز (اوزيراك) التي من المقرر ان تستغرق ، متجان - تعد ذروة عملية اعداد وتخطيط شاق وطويل ، وعملية تعكس طبيعة وتاريخ السلاح الجوي الاسرائيلي والواقع ان السلاح الجوي الاسرائيلي - الذي يعد من حيث الكم والكيف ثالث سلاح جوى في العالم ومن اكثرها خبرة في « التكتيكات » الجوية الحديثة والحرب ، ان هذا السلاح الجوي الاسرائيلي له تاريخ طويل في الاعداد الكمال لاية عمليات خاطئة يفسطم بتنفيذها . وليس اذل على ذلك من تدمير طائرات السلاح الجوي العربي وهي رابضة على الارض خلال الساعات الثلاث الاولى من حرب الالام الستة .

وعملية السلاح الجوي الاسرائيلي باعتباره بمنفعة طائرة خلال حرب الاستنزاف ، والاستيلاء على محطة رادار سوفييتية الصنع من مصر في غلره جريئة ، واسقاطه من اكثر الطيارين السوفيت خبرة في نهاية حرب الاستنزاف في مصر ، والاداء الرائع في اعقاب الهجوم المفاجيء الذي شغته مصر وسوريا عبر قناة السويس ومرتفعات الجولان وذلك عندما حلول السلاح الجوي الاسرائيلي خلال اليومين الاولين ، التصدى لهجوم للجيشين وقتفه . وكان محل الخسائر في القتال الجوي خلال حرب يوم كيور هو (٥٥) الى (١) في صالح السلاح الجوي الاسرائيلي . واخيرا وليس آخرا ، توجد المساهمة الأساسية التي قدمها السلاح الجوي الاسرائيلي لضمان نجاح عملية الانتفاذ الاسرائيلية في عنتيبي .

والواقع انه في اعقاب ان تلقت المخابرات العسكرية الاسرائيلية . والموسد معلومات تحذيرية خلال ربيع وصيف ١٩٨٠ حول التقدم السريع الذي يحزده

العراقيون بمساعدة من جلبت الفرنسيين والايطاليين في برنامج البحث النووي وبعد ان اصبح واضحا ان العراق قد تتوافر لديها القدرة لتصميم وانتاج اسلحة نووية اولية ثم اسلحة نووية بعدها ، وقبل الموعد الذى كان مقررا سلفا لانتاجها (فلقد كان من المقرر ان العراقيين سيكون في وسعهم انتاج الاسلحة النووية قبل عام ١٩٨٥) ، وهو موعد متوقع رفضت المخابرات المركزية الامريكية تفسيره على عكس ما نقلت خبراء المخابرات الاسرائيلية في خريف عام ١٩٨٠) في اعقاب هذا كله كانت الحكومة الاسرائيلية وهيئة الأركان تدرك ان يطمح ان يمتنع اتخاذ عمل وقضى لتدمير المفاعل النووي قبل فوات الوقت .

وكان في وسع اسرائيل ان تختل بين { بدائل محتملة لتحقيق هذا الهدف .

١ - ان تكثف حملتها الدبلوماسية ضد الدول الغربية التي تزود العراق بالخبرة الفنية والمواد النووية ، او ان تطلب بدلا من ذلك مساعدتها في وقت التقدم العراقي في مجال الخيار النووي .

٢ - ان تشجع عمليات سرية مكثمة ضد العراق وضد الذين يساعدونها .

٣ - ان تنفذ عملية كوماندوز ضد المفاعل العراقي .

٤ - ان تشن هجوما جويا على المفاعل .

وقد بدا ان شن حملة دبلوماسية مكثفة ضد فرنسا او ايطاليا او البرازيل او البرتغال او نيجيريا او ليبيا - وكل منها تساهم على نحو او آخر في الجهود النووية العراقية - لن يكون ناجحا كل النجاح . ذلك ان لدى العراقيين الأموال والبترول والعمل الذي تحتاج اليه هذه البلاد . وعندما حاول الفرنسيون كسب العراقيين بشراء مفاعل من طراز آخر - كارميل - رفض العراقيون حتى بخرد الاستماع الى الاقتراح الفرنسي . وعندئذ سرعان ما اذعن الفرنسيون - الذين لا يخشون المخاطرة ببيع الاسلحة للفرنسية الهائلة للعراق فحسب (تهد فرنسا العراق ببيع الاسلحة العراقية) ، وانما يخشون كذلك المخاطرة بالاتفاق النووي وبمصدر مضمون لامدادات البترول - سرعان ما اذعنوا للضغط العراقي المضاد . والواقع ان كلا من ايطاليا وفرنسا كفتا ظفتين بالمسئولية في هذا الشأن على بعضهما فقد كان الايطاليون يزعمون ان مصنعهم الكيماوى (المصنع الخلس بفصل البلوتونيوم) عديم الجنوى بدون المفاعل النووى ١٧ نوز الفرنسي المصنع . ولذلك يجب القاء اللوم على فرنسا ، ويجب على الفرنسيين ان يلغوا اتصالاتهم مع العراق وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون يزعمون انه بدون المصنع الايطالى لا يمكن انتاج اية اسلحة نووية . ولم يتغير هذا الوضع تحت وطأة الضغط الدبلوماسى الناتج الذى حدثته اسرائيل ضد الولايات المتحدة ومن ثم ، كان استمرار الحملة الدبلوماسية بل تكثفها ينطوى على احتمال

سليم في لحرار اي نجاح ضد النفاق والجشع الفرنسي والاطالي ، والواقع
انفضل الحالات ، سيكون شن حملة دبلوماسية مكثفة سببا في جعل هاتين
الحكومتين تصعران بعز يد من الذنب وتضطرا من ثم الى استمرار اتفاقاتهما
مع العراق في ظل شروط تقسم بعز يد من السرية . وبغلا عن ذلك ، قد
تستغرق الحملات الدبلوماسية وقتا معقولا حتى نؤذي نمارها وحتى تحقق الانز
المرجو : وفي اثناء ذلك قد يكون العراقيون قد وصلوا الى نقطة لا عودة معها
وقت ما ، في صيف ١٩٨١ ومن المرجح تماما ان ينشطوا المفاعل النووي
والنفسح الايطالي الخاص بفصل البلوتونيوم .

ولهذا ، كان عامل الوقت يشكل قيذا على العمل الدبلوماسي .

ونبها يتصلق بالنشاطات السرية ، فلم يكن هناك دليل معين على
استخدام تلك الاساليب . ومع ذلك ، نجد الصحافة الدولية قد نشرت
مذاير عن نشاطات من هذا النوع مثل الانفجار الناجح في قلب المفاعل
العراقي الفرنسي الصنع وذلك قبل وقت قصير من نقله من مصنع في
السين - مير - مير) وشحنه الى العراق . ثم اغتيال المعالم النووى
المصري الدكتور يحيى المشد رئيس البرنامج النووى العراقي بعد ذلك بعام
في ، رملته بفندق ميرديان بباريس ، وتفجير مكاتب الشركة الايطالية بروما ،
وهى الشركة النووية التى كانت تزود العراقيين بمصنع فصل البلوتونيوم ،
واخيرا الالباء التى ترددت حول محاولة اغتيال عالم فرنسي يعمل في المشروع
العراقي اويرذاك في باريس .

وبما لا شك فيه ان كافة هذه الحوادث كانت ترمى الى ردع الخبراء في
ايطاليا وفرنسا عن العمل في مثل هذه المشروعات العراقية . وكانت تهدف
الى توجيه اشارة الى الحكومات المشتركة في المشروع العراقي بان عليها ان
تكف عن التعاون مع العراق في هذا الصدد ومثل هذه النشاطات
- وخاصة تخريب قلب المفاعل العراقي - كانت ترمى الى تعطيل تقسم المشروع
العراقي بقدر الامكان .

وايا كان الامر ، ففي التحليل النهائي ، ان كل الحيل القذرة لم يكن لها
سوى تأثير محدود في تعطيل المشروع كما انطلوت هذه الحيل على تأثير هامشي
ضئيل بالنسبة للطموحات النووية الطويلة الامد للحكومة العراقية .

ولقد طرح للمناقشة كذلك احتمال تدمير او تخريب المفاعل النووى
العراقي من الداخل - غير ان هذا الاحتمال قد رفض باعتبار انه ينطوى على
مخاطرة كبيرة وخطرة ذلك ان تنفيذ ذلك على نحو فعال يستلزم كمية ضخمة
من المتفجرات وانه من غير المرجح ان يتسنى تهريب مثل هذه الكمية من

المتفجرات الى منطقة تفرض عليها حراسة مشددة . الا يخطئ كل من
الاجانب (وكذا من العراقيين) لتفتيش دقيق مرتين على الاقل عند دخوله
للمعمل في المشروع . وتوجد في نقطة المراقبة والتفتيش الاول والثانية اجهزة
خاصة (كذلك التي توجد في المطارات) للكشف عن المتفجرات . بل ان
العاملين في منطقة المشروع يخضعون كذلك لرقابة شديدة من جانب رجال
الامن العراقيين السريين . وكذا من جانب لدى الباديات الحفراء المزودة
بمستحقات سوليتية الصنع من طراز (ايه - كي - ٤٧) ويوجد العديد من
رجال الامن الآخرين . يتحدث الكثيرون منهم اللغة الفرنسية والاطالية
في منشآت المشروع . واخيرا فان المنطقة كلها تخضع لرقابة مستمرة عن
طريق كاميرات تليفزيونية وربما اجهزة اخرى كذلك .

ومن المنسب له كذلك ان بعض العمال الاجانب كانوا هملاء للعراقيين
ويقتاضون مرتبات اضافية مقابل مراقبة فصلاتهم . بل ان منطقة المشروع
النووي بأسرها كانت محاطة بجدران من الاسمنت وبمسور من الاسلاك
الكهربائية التي تنذر الحراس في جرات المراقبة الخاصة باي انتهاك لحدود
فوق حدوده . واخيرا ، فان المنطقة كانت تخضع لرقابة مستمرة من جانب
قوات مسلحة في سيارات لاندروفر البريطانية والسيارات الأمريكية .

ودهم كافة اجراءات الامن الوقائية هذه . نجد انه لو كان أحد الفيين
او المهندسين العاملين في المشروع عميلا مزدوجا لاسرائيل (ولا بد انه كان
هناك العديد منهم - وان كل واحد منهم لا يعرف الآخر) لو كان أحد الفيين
او المهندسين عميلا لاسرائيل وتكن من تهريب كمية صغيرة من متفجرات
شديدة الانفجار الى منطقة العمل ، فمن المؤكد انها ستكون خطيرة بحيث
لا تشكل اية فعالية . بل انه سيكون من الصعب اعداد الشحنة للاشتعال في
ظل الرقابة الشديدة . من جانب العديد من الحراس هم المعروفين ومن نافلة
القول ان اي شخص يلقي عليه القبض وهو يحاول مثل تلك المحاولة . سوف
يطلب ويعدم على الفور . والواقع ان جميع معلومات وابلاتها ينطوي على قدر
كاف من المخاطرة . اما محاولة التخريب في ظل مثل هذه الحراسة المشددة
من الداخل فهو امر آخر . بل ان اكثر العملاء المخلصين جسارة - ناهيك عن
المرتزقة - قد يمن النظر والتفكير في مثل هذه الهمة الانتحارية التي سوف
تسبب فحسب تسميرا طفيفا في المشروع على اي حال من الاحوال .

واخيرا ، يترجح ان الاسرائيليين فكروا في اهم - تجنب القيام بعملية
سرية . والاتجاه هذلا من ذلك الى شن هجوم شامل . - سيكون في وسعهم
دفع الحكومات الأجنبية من الاستمرار في الاشتراك في المشروع . وفي ضوء
هذا استبعد منذ البداية القيام بعملية تخريب سرية مباشرة .

كان احتمال العمل الآخر المطروح امام المخططين الاسرائيليين هو عملية مستمرة مباشرة وطويلة المدى على المفاعل نفعها مسفرة من القوات الجوية الاسرائيلية انطلاقا من قاعدة اسرائيلية ، ومن المرجح ان يتكروا كما لو كانوا جردا هرايين ، وان يتحدث الكثيرون منهم اللغة العربية بطلاقة وبهجة ولا بد ان مثل هذا البرنامج قد حظى باعجاب رفائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيل الذي كان يبدى اهتماما خاصا بهذا النوع من العمليات . ومن (ايجان) العديد من كبار ضباط الكوماندوز - لكن هذا البرنامج كان اقل جاذبية بالنسبة لضباط ينتمون الى الاسلحة التقليدية واقل جاذبية بالنسبة للرجال الفتيين من القوات المسلحة او من سلاح الطيران .

وكما نعلم الآن ، لم تكن هذه هي الاستراتيجية النهائية التي جرى اختبارها لاسباب عديدة طيبة .

ذلك ان شن غارة كوماندوز طويلة المدى يبلغ مداها حوال ٥٥٠ ميلا في كل اتجاه ليست امرا سهلا حتى في ظل توافر اكثر الظروف مثالية . وان شن غارة مماثلة عبر صحراء من اكثر الصحراوات في العالم اجداها ونفسه ، وهجر اراض صعبة لا تقدم الا القليل جدا من الاماكن التي يمكن الاختباء فيها ، وحصد عدد في حالة حرب (ومن ثم في حالة تاهب) ان شن مثل هذه الغارة يعد امرا ينطوي على مخاطرة ضخمة ، ومنبر لعديد من المشاكل الفنية ومشاكل الامدادات الصعبة للغاية .

ان تخطيط مثل هذه الغارة يمكن ان ينقسم بصفة عامة الى ثلاث مراحل : الاقتراب من الهدف ، والهجوم على المنشاة ذاتها ، والانسحاب . وتتم هذه المراحل مجموعة من المشاكل التي تتطلب حولا مختلفة ، واطرافا مختلفة تشترك فيها ووفرة من الاساليب الخاصة . وينطوي التخطيط لكل مرحلة على ايجاد الحلول لمعد كبير من المشاكل المعقدة والمتشابكة ، وكذا الاستعداد لمواجهة العديد من التطورات والتعقيدات غير المتوقعة . والواقع ان المفاجآت الخطيرة لا تنشأ بالضرورة من احداث مفاجئة وعنيفة او من هجمات مضادة ، وانما من امور او احداث صغيرة وقد تبدو غير ذات أهمية ، مثل الاقتدار الى مرشحات الرمل في طائرات الهليكوبتر (سي متاليون سي - ه - ٥٣) التي كانت تقل فريق الانقاذ الأمريكي الى ايران والتي ادت الاقتدار اليها الى اتخاذ قرار باجهاض المهمة . وما لا شك فيه ان النهاية المفاجئة للغارة الاسريكية على ايران كانت ماثلة في اذهان كل المخططين الاسرائيليين الفتيين بغارة كوماندوز طويلة المدى ضد المفاعل العراقي . ذلك ان اي خطأ سواء من الاقتراب من الهدف او عند الهجوم على الهدف ذاته ، او عند الانسحاب ، قد يؤدي الى موت او أسر مئات من الجنود والاجهزة الباهظة الثمن . والواقع

ان احتمال المفاجآت غير المتوقعة ، ووقوع خطأ صغير أو كبير يؤدي الى تاربه -
امر معروف جيدا لكل من اشترك في تخطيط أو تنفيذ مثل هذه الفارار .

ان نجاح الفارة على منتبهي ، بالرغم من انها خلقت سابقة لمثل هذه
العمليات ، جعل تكرار اذائها لمرأ بالغ الصعوبة .

ففي المقام الأول ، كانت عنتبيى عملية انقاذ طويلة المدى ونوعا لم يحاوله
أحد من قبل . ومن ثم ، كان من المتصور أن يضطلع بها أحد ومن هنا كان
حمولتها مفاجأة كاملة - والمفاجأة في مثل هذه الحالة كانت جوهر النجاح -
ولكن وكما هو معروف في الشؤون العسكرية ، وفي الحياة عامة ، لا يمكن
للمرء دائما أن يقوم بنفس الحدة مرتين وأن يأمل في نجاحها .

والفارة الأمريكية على ايران لم تات محسب بعد عنتبيى ، بل حسنت
أيضا في ضوء ظروف مختلفة للغاية . فعلى خلاف منتبى ، التي كانت تقع
خارج كجلا في منطقة منعزلة ، لم يتوافر لها سوى قدر ضئيل من الدفاع -
كان الرهائن الأمريكيون في ايران في قلب العاصمة (طهران) ونحت حراسة
مشددة ، ونفلا من ذلك ، كانت الخطة الأمريكية تقتصر الى براعة الفارة
الاسرائيلية على عنتبيى وكانت الفارة الأمريكية تضم عاملين من لفرع عديدة
من القوات المسلحة الأمريكية ، وتنطوى على نقاط كثيرة للترود بالوقود
وغيرها من الاستعدادات - وكانت تتضمن الهبوط بالقرب من طريق عام
رئيسي ، وكانت وسائل الوصول مختلفة من وسائل المفاردة وكانت العملية
كلها تقتضى وقوع قتال عنيف .

والواقع ان عملية الانقاذ الأمريكية كانت عملا من اممال اليأس بدلا من
أن تكون تخطيطا عسكريا رشيدا . ومن ثم ، لم تكن تتوافر لها أية فرصة
لنجاح أيها كان الامر .

ان الضباط والجنود الاسرائيليين الذين كلنوا سيشاركون في الفارة
والذين اشتركوا في التخطيط لها هم من بين اكثر الضباط والجنود خبرة في
الامام ، وكانوا يدركون تماما المخاطر الجسيمة التي تنطوى عليها
مثل هذه العمليات .

والواقع ان عملية واسعة النطاق من هذا النوع كان لابد ان يشترك
فيها ٢٠٠ جندي وطيار على الأقل (وربما اكثر) لابد من نظمهم الى مصنفات
طويلة وان مدى اضخم طائرة هليكوبتر اسرائيلية لا يكتفى لقطع تلك المسافة
ذهلبا وايابا . ومن ثم ، كتلت كل طائرة من طائرات الهليكوبتر التي تقل القوات
سيتين عليها أن تزود بالوقود في مكان ما في الطريق الى الهدف أو قبل
الهجوم على الهدف (والمرجح ان يتم خلال الليل) وهي عملية معقدة تكون فيها
طائرات الهليكوبتر واطقتها عرضة للاصابة من جانب أي هجوم مضاد إذا
ما اكتشف امرها . وعملية التزود بالوقود ستتطلب - فضلا عن ذلك - وجود

ات شحن جوى اخرى لتحمل الوقود اللازم وعلى هذه الطائرات الاخرى
هون ان يكتشف امرها في مكان ما ، في اراضى العدو . ومرة اخرى ،
العصبة وحقيقة ان العراق مشتبكة في حرب مع ايران ، وانها على الاقل
تأهب جزئى ، نجد ان هبوط هذه الطائرات لن يكون امرا من السهل
تحقيقه .

وعلى حين ان اقترب مثل هذه الطائرة الضخمة دون اكتشافها يعد امرا
صعبا للغاية ان لم يكن مستحيلا ، كان الاسرائيليون ولديهم قدرة بلرعة على
سبل الغدغ العسكرية — كانوا سيحاولون بالتاكيد حماية اقتراب طائراتهم
عن طريق بعض الخدع او غيرها ، كان يكون ذلك مثلا باخفاء الطائرة على انها
طائرة تجارية تحلق في الممرات الجوية الدولية او بالتظاهر بانها طائرة عراقية
او طائرة تابعة لبعض الدول العربية او الاجنبية المصديقة . ومن المؤكد ان
الاسرائيليين فكروا كذلك في « تكتيكات خداعية » اخرى .

وبغلا عن ذلك ، كانت طائرة الشحن المعرضة للاصابة في حاجة الى
ان تصبح طائرة مقاتلة في طريق عودتها على الاقل ، وذلك بعد الهجوم على
الهدف وبمه مطاردة العدو للمهاجمين وتحتاج مثل هذه الطائرة الضخمة الى
طماحين للهبوط عليهما ، والى تنسيق ارضى جوى ، والى اخصائين في الصيانة
وما شابه ذلك .

ولا يحتاج الامر الى طائرة شحن ضخمة من اجل تزويد طائرات الهليكوبتر
بالوقود فحسب بل يحتاجها الامر ايضا لاحتمال حمل بعض الطائرات
الهليكوبتر الصغيرة التى قد تكون ثمة ضرورة لها لنقل الكوماندوز مباشرة الى
موقع الهدف . ومن المنطقي ان نفترض ان السبيل الاسرع والاكثر امانا للتغلب على
الدفاعات المراقبة الموجودة حول المفاعل هو استخدام طائرات هليكوبتر
صغيرة تحلق على ارتفاع منخفض جدا ، حتى يتسنى لها الانتقاض مباشرة
في قلب مركز الابحاث النووى .

غير ان العيب الاساسى لمثل هذه الخطة يكمن بالطبع في احتمال تعرض
طائرات الهليكوبتر للاصابة الى حد كبير من نيران مدفعية ارض — جو ولذلك ،
لو تحققت مفاجأة كاملة واستطاعت طائرات الهليكوبتر ان تخترق بنجاح نطاق
الدفاعات الموجودة حول المفاعل ، واماكن للكوماندوز ان يهبطوا منها سالمين
فى منطقة الهدف ، وان تطهر المنطقة بامان ، لكان من غير المرجح ان يمكن
استخدام هذه الطائرات لنقل القوة المهاجمة وهى تسحب .

وثمة اسلوب آخر للوصول الى المفاعل ويكون بان يستقل الكوماندوز
الاسرائيليون قافلة من السيارات عليها علامة الجيش العراقى . على ان يتم
نقل بعض الشاحنات (باللوديات) عن طريق طائرات الشحن التابعة للسلاح
الجوى الاسرائيلى (مثل طائرات هرتل طراز سى — ١٢٠) بينما يتم شراء

اسيرات الأخرى أو الحصول عليها محليا من طريق عملاء خصوصيين يصلون إلى منطقة بغداد (أو يعيشون فيها) قبل الهجوم بأسبوع وفي ضوء هذه الحطة يتم اسقاط الكوماندوز بالمظلات فوق الهدف . والواقع ان عمليات المظلات ، حب هو معروف نعتبر عمليات دقيقة للغاية وتتطلب براعة وحذرا . ذلك ان رجال المظلات يكونون عرضة للأصابة إلى حد كبير حينما يكونون في الجو . ثم يتطلب الأمر وقتا معقولا حتى يصلوا جميع وحداتهم التي تنازرت عند هبوطهم على الاراضي . وفي عبارة أخرى الاقتراب الآمن والفعال لقوات الكوماندوز عسير لنصحراء إلى هدف يخضع لحراسة جيدة تثير ، فيما يبدو ، مشاكل لا يمكن معالجتها تقريبا .

ومن الطبيعي ان المرحلة الثانية لثل هذه العملية هي الهجوم على الهدف ذاته وتدميره وسوف يكون لدى القوات المهاجمة خطط ومشروعات للمنازل النووي اويترك وربما دليل من أحد الخبراء أو أكثر ممن يعملون في المشروع ، وأحداث المعلومات عن المنشآت الدفاعية حول المشروع وداخله ، وعدد الحراس والدوريات ، ونوع أسلحتهم وأساليب اتصالاتهم ببقار قتلهم وما شابه ذلك من أمور ومن المرجح ان القوات المهاجمة قد تدربت على الهجوم على نموذج لهذا المفاعل . وان هذه العملية لا يمكن ان تحدث ما لم يقرر المسؤولون عن عمليات التدريب هذه ، ان القوات أصبحت مستعدة لشن الهجوم وأنه تتوافر لديها فرصة معقولة للنجاح في مهمتها والعودة سالمة إلى اسرائيل .

ولكن ، كما اكنتا بالفعل ان مثل هذه العمليات تنطوي دائما على الكثير مما هو مجهول وغير متوقع . على أي الأحوال ، لا يمكن انجاز الهجوم على هدف يخضع لحماية شديدة مثل هذه ، الا بتكلفة مرتفعة من جانب المهاجمين والمدافعين على السواء وكذا بالنسبة للخبراء الأجانب الذين يصلون في المفاعل خلال الهجوم عليه . وتوقع حدوث خسائر كبيرة في الأرواح قد ظل بوضوح من احتمال الموافقة على مثل هذا الهجوم من جانب الزعماء السياسيين والعسكريين الاسرائيليين ، الذين كانوا يخشون على ارواح الكوماندوز المهاجمين انفسهم (ومن المعروف جيدا حساسية اسرائيل المفرطة لوقوع خسائر في الأرواح) ، كما كانوا يخشون من انه اذا لقي عدد كبير من العلماء للعراقيين وغيرهم من المهندسين أو ما هو أسوأ من ذلك ، وهو الخبراء الأجانب مصرعهم ، فإن أجهزة الاعلام العالمية ونوى القلوب الرقيقة ستتهم اسرائيل باستخدام القوة في غير موضعها ، ويقتل المدنيين الأبرياء . (وبمعنى ان ننظر بالطبع أن وجهة نظر اسرائيل ان أي شخص يشترك في انتاج أسلحة للتدمير والقتل الجاسم مثل هذه القنبلة الذرية ، مع عدو وحشي في دولة هي في حالة حرب مع اسرائيل لا يمكن اعتباره مدنيا بريئا . وفي ضوء وجهة النظر هذه كلما كان عدد الخبراء النوويين العراقيين الذين يلغون مصرعهم كبيرا ، كلما كان أفضل . إذ ان ذلك يعني خفض القدرة العراقية على انتاج أسلحة نووية — وان مشروع أسلحتها النووية سوف يربح تنفيذها إلى أجل غير مسمى) .

والواقع ، ان مثل هذه الاعتبارات ، تقتضى تنفيذ الهجوم خلال يوم عمل
حيث يعمل فيه اكبر عدد ممكن من الخبراء النوويين العراقيين في مركز
النوى . غير ان شن هجوم في يوم كهذا فيه مسموية لانه حينما يوجد
العراقيون في المفاعل ، يوجد كافة الخبراء الاجانب الاخرين هناك ومن
ثم تؤدي مسموية التمييز بين الخبراء العراقيين والفرنسيين والايطاليين الى ان
يصاب الكثيرون من الخبراء الاجانب بخسائر في الأرواح ولقد كانت اسرائيل
تريد تجنب كل هذا بقدر الامكان . والواقع كما يتبين لنا فيما بعد ان
الاسرائيليين كانوا حذرين للغاية حتى لا تحدث اية خسائر في الأرواح بين
الخبراء الاجانب (١) .

واخيرا ، تاتى المرحلة الأخيرة الهامة وهى الانسحاب فبعد ان يكون
الكوماندوز قد دبروا ، كما ياملون ، المفاعل النوى ، يكون عليهم ان يغادروا ،
منطقة المفاعل بأسرع ما يمكن . واز الكثير عندئذ يتوقف على السرعة التى
يسيطرون بها على المفاعل والقيام بالاستعدادات اللازمة لنفسه . (وقد يكونون
مد لمقاومة تطبيعات بان ياخذوا معهم اليورانيوم المخصب الذى يوجد في مؤخرة
المفاعل . ويضطلع بهذه المهمة بالطبع فريق من العلماء النوويين الاسرائيليين
الذين يقدرون باعتبارهم ضباط كوماندوز والذين سيكونون ضمن فريق الهجوم
وايا كان الأمر ، فقد كان من المعروف بالنسبة للخبارات الاسرائيلية ان اليورانيوم
المخصب لم يكن موجودا في ذلك الوقت في منطقة المفاعل ، وانما يوجد في مكان
آخر تفرض عليه حراسة مشددة للغاية وسوف نذكر الكثير عن ذلك فيما بعد) .

ان السرعة التى تتم بها العملية تعتبر امرا حاسما . فمن المفترض انه
منذ الحقيقة التى يبدأ فيها الهجوم سوف تعلن القيادة العسكرية فى بغداد .
وقوات الامن الداخلى والقوات الجوية حالة التأهب ، ومن المفترض ان تحركاتهم
المضادة ستبدأ على الفور . ولذلك ، كلما تم انجاز اهداف الغارة بسرعة ،
كلما كان الانسحاب اسرع وأكثر امنا . ومن المرجح ان الكوماندوز اما ان
يستقلوا طائرات هليكوبتر تحلق بهم ثانية ، او ان يركبوا شاحنات
(لوريات) توجد فى الخارج لتنقلهم بعيدا عن منطقة المفاعل . وسواء استعملوا
هذه الوسيلة او تلك كان عليهم ان يصلوا الى الطائرة التى ستقلهم عائدة بهم
الى الوطن .

(١) لقد جرى اختيار يوم الأحد لشن الغارة على افتراض ان الخبراء
الاوروبيين لا يعملون فى ذلك اليوم . ولقد كان هذا التقدير خطأ فاذن وقعت
فيه المخابرات الاسرائيلية لان الخبراء الاجانب لا يعملون يوم الجمعة ، لان يوم
الجمعة يوم العطلة فى البلاد الاسلامية ، ولذلك يعملون ايام الاحد . غير انه
فى الوقت الذى وقعت فيه الغارة وهو السادسة والنصف مساء بتوقيت
العراق ، كان معظم العمال قد غادروا موقع المفاعل وتوجهوا الى منازلهم .
ولم يكن بالموقع سوى خبير فرنسى لقى مصرعه خلال الغارة .

والطائرات ذاتها (اذا ما كانت ستنظر على الارض خلال الغارة) كانت هناك مخاطرة ان تكتشف . واذا ما كان الأمر كذلك ، فانه سيكون من السهل ان يتعرض العراقيون طريقهم . واذا لم يكن الأمر كذلك ، فانها سرعان ما تقلع ، ومن المرجح ان تطير على ارتفاع منخفض قدره حوالى ١٠٠ قدم فقط (وهو امر خطر للغاية) وعندئذ قد تكتشف وتعرض نفسها لطائرات مقاتلة عراقية سواء فوق العراق أو الأردن . والواقع ان حماية وتفطية طائفة الشحن الثقيلة والبطيئة التى تحلق فى الليل فى أجواء العراق سيكون امرا مستحيلا تقريبا .

وهكذا ، فان مثل هذه الخطة ذات المراحل الثلاث تعد معقدة للغاية وتنطوي على مخاطر بالغة . ولذلك قرر المخططون الاسرائيليون ان أى غارة يقوم بها انكوماندوز على الارض لن تكون فعالة وان احتمال فشلها كان مرتعا جدا . لقد كانوا يبحثون عن عملية تنسم بمزيد من السرعة والامان ، وتنطوي على الحد الأدنى من نعاط الاحتكاك والاختباء . لقد كانوا يبحثون عن اقصر مسافة بين نقطتين ، لا عن عملية معقدة ومتعددة المراحل .

ولذلك ، قرروا أخيرا ، تحويل تخطيط عملية الغارة الى السلاح الجوى الاسرائيل ، بشرط ان يضمن السلاح الجوى الاسرائيلى تدمير المفاعل بشن غارة واحدة من الجو . وبذلك يتم التدمير الكامل للمفاعل النووي بالقلل مخاطرة فى الارواح البشرية ، واقل حمار بالنسبة لاسرائيل من وجهة الرأى العام العالمى .

ولقد قال أحد كبار ضباط السلاح الجوى الاسرائيل لأحد الصحفيين ، الذى سألته عن نجاح السلاح الجوى ، ان المبدأ الاساسى وراء عمليات السلاح الجوى يمكن تلخيصه فى عبارة « اجعلها بسيطة ، يا غبى » ، ولقد تجاهل هذا المبدأ الاساسى رجال وزارة الدفاع الأمريكية (المنتاجون) عندما خططوا عملية انقاذ الرهائن الأمريكيين فى ايران .

ولقد عهد الى فريق عمل من أفضل العقول فى فرع العمليات بالسلاح الجوى الاسرائيل ، ايجاد « أبسط » خطة وأكثرها فعالية لتدمير المفاعل النووى العراقى .

ان الرجل الذي تم اختياره لتولى عملية التنسيق بين السلاح الجوي الاسرائيلي والموساد ، والمخابرات العسكرية ومقر رئاسة الاركان العامة وتخطيط الفادة كان من فرع العمليات التابع للسلاح الجوي الاسرائيلي ، وهو خريج جامعي وطيار على قدر كبير من الخبرة . فقد اشترك في حرب الايام الست عام ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف في قناة السويس (من اكتوبر ١٩٦٨ حتى أغسطس ١٩٧٠) وحرب يوم كيبور عام ١٩٧٣ . ولقد حلق خلال هذه الحرب بمفجرة في قيادة طائرات ميراج - ٣ الفرنسية الصنع ، وطائرة سكاي هوك الامريكية ، واخيرا طائرة الفانتوم طراز اف - ٤ ، وهي انقل طائرة في السلاح الجوي الاسرائيلي الى ان حصل على طائرات اف - ١٥ .

وعلى الرغم من انه كان الضابط المسئول في فرع العمليات بمقر قيادة السلاح الجوي الاسرائيلي منذ عامين ظل طيارا وعلى اتصال بعملية الطيران والتدريب ، على الاقل مرة في الاسبوع ، وهو تقليد يحرص على رعايته حتى اكبر الرتب العسكرية في السلاح الجوي الاسرائيلي .

ولقد كان صغير السن نسبيا ، مثل معظم ضباط السلاح الجوي الاسرائيلي فلقد كان في الثامنة والثلاثين من عمره . ولم تسمح الرقابة الاسرائيلية بنشر اسمه او حتى الحروف الاولى منه . اذ ان عليه ان يبقى مجهولا .

وثمة شيء واحد واضح وهو انه واحد من المبح العقول في مجال تخطيط العمليات في السلاح الجوي الاسرائيلي ، ورجل يعتقد بوجود دور اساسي لقوة الطيران في الحرب الحديثة ، ويؤمن بانها اكثر اشكال القوة العسكرية فعالية اذا احسن فهمها واستخدامها ولقد وجد في تخطيط عملية بابل وتفليدها فرصة ذهبية لاثبات ذلك . والواقع ان معتقداته هذه ، تلتقي مع المصلحة البيروقراطية للسياسة القوية داخل السلاح الجوي ، التي لا تبرر بحسب ضرورة الانفاق عليه (يخصص له اكثر من ٥٠٪ من الميزانية العسكرية) بل تشير الى ضرورة زيادة الميزانية المخصصة له .

وبمجرد ما ان تم الاتفاق على الاتجاه لشن هجوم جوى على المفاعل العراقي بدا فريق التخطيط بالسلاح الجوي الاسرائيلي العمل بنشاط . وكان من الضروري جمع كافة المعلومات اللازمة لشن الهجوم من جانب المخابرات العسكرية والموساد ومخابرات السلاح الجوي - وكانت كل هذه الجهات تحاول بالطبع بذل اقصى ما في وسعها لجمع المزيد من المعلومات .

وكانت المخابرات الاسرائيلية قد جمعت ملفا حول الامكانيات النووية للعراق ونواياها منذ ١٩٧٥ . وباستمرار كان يتم ضم معلومات حديثة لهذا الملف . وعلى الرغم من ان هذا الملف قد أصبح يتكون من مجلدين كبيرين ١٥

كان الأمر يقتضى الحصول على المزيد من المعلومات الحديثة . ولقد ضاعمت
المخابرات العسكرية والموساد بصفة خاصة ، جهودهما للحصول على معلومات
من عملائهما ، ومن المرجح أنهما زادتا من جهودهما لتجنيد الخبراء النوويين
الاجانب الذين يعملون في العراق .

ففي أعقاب الفارة الإيرانية على المفاعل العراقي في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠
عاد كافة الخبراء الفرنسيين والاطالين الى بلديهما (غير أنهما رجعا الى
العراق في فبراير ١٩٨١ للعمل في المفاعل النووي العراقي حيث بدأ العمل
فيه على نطاق واسع في وقت ما من شهر ابريل ١٩٨١) . ولعل هذا التطور
قد أعطى الموساد فرصة لتجنيد بعض كبار الخبراء للعمل في خدمتها .

ولقد كان الأمر يقتضى الحصول على معلومات حديثة حول عدد كبير من
المسائل ، منها : مدى تقدم العمل في الموقع النووي ، والمكان الذي يخزن فيه
اليورانيوم المخصب الفرنسي داخل العراق ، ونوع الدفاعات - الجوية وغيرها،
الموجودة حول المفاعل النووي - وقد جرى تصنيفها في أعقاب الهجوم الإيراني
في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ - والدفاعات الرادارية لكل من العراق والسعودية
والاردن ، وتفاصيل عن احوال الطقس فوق الهدف ، وتحديد كمية المتفجرات
اللازمة لضمان تدمير المفاعل ، وغير ذلك من المعلومات .

وفي وقت ما خلال شهر اكتوبر ١٩٨٠ ، وفي أعقاب الهجوم الإيراني
على المفاعل يترجح أن يكون سلاح الطيران الاسرائيل قد حصل على تصنيف
لاوسال طائرة استطلاع تحلق على ارتفاع شاهق جدا فوق المفاعل للاستطلاع
مصور من الجو لمنطقة المفاعل .

فمن المؤكد ان الاسرائيليين كانوا مهتمين للغاية لمعرفة حجم الدمار الذي
لحق بالمفاعل العراقي ، والى أي مدى يمكن ان يظل هذا الدمار البرنامج
النووي العراقي ، ومدى تعزيز الدفاعات العراقية المضادة للطائرات حول
المفاعل في أعقاب الفارة الجوية الإيرانية عليه .

وفي وقت ما في خريف ١٩٨٠ اجتمع ممثلو المخابرات الاسرائيلية مع
أقرانهم الامريكيين - المخابرات المركزية الامريكية ووكالة مخابرات الدفاع -
في العاصمة واشنطن لتبادل الاراء حول التقدم الذي أحرزه البرنامج النووي
العراقي . ولم يشارك الامريكيون أقرانهم الاسرائيليين فيما أبدوه من قلق
عاجل بشأن هذا التقدم على الرغم من أنهم أعربوا عن قلقهم إزاء مخاطر حصول
العراق على أسلحة نووية في المدى الطويل . وقد أبلغوا الزائرين الاسرائيليين

الذين يساورهم القلق انه طبقا لتقديراتهم لن يحصل العراقيون على اية اسلحة نووية أو قنبلة نووية قبل عام ١٩٨٥ أو ١٩٨٦ . غير أن الاسرائيليين أعربوا عن مخاوفهم من أن العراقيين قد يحصلون على مثل هذه الاسلحة في وقت سابق للتحديد الأمريكي بكثير . ومن المرجح الى حد كبير أن يكون الاسرائيليون قد حللوا في تلك المناسبة على الصور الجوية التي التقطها القمر الصناعي الأمريكي لمنطقة المفاعل .

كما ترددت شائعات في ذلك الوقت تقريبا (وربما قبل ذلك بوقت كبير) ان الاسرائيليين حصلوا على صور جوية من السافاك (المخابرات الايرانية) . ذلك ان للاسرائيليين علاقة وثيقة بالسافاك منذ منتصف الخمسينيات . قد تولوا تدريب ضباط المخابرات الايرانية وباعوا اسلحة لایران . وعلى الرغم من أنه في أعقاب الثورة الاسلامية وتولى الخميني السلطة قد قطعت العلاقات بين إيران واسرائيل ، واغلقت السفارة الاسرائيلية في إيران (وسلم مبناها الى منظمة التحرير الفلسطينية) على الرغم من ذلك تردد أن الحكومتين استمرت في الاحتفاظ بنوع من الاتصال السري غير العلني، وأن الاسرائيليين كانوا يبيعون للإيرانيين الذخيرة وقطع الفيار لاسلحتهم الأمريكية الصنع . فضلا عن ذلك ، كانت اسرائيل وإيران (كما اعترف بذلك شاه إيران الراحل) لديهما مصلحة مشتركة قوية في تدمير الطموحات النووية العراقية التي من المرجح أنها كانت موجّهة ضد إيران أكثر مما هي موجّهة ضد اسرائيل (على الرغم من أن تصريحات صدام حسين تشير الى عكس ذلك) .

وفضلا عن كل ذلك ، تمد إيران عدوا قديما للعراق التي لها مزايم اقليمية في الاراضي الايرانية . وفي ضوء هذا كله ، خلق الهجوم العراقي المفاجئ على إيران في سبتمبر ١٩٨٠ حافزا قويا للتعاون بين إيران واسرائيل . ولهذا ربما يمكن افتراض ان الايرانيين أعطوا الاسرائيليين كل ما كانوا في حاجة اليه من معلومات لديهم عن المفاعل النووي العراقي الذي يقع بالقرب من بغداد ، وذلك في ضوء التقليد السائد في الشرق الاوسط وهو أن عدو عدوى يعتبر صديقي » . ولقد كان الاسرائيليون - على عكس الأمريكيين الذين تتوقع تقديرات مخابراتهم استكمال المشروع النووي العراقي في عام ١٩٨٥ - يشعرون بضغط عنصر الزمن ، ومن ثم بدأوا - في الوقت الذي كانت فيه المعلومات لا تزال تتدفق عليهم - بدأوا التدريب ، مع بذل الجهد في مجال التخطيط ، وذلك قبل وقت طويل من اكتمال المخطط الخاصة بالفارة .

وقد اثار التخطيط للفارة عددا ضئيلا من المشاكل الخطيرة في مقصبتها المسافة الطويلة بين بغداد وقواعد السلاح الجوي الاسرائيلي ذلك أن المسافة جوا بين القواعد الجوية الاسرائيلية الرئيسية في (اترزيون) و (ايتام)

في سيناء وبين بغداد تبلغ أكثر من ٦٠٠ ميل (أي أكثر من ألف كيلو متر)
والا ما قارنا هذه المسافة بهجمات القصف البريطانية على مدن أوروبا خلال
الحرب العالمية الثانية فهي تنازل المسافة من لندن إلى برلين أو دبرين أو براغ
أو فيينا أو ميلانو أو مرسيليا - وفي عبارة أخرى أنها أقصى مدى تقطعه
القاذفات ذات المحركات الأربعة القوية خلال الحرب العالمية الثانية .

وهذه المسافة تمنى أن السلاح الجوي الاسرائيل سيقوم بأطول غارة
في التاريخ .

والصقر المقاتل

منعها درس المخططون لعملية الهجوم على المفاعل النووي في العراق
الأمم المتحدة التي يمكن أن يحصلوا عليها ويعتمدون عليها من السلاح الجوي
الاسرائيلي شعروا بالرضا الكامل .

لقد تعرض نزار اسرائيل المقاتل الاكثر اهمية ، لعدد ضئيل من التغييرات
الحاسمة التي تمكس. تروس حرب يوم كيبور .

في عام ١٩٧٣ ، لم يكن السلاح الجوي الاسرائيلي مستعدا تام
الاستعداد لنوع الهجوم الذي شنه الجيشان المصري والسوري .
في ١٩٦٧ ، شنّت الطائرات الاسرائيلية هجوما مفاجئا على المطارات
العربية ، وبذلك دمرت الطائرات المقاتلة والقاذفة العربية (حوالي ٣٥٠
منها) على الارض خلال الساعات الاولى للحرب . ومع ذلك حالت الضغوط
السياسية في عام ١٩٧٣ دون أن يقوم سلاح الطيران الاسرائيلي بفترة
وقائية مماثلة .

وكانت النتيجة بالنسبة للسلاح الجوي كارثة . ففي غضون الايام
الاولى للحرب ، استقطت الدفاعات المصرية والسورية المضادة للطائرات ،
وخاصة موارد سام - ٦ والمدفعية المحركة المضادة للطائرات من طراز
زد ام. يو - ٢٣ - ٤ ، أكثر من ٥٠ طائرة اسرائيلية .

وتعتبر القيود السياسية ، بالطبع ، واحدة من الاسباب الرئيسية التي
جعلت الطيارين الاسرائيليين يضطرون الى القتال في ظل ظروف صعبة
للغاية . ولكن عندما انتهت الحرب ، اعترف المخططون الاسرائيليون بأن بعض
الاحطاء الاساسية التي وقعت في عملية اعداد السلاح الجوي للحرب القادمة
كانت سببا في معدل الخسارة المرتفع . ولذلك جلسوا في اعقاب الحرب
مباشرة . ليضعوا خطة الحرب القادمة .

وبحلول الثمانينيات كان الاسرائيليون قد بذلوا جانبا كبيرا من العمل
والجهد للتغلب على ضعفهم الاساسي .

ولقد كان التغير الاساسي والاكثر اهمية تغيرا كبيرا . ففي ١٩٧٣ ،
ومشية حرب أكتوبر ، كان لدى الاسرائيليين حوالي ٣٤٠ طائرة مقاتلة ،
ومقاتلة قاذفة ، وخاصة طائرات الفانتوم من طراز إف-٤ وسكاى هوك
طراز ا - ٤ ، والمراج ٣ - سي اس ، والطائرة الاسرائيلية الصنع نيشر .
بل لقد كان عليهم أن يستخدموا طائرات قديمة هي موبير مستير . أما السلاح
النصوي المصري والسوري فقد كان لديهما أكثر من ٨٥٠ طائرة بالمقارنة
بـ ١٠ طائرات الاسرائيلية .

لما الآن - في عام ١٩٨٠ - كان صندوق الطائرات التي لدى اسرائيل تصل الى ٦٥٠ طائرة وهي من طراز فانتوم اف-١٥ واف-١٦ والطائرات الاسرائيلية الصنع كثير . وبذلك تصل النسبة بين عدد الطائرات الاسرائيلية والطائرات المصنوعة الى ١٩٨٠ بحسب ١ الى ١٢٥٠ عام ١٩٧٢ وبمسير معظم الطائرات الاسرائيلية بخطورة للغاية ولتفضل تجهيزا بالمعدات اذا فورت بمرها من طائرات السلاح الجوي في الشرق الاوسط .

ومع ذلك ، ليس هذا هو التغير الوحيد . فقد اكتشف الخبراء العسكريون ٩ نقاط ضعف هي التي دمرت اداء السلاح الجوي الاسرائيلي عام ١٩٧٢ . وبطول عام ١٩٨٠ ، وعلى حد تقارير الصحف الاجنبية ، جرى تصحيح معظمها ، وبذلك لم ايجاد آلة حرب اكثر كفاءة وقوة .

وقد اشارت الصحف الامريكية الى ان ابرز اوجه ضعف السلاح الجوي الاسرائيلي خلال ١٩٧٢ هي :

١ - الانتقال الى مراكز معلة لإدارة المعركة ، وقد حث الانتشار اليها دون وجود تنسيق بين طلعات الطائرات على الجبهتين .

٢ - كبح الاستطلاع بطيئا وغير فعال . ولم يكن لدى اسرائيل القدرة على تحليل المعلومات التي تحصل عليها والاستفادة منها في الوقت المناسب ، او على التأمل في زمن قريب من الوقت المناسب .

٣ - الانتقال الى التدريب على جهاز المقياس الالكتروني المضاد الخاص بالفتوشيش ذلك ان حرب ١٩٧٢ كفت حريا استخضت فيها الاجهزة الالكترونية اكثر من ذي قبل . غير ان الطيارين الاسرائيليين لم يكونوا مدربين تدريباً كافياً لمثل هذه الحرب .

٤ - ان الطيارين الاسرائيليين قد تدربوا لسلسا على الدفاع الجوي والقتال الجوي ومع ذلك ، كفت المهلة القتالية تهجم اعدانا تفرض عليها صلبة محددة من جانب الدفاعات المضادة للطائرات .

٥ - كان التنسيق هزليا بين السلاح الجوي والجيش . ولتعد ادت الاتصالات غير الكافية ، وكذا الانتقال الى مسعى تبادى ومييط وهيك اتصاال ، الى الحيلولة بين السلاح الجوي وبين تقديم المساعدة لوحداث الجيش على المستوى « التكتيكي » .

٦ - لم تكن الادارة المركزية جو - جو فعالة فعالية كافية ، فقد سحت لأن تتطور معارك كثيرة في ظل توازن قدر ضئيل من السيطرة المركزية والمقتلات المخصصة لذلك .

٧ - لم يمارس السلاح الجوي الاسرائيلي اية فدارة في كفة المعارك

للمسحرة لطائرات الهليكوبتر والمدفعية والصواريخ بسبب الانتصار
الى العرب .

٨ - لم يحظ تخطيط وتنفيذ الفترات الطويلة المدى وعلى كلفة المستويات
الاخفض شئيل من التدريب .

٩ - الانتصار الى التنسيق الفعال بين اجهزة الدفاع ارض - جو
واجهزة الدفاع جو - جو .

غير انه في عام ١٩٨٠ كان السلاح الجوي الاسرائيلي قد تقلب عل معظم
حله للمشاكل . فقد غدت لديه امكانيات ادارة مركزية فعالة بالنسبة لكافة
الارواح المهمات ، وجرى تحسين الوقت الفعل التفريري للاستطلاع والقدرة على
تحليل المعلومات وارسالها بسرعة لكافة المراكز القيادية . وقد زود باحدث
تياس الكتروني مضاد ، وينتج معظمه في اسرائيل ذاتها . واصبح الطيارون
الاسرائيليون افضل في ادارة الاجهزة المتطورة . ويجري تدريب الطيارين
اناسا على القيام بهجمات هجومية . وهم يعتبرون من احسن الطيارين في
العالم في هذا النوع من القتال . كما حسن السلاح الجوي الاسرائيلي اساليب
ايصاله بالجيش والبحرية والادارة المركزية للمعركة بشأن القتال الجوي ،
وكذا قدرتها على تشغيل طائرات الهليكوبتر بالتنسيق مع القوات البرية .

وقد اعطى السلاح الجوي اهمتها خاصا للتدريب على المهمات القتالية
طويلة المدى . فقد حصل الاسرائيليون ، في اعقاب حرب ١٩٧٣ ، على اكثر
الطائرات الامريكية تطورا وهي الفانتوم من طراز اف-٤ ، التي قد صممت
وبالاضافة الى الطائرة الجديدة المتطورة هوك اي-٢ ، التي قد صممت
خصيصا بين اسلحة اخرى - لتحقيق التنسيق بين مثل هذه المهمات ، فان
قصص المفاعل العراقي بالقرب من بحداد كان صعبا ولكنه لم يكن مهمة مستحيلة
بالنسبة للاسرائيليين . ولقد كان المخططون العسكريون للفارة يدركون ان
المشكلة ليست مشكلة عسكرية . فقد كانوا واثقين ان في امكان الطيارين
الاسرائيليين تنفيذ المهمة على اكمل وجه . غير ان المشكلة بالطبع كانت مشكلة
سياسية وهي : اضاءة النور الاخضر لتسير المفاعل .

وكان يمكن تنفيذ المهمة ضد المفاعل العراقي باستخدام اى من الطائرات
المقاتلات - القاذفات الاسرائيلية من طراز ا-٤ او اف-٤ او كافر سي-٢
او اف-٤ او اف-١٦ غير ان المدى الكبير جدا للفارة كان سيضطر فريق
التخطيط للفارة الى استخدام نظام التزويد بالوقود في الجو بالنسبة لبعض
الطائرات (مثل الطائرات من طراز ا-٤ او كافر سي-٢) . فود اقلعها ،
الامر الذي من شأنه ان يضيف بعض التعقيدات لخطتهم ، وقد يؤدي الى
اكتشاف هذا النشاط غير العادي على شاشات رادار الاردن او السعودية
او في طريق عودة الطائرات الاسرائيلية ، مما يعرضها لخطر الاعتراض سواء

من جانب العراق أو الأردن . وهذا يقتضى غطاء جويا أطول من جانب القوات الإسرائيلية للطائرات والغاذيات العائدة ولذلك تقرر تجنب تزويد الطائرات المهاجمة بالوقود إذا أمكن ذلك وعن ثم انصر الاختيار فى ثلاث طائرات محتملة هي : الفانتوم طراز اف-١٥ ، والنسر طراز اف-١٥ ، والصقر المقاتل طراز اف-١٦ . وكان يوسع كل من هذه الطائرات حمل كمية إضافية من الوقود ، وإن كان ذلك يؤدي الى خفض حمولتها من القنابل خفضا كبيرا .

غير انه تقرر ، بعد مناقشة قصيرة ، اختيار "الفتنر" المقاتل اف - ١٦ التي تنتجها شركة (جنرال ديناميكس) الأمريكية ، والنسر (اف - ١٥) التي تنتجها شركة (دونالد دوجلاس) الأمريكية - وكلتاهما هاتين الطائرتين من أكثر الطائرات المتأخرة وتطورا في العالم . وقد وقع الاختيار على هاتين الطائرتين لاسباب عديدة . فهما مزودتان بكثير نظم الملاحة تنقيا في الفرسانة الإسرائيلية . ومداهما أطول من مدى الطائرة اف - ١٥ ، وخاصة عندما يحلان شحنات وقود إضافية ، بينما يمكنهما في الوقت ذاته حمل شحنات متفجرة أكثر . كما أن اف-١٥ تصمد طائرة القتل وتحمل شحنة متفجرة أقل بالنسبة لمسافة أصغر ، تطلق محركاتها أثرا ثقيل من الدخان الأسود مما يجعل اكتشافها واعتراضها أكثر سهولة وعلاوة على ذلك ، يوجد للطائرة اف-١٥ مقعدان أحدهما للطيار والآخر للملاح ، وقد يقتضى استخدامها اشتراك عدد أكبر من الأشخاص في المهمة السرية . مع أنه كلما كان عدد الذين يعرفون بهذه المهمة أقل كلما كان ذلك أفضل . ولكن ، وفوق ذلك كله ، كانت أجهزة الملاحة الأفضل ، المزودة بها طائرات اف-١٥ ، اف-١٦ تسمح لهما بالتحليق قريبا من الأرض وتحديد الهدف ثم مهاجمته ، والتطبيق بعيدا عنه بسرعة أكبر من أي طائرة عمليات أخرى في العالم . ذلك أن توافر السرعة الكبرى ، أو القدرة على المناورة كانتا أفضل ضمان بأن في وسعهما مهاجمة الهدف بأسرع ما يمكن ثم الاختفاء مع وجود فرصة ضئيلة لاعتراضهما - وهذا في طريقهما للوطن - من جانب الطائرات العراقية أو الأردنية ولقد كانت السرعة التي تتمتع بها الطائرة اف - ١٦ وحجمها الصغير ميزتين جعلتا منها الطائرة المثلى لقصف المفاعل العراقي ، بينما اختيرت الطائرة اف - ١٥ لتفطية وحماية الطائرات اف - ١٦ المهاجمة من فوق . ومن الناحية النظرية ، يمكن للطائرتين أن تتبادلا الأدوار ، بحيث يمكن لـ اف - ١٦ أن تتولى الحلية بينما تهلج اف - ١٥ في المفاعل . غير أن الحجم الصغير للطائرات اف - ١٦ يجعلها أقل مريحة للأصابة من جانب الحفمية المضادة للطائرات من الطائرات اف - ١٥ ذات المحرك .

وفي ظل ظروف المفاجأة الكاملة لن يتوافر للدفاعات العراقية الخاصة بالمفاعل الذرى ، لن يتوافر لهما من الناحية العملية أية فرصة لاعتراض الطائرات المهاجمة اف - ١٦ واستقاطها ، وذلك انطلاقا من الافتراض أن الاطعم العراقية المضادة للطائرات (التي تستخدم الحفمية السوفيتية الصنع

المقدمة للطائرات من طراز زوسيو - ٢٢ - ٤ والصواريخ المصادرة للطائرات من طراز سام - ٦ وسام - ٩ او الصواريخ الفرنسية كرونل) التي تحصى القنابل مستكون بطيئة جدا في رد فعلها . وعلى حين ان الدفاع لابد ان تبعدو وكثافتها مستحيرة الى مالا نهائه بالنسبة للطيارين الاسرائيليين المهاجمين ، كانت ديفيكتان لا تساويان اى شئ بالنسبة للدفاعيين ضد هجوم مفاجئ .

بل انه اذا كان العراقيون في حالة تاهب جزئى ، فان الطائرات (اف - ١٥) التي تتولى تغطية الطائرات المهاجمة (اف - ١٦) كان من المرجح انها تجهل اجهزة الكترونية للتشويش على رادارات بطاريات صواريخ سام - ٦ وسام - ٩ وعلى قرون الاستشعار الموجودة في راس الصواريخ نفسها . ولقد كان الاسرائيليون قد استولوا على نماذج من صواريخ ورادار سام - ٦ خلال حرب يوم كيپور . ويبدو ان السنوات السبع التي مرت منذ ذلك الحين كلفت خلفية لمصميم اجراءات مضادة لها . وعلاوة على ذلك ، وقبل اسبوع واحد قبل ذن الغارة ، دمر السلاح الجوى الاسرائيلى بطارية صواريخ ليبية من طراز سام - ٩ بالقرب من بيروت ، مما اثبت ان السلاح قد طور وسائل مضادة فعالة لتحويل انتباه العدو بعيدا عن الطائرات . ويصدق نفس الشئ بالنسبة لاداء صواريخ (كرونل) ، الفرنسية المضادة للطائرات وذات المدى المحدود . وللك ، كان التهديد الأكثر خطورة بالنسبة للاسرائيليين هو المدفعية السوفيتية الصنع المضادة للطائرات ، واحتمال ان تكون الطائرات الاعتراضية العراقية سريعة بالقدر الذى يمكنها من ان ترد في الوقت المناسب .

وفيمما يتعلق بخطر الطائرات الاعتراضية العراقية ، نجد انه اذا ما كان في وسع الطيارين العراقيين الرد بمجرد قصف الهدف ، فان الطائرات اف - ١٦ واف - ١٥ الاكثر سرعة يمكنها الابتعاد قبل ان تقترب منها الطائرات العراقية من طراز ميغ - ٢٣ او ميغ - ٢١ وحتى اذا ما تلقى السلاح الجوى العراقى تذكيرا مسبقا - وذلك في حالة اكتشاف الطائرات الاسرائيلية على شاشات الرادار وهو امر غير محتمل بسبب تحليقها على ارتفاع منخفض - فان القنابل الذى تقدمه الطائرات اف - ١٥ بها لديها من مجموعة من الصواريخ الطويلة المدى مثل سبارو وسيد وندر والطراز المتقدم من الصاروخ الاسرائيلى شافير سوف لا تسمح للطائرات الاعتراضية العراقية الا بفرصة ضئيلة للغاية للاحتكام مع الطائرات الاسرائيلية اف - ١٦ . فضلا عن ذلك ، كانت الخبرة الفائقة التى يتمتع بها الطيارون الاسرائيليون الذين جرى اختبارهم لهذه المهمة سوف يجعلهم يظهرون براعة اكثر من الطائرات المتفائلة الامريكية الصنع والصواريخ - جو - جو .

ومن المؤكد ان الطيارين العراقيين اقل خبرة بالمقارنة بالطيارين الاسرائيليين . والواقع ان تضاريف المفاجآت والاجهزة المتقدمة والخبرة لا يمكن

مزيتها ومع ذلك ، بذل المخططون الاسرائيليون أقصى ما في وسعهم لضمان نجاح الغارة كما لو كانوا يهاجمون عدوا في حالة تاهب كلب وفي وسعهم وامكانه ان يقتل ردا على الهجوم .

وحتى يتسنى تحقيق المفاجأة الكاملة ، التى تعد افضل سبيل لضمان انجاز عملية نظيفة دون خسارة اى طائرة ، كان الامر يقتضى تحقيق ظروف معينة وخاصة السرية الكاملة في تخطيط العملية واختيار الطريق الذى ستحلق فيه الطائرات بحيث لا يكتشفها رادار اى مراتب معاد قد يحذر المراقبين .

والواقع ان السرية الكاملة بمسالة من السهل نسبيا تحقيقها في ظل ظروف الأمن المشددة في اسرائيل ، وذلك بسبب الالفة الحبيبة للمشاركين في العملية تجاه بعضهم في مثل هذا البلد الصغير .

ولقد ابلغ على الفور الطيارون الذين جرى اختيارهم بغزة للاشتراك في المهمة (وكان عددهم حوالى ٢٤ طيارا ، بالرغم من أن ١٦ فقط اشتركوا في الغارة نفسها ابلغوا في البداية بطبيعة المهمة في ايجاز ، بالرغم من ان تاريخها لم يبلغوا به الا في اليوم السابق على تنفيذ العملية ، ولم يسمح لهم بالتحدث من المهمة مع اى احد حتى مآلاتهم والواقع ان هذا الاسلوب الخاص يجعل الطيارين يعرفون ان ما يتدربون من اجله يعد نبطا للموقف العسكري في اسرائيل . اذ لابد من توافر الحد الأقصى من الثقة في كافة الضباط والجنود المشاركين في اى عملية ، وغرس الايمان بذكائهم » وان يسمح لهم بفهم مهمتهم حتى يمكن ان يشاركوا بانفكارهم وتفكيرهم الخلاق .

وعلى الرغم من كافة الجهود التى بذلت لإبقاء العملية في طى الكتمان مع وجود دائرة صغيرة نصب من المشاركين فيها ، على الرغم من ذلك حدث تسريب غير متعمد . ولكن من حسن الحظ أن هذا التسريب ظل في نطاق دائرة من الأشخاص الموثوق بهم . وان بعض الذين جرى ابلاغهم بها لم تكن لديهم الا فكرة عامة عن التخطيط لعملية ، بينما كان لدى الآخرين معلومات محددة عن تاريخها . ومن هؤلاء الذين كانوا يعرفون مسبقا بالعملية عيزرا وايزمان وريبر الخفاح السابق والذي أصبح الآن سياسيا معارضا لبييجن . وكان وايزمان احد الصقور السابقين الا انه أصبح الآن حامة وديمة . وقد حاول الحصول على مساعدة ضد العملية من جانب زعيم المعارضة شهبون بيميز رئيس الوزراء السابق الذى ناقش بدوره الغارة المخطط لها مع اسحق رابين رئيس الوزراء الأسبق ورئيس الأركان الأسبق (واحد زعماء حزب العمل المعارض) ومع مورخاى جور — رئيس الأركان الأسبق ، وإبا ايمان وزير الخارجية الأسبق وغيرهم من كبار أعضاء حزب العمل المعارض . كما وصلت

معلومات الفارة الى احد الصحفيين المصريين من ايزمان ومراسل تليفزيونى سابق واحد المساعدين المقربين لشيمون بيريز .

ولقد ادى تسرب ابناء الفارة الى ان يشعر مناحيم بيجين رئيس الوزراء ومساعدوه المقربون بقلق بالغ . ونتيجة لذلك تقرر ارجاء موعد الهجوم مرتين على الاقل احدهما (يوم ١٠ مايو) بعد ان اعطى لطيارى السلاح الجوى الاسرائيل الموافقة على المضي قدما فى تنفيذ العملية . وعلى الرغم من ان زعماء المعارضة ، الذين كانوا فى مصمة حملة انتخابية عنيفة ، يهاوضون بشدة الفارة لاسباب سياسية ودبلوماسية وعسكرية ، على الرغم من ذلك لم يهربوا اى ابناء منها خارج دائرتهم .

ونظرا لتأجيل العملية بسبب تسرب ابناء الفارة ، قرر بيجين الا تهوى اللجنة الدائمة لمجلس الوزراء او لجنة الدفاع والشئون الخارجية مهمة تحديد تاريخ الفارة ، وانما كلف بذلك لجنة فرعية خاصة تضم بيجين نفسه وشامير وزير الخارجية واريل شارون وزير الزراعة (وسببت لجنة الثلاثة) . وقد قررت هذه اللجنة فيما بعد بالتنسيق مع رئيس الاركان الموعد النهائى للفارة وهو ٧ يونيو ١٩٨١ . وقد ادى هذا الاجراء الى تحقيق السرية فيما يتعلق بتوقيت العملية ذاتها ومع ذلك علم زعماء المعارضة بالفارة قبل موعد بدئها بشئى ساعات وكان لديهم وقت كاف للاجتماع ومناقشة الآثار المحتملة للفارة على الحملة الانتخابية القادمة وذلك قبل ان تحدث الخطوة .

ويمكن ان نقدر ان ما بين ٨٠ الى ١٠٠ شخص على الاقل كانوا يهربون مقدما باعتراف اسرائيل تدمير المخامل النووى المراقى فى وقت ما ، وان عددا اصغر كانت لديهم معلومات مقدما عن اليوم المحدد للفارة .

وهكذا ، وفيما يتعلق بضرورة السرية لتحقيق المفاجأة ، يتضح انه بالرغم من النظام الداخلى للأسرار لم تصل اية معلومات الى ايد معادية .

غير ان تحقيق المفاجأة الكاملة اعتمد كذلك على التخطيط الدقيق للعملية ذاتها . فقد كان على الطائرة ان تقترب من الهدف بدون ان تكتشف على الإطلاق .

١٥ - عملية بلبل : طريق الاقتراب

كان تخطيط طريق الاقتراب الى الهدف ينطوى على اهمية كبرى .
ذلك ان الشرق الاوسط يعد في حالة حرب مستمرة ، ومن ثم نجده في حالة
«اثمة نسبيا من التاهب ونتيجة لذلك ، تكتظ المنطقة بمحطات الرادار المداخـ
ننى تغطى كل الاتجاهات المحتملة تقريبا .

وفي غضون المراحل الاولى للحرب بين العراق وايران ، كان العراقيون
يفضلون حماية مطاراتهم باستخدام نظم سوفيتية (كملت تستخدم فوق فينتام
الشماله) من شأنها اعتراض طائرة العدو وهى تقترب من اهدافها بقدر
الامكان والقرب من الحدود . غير انه فيما بعد ، ومع النجاح لميجلت الطائرات
الايرانية التى كانت تحلق على ارتفاع منخفض والتى تشكل العراقيون في
اعتراضها ، غير العراقيون دفاعاتهم بزيادة للطائرات ، وركزوا على النيران
المضادة للطائرات وواجهوا اعتراض الطائرات الايرانية بالقرب من منشآتهم
الكبرى . وقد ادى تخيير هذا « التكتيك » الى تعزيز ضخم للدفاعات الجوية
حول المناطق الذوى العراقي ، وقد جعل النظام للسوفيتى الخاص بالدفاعات
«جبهة المتقدمة ، من السهل التعرف على الصديق او العدو .

وعلى الرغم من حقيقة ان العراقيين قد اشتركوا فيما لا يقل عن ثلاث
حروب ضد اسرائيل . كان الاسرائيليون لايعربون سوى قدر ضئيل نسبيا
مهم (فيما يتعلق بآدائهم في ميدان القتال ، والتجارب والمبالغة وغير ذلك)
ولقد اشارت الصعوبات الى واجهها العراقيون في حربهم ضد ايران الى أن
المخبرات الاسرائيلية ربما ضمنت ، فيما بدا ، في تقدير العفرات العراقية .

مع ذلك ، نجد ان قدرا كبيرا من الاهتمام قد بذل في تخطيط وتغطية
اقتراب الطائرات الاسرائيلية من هدفها . ومن المرجح ان هذا الامر قد تحقق
باستخدام خمسة سبل متداخلة ومتبادلة . اولها كان اختبار طريق الطيران بين
رادارات العدو حتى لا يتسنى اكتشاف الطائرات ، وثانيها كان يتمثل في
تحليق الطائرات على ارتفاع منخفض بقدر الامكان وذلك حتى لايمك للرادار
رصد الطائرات في حالة حقيقتها في منطقة يوجد فيها رادار ، وثالثها كان الالتزام
الدقيق بعدم ارسال اية اشارات لاسلكية . ورابعها التحصين على داهلوات
العدو باستخدام اساليب خداعية والتشويش عليه . وخامسها في حالة اكتشاف
الطائرات في منتصف الرحلة ، كان على الطيارين الحيلولة دون التعرف عليهم
عن طريق استخدام الخدع المباشرة — مثل التظاهر بقبحهم طيارون اوفنديون او
مسوديون في مهمة تدريبيه ، وبعدم استخدام علامات واضحة لتعرف عليهم .
وباستخدام الاساليب السلبية للنمويه .

١ - من المؤكد ان فريق تخطيط الفارة بالسلاح الجوى الاسرائيل
لم يكن ليختار الطريق المباشر للوصول الى بغداد . ذلك ان اهريق الدهر

الى بغداد . ينتمي الطيران فوق جنوبي سوريا وفوق الاردن . وذلك في الوقت الذي لم يكن فيه السوريون والاردنيون هم الطريق . راقبة شديدة . وسهل البقاع اللبناني ، وهي الازمة التي نشأت في انصاب ادخال السوريين في سهل البقاع - ٦ المضادة للطائرات في شرقي لبنان وتأت الازمة لا تزال سواروخ سام . وكان المبعوث الامريكي في دمشق قاله ولم يتم التوصل الى حل لها بعد . وكان المبعوث الامريكي في دمشق الاوسط السيد ليليب جيب لا يزال يقوم بدبلوماسيه « المكوك » بين دمشق وبيروت والقدس والرياض لبحث حل هذه الازمة وفي الوقت نفسه ، استمر الاسرائيليون في شن غارات جوية مكثفة فوق اربان ضد منظمة التحرير الفلسطينية ولذلك كان من المتوقع ان يكون السوريون في حالة ناهب خاص - وذلك اذا ما اخذنا في اعتبارنا وعد بيجين بهاجمة قواعد الصواريخ السورية في سهل البقاع (وربما في اي مكان آخر) . ومن ثم ، اهمت السوريون في راقبة راداراتهم لحدودهم الجنوبية . كما اهم الاردنيون بان تغطي راداراتهم كافة حدودهم اشماليه . ولذلك ، كان الاختيار الوحيد ان تسلك الطائرات الاسرائيلية الطريق الجنوبي الاكثر امنا وطولا حتى تصل الى الهدف .

ونحن نعرف الآن ان الطائرات الاسرائيلية اقلعت وهي في طريقها الى بغداد من قاعدة (اقزيون) الضخمة بالقرب من ايلات (وهي واحدة من اكبر واحشد المطارات العسكرية في العالم) وتقع هذه القاعدة على بعد ١٥ ميلا (على الاكثر) من الحدود الاردنية ولذلك تخضع لمراقبة رادارية مستمرة وربما مراقبة بصرية كذلك . ومن ثم اذا لم يجر تغطية اهتلاص الطائرات منها باستخدام اجهزة الكترونية لتعتيم الرادارات الاردنية ، فان عليها ان تحلق على ارتفاع منخفض للغاية لتجنب اكتشافها .

٢ - وكان الاسلوب الثاني والمكمل للاسلوب الاول لتجنب اكتشاف الطائرات هو ان تحلق على ارتفاع منخفض جدا . وفي كافة الاحتمالات حلق الاسرائيليون طوال مسافة كبيرة من طريقهم الى بغداد على ارتفاع يتراوح من ٣٠ الى ٦٠ قدما فوق سطح الارض ، وان اقصى ارتفاع لم يتجاوز ٢٠٠ قدم ، وذلك في ضوء طبيعة الاراضى التي تحلق الطائرات فوقها .

والواقع ، ان الملاحة والطيران ذاته شكلا ضغطا شديدا للغاية واعباء عمل شاقة على الطيارين ، وكاننا نطلبان منهم مهارة فائقة واعصابا باردة وقوة تحمل ذلك انه في ظل ظروف الطيران العادية . كان تحليق طائرات بمثل هذا الانخفاض ينطوي على خطورة بالغة . وبخ ذلك ، كان انصارون الاسرائيليون قد تدربوا على الطيران المنخفض للغاية ، منذ ان بات معروف انهم ان ذلك افضل سبل دفاعهم ضد الطائرات الاعتراضية وتلوا المدفعية المضادة للطائرات . ومن المرجح ان الاربعة والعشرين طيارا - او نحو ذلك - الذين

تدبروا على عملية بابل قد حسنوا تكتيك الطيران على ارتفاع منخفض ، وخبرة الملاحة الجوية على ارتفاع منخفض في ضوء الصعوبة الخاصة بالملاحة فوق الصحراء .

والواقع ان الطيران على ارتفاع منخفض لا يخلق صعوبات خاصة بالملاحة وإنما يقلل الى حد كبير مدى الطائرة . اذ ينطوي على احتكاك اكبر ، وذلك بسبب احتراق الوقود بمعدل اكبر . وحتى يمكن التغلب على مساله خفض المدى هذه ، يتعين زيادة كمية الوقود المتاح للطائرات المهاجمة . ويمكن ان يتم ذلك بأسلوبين :

• **اولهما** ، بتزويد الطائرات بالوقود عقب اقلاعها ، او وهي في الطريق الى الهدف . وكلاهما امر سهل وان كان يزيد من فرص اكتشاف الطائرات .

• **ولانيهما** ، تزويد الطائرات بتanks وقود اضافية ويؤدي هذا الى مضاعفة مدى الطائرات ، ولكنه سيقلل تلقائيا من شحنات الذخيرة التي تحملها كل طائرة . وهنا يقتضى الامر مضاعفة عدد الطائرات اللازمة لغرض الهدف وتدميره .

وقد استبعد تماما تزويد الطائرات بالوقود وهي في طريق العودة لسببين :

• **اولهما** ، انه اذا ما نشأت صعوبات أثناء تزويد الطائرة بالوقود وهي في طريق العودة فانها لن تعود الى الوطن .

• **ولانيهما** ، اذا افترضنا ان العدو اعترض باحدى طائراته طائرة مهاجمة ، فان اعادة تزويدها بالوقود في ظل الحركة سيكون مستحيلا وعلاوة على ذلك تعتبر الطائرات التي تحمل الوقود ضخمة وبطيئة ، ومن ثم تكون عرضة للاصابة من جانب طائرات العدو الاعتراضية .

ولذلك ، قرر الاسرائيليون حتى يستطيعوا العملية بقدر الامكان ، استبعاد اجراءات اعادة تزويد الطائرات بالوقود في الجو خلال اى مرحلة من مراحل الفارة وزادوا من مدى الطائرات المهاجمة باضلفة « تنكست » وقود اضافية لها . وكان هذا يعنى بالطبع زيادة عدد الطائرات المشتركة في الفارة .

٣ - وبالإضافة الى ابداء اهتمام حقيق بمسألة الاقتراب من الهدف ، جرى تزويد الطائرات ذاتها (وخاصة طائرات اف - ١٥ ومن المرجح طائرة نجسس خاصة كفلك) باجهزة الكترونية للتشويش على رادار العدو وخديعته . ولم يعرف شيء من هذه الاجهزة . ولكن يمكن افتراض ان الكثير منها قد صنع في اسرائيل . وبالإضافة الى هذه الاجهزة التي تصنعها اسرائيل ، يوجد لديها

أجهزة أمريكية مختلفة مضادة للنشاط الإلكتروني . وفي ضوء النتائج كانت الأجهزة التي استخدمت فعالة للغاية ، ولم تكتشف الطائرات وهي في طريقها إلى الهدف . وكما نعرف الآن كانت الفارة مفاجأة كاملة ، لا بالنسبة للمراقبين أنفسهم ، بل بالنسبة للأمريكيين والأردنيين والسعوديين كذلك .

ذلك أن وجود طائرات الإنذار المبكر الأمريكية من طراز أوكس في المجال الجوي السعودي في أعقاب الثورة الإيرانية واندلاع الحرب بين العراق وإيران كان يسبب قلقاً لإسرائيل . ولم يعرف بعد أن يكون الإسرائيليون قد شوشوا على شاشات رادار الأوكس أو خدعوها بتقديم صورة خاطئة (قد تردد أن الطائرات الإسرائيلية حلفت في شكل تكوين متماسك ، أي قريبة جداً من بعضها بما جعل شاشات رادار الأوكس ترصدها على أنها طائرة واحدة ضخمة مثل طائرة البوينج ٧٤٧) أو استخدموا أي تكنولوجيا أخرى لتقديم صور زائفة — أو استخدموا أجهزة لتدمير قدرة الرادار على أن يستقبل أية إشارة كاملة وإياها كان الأمر ، فإن طائرات الإنذار المبكر (الأوكس) لم تكتشف اقتراب الطائرات الإسرائيلية من الهدف أو عودتها بعد تدميرها ، ولعل التفسير البسيط يتحلل في أن طائرات الأوكس كانت تحلق بعيداً في المنطقة الجنوبية الشرقية ، مركزة جهودها على الجانب الشمالي الشرقي من الخليج الفارسي أو شط العرب ، بحيث لم يتسن لها اكتشاف الطائرات الإسرائيلية .

وبالإضافة إلى ذلك ، كان الإسرائيليون — الذين يصلون دائماً وهم يفترضون أن الأقمار الصناعية الأمريكية والسوفيتية تراقبهم — يتخذون دائماً إجراءات احتياطية لتجنب مثل هذه المراقبة . وهذا يعني أن أهم أوجه النشاط والاستعدادات الخاصة تحدث إما في أماكن سرية أو في ملاجئ الطائرات المخلقة ولذلك ، كانت كافة أوجه النشاط التي ترصدها الأقمار الصناعية إما أن تكون غير ذات أهمية أو تشير إلى العمليات التي يجري التخطيط لها أو تستخدم للخداع . والواقع أن المخابرات الأمريكية قد وجه إليها النوم ، بلا مبرر ، لفشلها في معرفة الفارة أو التمكن بوقوعها . وإيا كل الأمر ، فإن هذا كل أمر باستحالة . إذ أن الأمريكيين يولون اهتماماً كبيراً لأجهزة المخابرات التكنولوجية مثل الأقمار الصناعية ، والتي تنطوي على تصور واضح ذلك أن الحصول على معلومات عن مثل هذه العملية لا يتم إلا عن طريق المخابرات البشرية ، أي التجسس من الداخل .

٤ و ٥ — كان من الممكن كذلك تجنب اكتشاف الطائرات وهي في طريقها إلى الهدف عن طريق عدم استخدام الراديو. الخاص بها ومع ذلك ، في حالة اكتشافها من جانب رادار معاد أو برج مراقبة جوية ، كان على الطيارين الإسرائيليين أن يردوا باللغة العربية (أو الإنجليزية) ولقد ترددت شائعات في أعقاب الفارة مباشرة مؤداها أن أحد الرادارات في السعودية اكتشف الطائرات وهي في طريقها إلى الهدف ، وجرى الرد عليه باللغة العربية ، وأن

الاسرائيليين استخدموا ذخخبات ونداءات السلاح الجوى الملكى الاردنى . وار الطيارين الاسرائيليين تظاهروا بانهم طيارون اردنيون في مجة تدريبية (وقد نشرت هذا التقرير مجلة افيش ويك الامريكية في ١٥ يونيو ١٩٨١) دانه : انه سياسى تكنولوجياى . غير انه من المشكوك فيه الى حد كبير وموع من هذا الحادث . ذلك ان مثل هذه الشائعات تتردد دائما في أعقاب عمليات من هذه ، وهى تعتبر عادة مجرد اختلاق تتفتق عنه أذهان الصحفيين الحصبه . والواقع ، ان الطيارين الاسرائيليين الذين تدربوا تدريبيا جيدا على العملية قد ابقوا ، نيبا بدا ، راديو الطائرة صامتا تماما سواء في طريق موجههم للهدف او عند مودسهم بعد قصه . ويبدو ذلك في التصريح الذى ادى به احد الطيارين بعد الفارة وقال فيه انه كان قلقا جدا وهو في طريق العودة لانه لم يثن يعرف ماذا حدث للطيارين الاخرين . وهذا يسمى شيئين : اولهما : ان الطيارين ابقوا راديو طائراتهم صامتا طوال العملية او على الأقل في طريق عودتهم الى الوطن . وثانيهما : انهم لم يبقوا على اتصال بصري ببعضهم في طريق عودتهم . وذلك حتى تزداد صعوبة محاولة اعتراضهم . فقد طار كل منهم في طريق العودة عبر الاراضى الاردنية (التى تمت اقصر طريق ممكن) من خلال طرق مختلفة .

وهكذا ، بذل المخططون الاسرائيليون اقصى ما في وسعهم لتحقيق المفاجاة الكاملة بالنسبة للاقترب من منطقة الهدف ، وذلك حتى يتسنى تجنب التعرض لاية نيران مضادة للطائرات او تدخل الطائرات الاعتراضية العراقية خلال الطريق الى الهدف .

ولقد ساعدتهم عوامل اخرى وجهت الانتباه بعيدا عن احتمال شن مثل هذا الهجوم اولها : الحرب العراقية الايرانية ، التى وجهت معظم الجهود العسكرية الخاصة بالمخابرات العراقية الى الشرق في اتجاه ايران لا الى الغرب في اتجاه اسرائيل كما يحتمل ان العراقيين كانوا يفترضون ان اى هجوم سيحدث على نطاق صغير (تقوم به طائرتان او { طائرات مهاجمة) .

والواقع انه لما كان السلاح الجوى الاسرائيلى ، خلال الحروب الثلاث الاخيرة مع العراق ، لم يهاجم اية اهداف عراقية بالقرب من بغداد ، فمن المرجح ان العراقيين لم يتوقعوا احتمال حدوث مثل هذا الهجوم . وفي هذا السياق ، يتعين ان نتذكر ان العراق قد شاركت على نحو فعال واعلنت الحرب ضد اسرائيل عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ولم توقع قط اتفاقية هدنة او وقف إطلاق النار مع اسرائيل ولذلك يعد البلدان من الناحية الفنية في حالة حرب دائمة مع بعضهما . ومن ثم لا يمكن اعتبار الهجوم الاسرائيلى على العراق عملا غير شرعى تبعا للقانون الدولى . ففى عام ١٩٦٧ هاجمت الطائرات العراقية من طراز تى يو - ١٦ السوفيتية الصنع مدينة تلخاتيا الاسرائيلية انواقمة على شاطئ البحر المتوسط . ولقد تم اسقاط واحدة من الطائرتين العراقيين وهما في طريق عودتهما الى الوطن ، اما الاسرائيليون انفسهم فلم

بهاجموا اية اهداف في العراق من قبل ، باستثناء الهجوم على المطار الجوي العراقي ه - ٢ الواقع في منتصف الطريق بين اسرائيل وبغداد وفي ذلك الوقت كان الهجوم على المطار ه - ٢ يعتبر اكثر مدى يمكن للطائرات الاسرائيلية ان تبغضه .

وربما كان السبب الرئيسي الآخر الذي جذب انتباه العراق بعيدا من احتمال شن اسرائيل غارة جوية على مفاعله النووي ربما كان هذا السبب هو الريبة الصواريخ القاذبة بين اسرائيل وسوريا والتي كانت تشرع فيها يبدو ، الى ان اسرائيل كانت مشغولة تماما بالوضع على حدودها الشمالية لا بالوضع على حدودها الشرقية مع العراق ولقد زعم ببجين - الذي وجهت اليه التبعات حادة خلال الحملة الانتخابية الاسرائيلية بسبب ادارته المدينة لآلة الصواريخ لم تكن سوى مبرر لجلب الانتباه بعيدا عن الهجوم على المفاعل العراقي . ومن المرجح ان ببجين قد حاول ان يستفيد من الفارة على العراق بأن يبلغ الناصحين : كم كان ذكيا . . او ربما كان يحاول تخفيف ازمة الصواريخ بين اسرائيل وسوريا بالاشارة الى ان هذه الازمة لم تكن سوى عرض جانبي او ثانوي وليست ما يشغل بال اسرائيل اساسا . وعلى نحو او آخر ، كان هذا هو التفسير الذي تمه ببجين بعد الحادث والذي فشل في اقناع اي شخص .

ومن المحتمل كذلك ان العراقيين كانوا يدركون انه من غير المرجح ان يهاجم الاسرائيليون المفاعل وقت احضارهم ممراتهم الانتخابية ، وانهم لن يهاجموا المفاعل الا بعد ان يكتمل العمل في بنائه ويبدأ تشغيله .

وايا كان الامر ، فان تضاعف الاعداد التمهيلي للهجوم واقتران ذلك بضوضاء من شأنها تحويل الانتباه عنه قد وفرت الظروف المثالية لشن هجوم يهاجم نالج على المفاعل .

١٦ - عملية بجل : اختيار الأسلحة

لقد جرى التخطيط على أن تطلق الطائرات الإسرائيلية وهي في طريقها إلى الهدف على ارتفاع منخفض جدا . وكانت الطائرات المهاجمة تظهر في مجموعتين : المجموعة الأولى وهي الطائرات القاذفة وتتضمن ٨ طائرات إف - ١٦ الصقر المقاتل ذات المقعد الواحد والمحرك الواحد .

أما المجموعة الثانية فكانت تتضمن ٨ طائرات من طراز النسر اف-١٠٠ وتعمل لتفطية القاذفات إف - ١٦ .

وما أن تقترب الطائرات من الهدف (الذي يقع على بعد ٥٠ ميلا من بغداد) حتى تحلق طائرات إف - ١٥ على ارتفاع أكثر لتفطى اقتراب الطائرات إف - ١٦ . وكانت طائرات إف - ١٥ مزودة كذلك بأجهزة الكترونية مضادة أو أجهزة تشويش - وذلك لشل فعالية الرادار وأجهزة توجيه بطاريات صواريخ سام - ٦ المضادة للطائرات وادار المفعية المضادة للطائرات من طراز سوزيو - ٢٣ - ٤ . فضلا عن ذلك ، كان عليها أن تغطي الصواريخ جو - أرض المضادة للاتصاع مثل صواريخ « شرايك » التي يمكن استخدامها لشن لمعية التفجمات الحيلة بالمعامل والمضادة للطائرات ولكن فوق كل ذلك كان على طائرات إف - ١٥ أن تحل عددا كبيرا من صواريخ جو - جو ومن المرجح انها مجموعة تتألف من الصاروخ الاسرائيلي الصنع « شافير » وكذلك صواريخ سايوندر الامريكى الصنع والصواريخ الطويلة المدى سباروز طراز ام-٧ .

وعلى الطائرات إف - ١٦ أن تستمر لفترة في التطبيق على الهدف منخفض ثم ترتفع تدريجيا من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ قدم في اتجاه الهدف ذاته وعندئذ وهي فوق الهدف تماما ، تنفض مرة اخرى الى مستوى منخفض لضمان تحقيق اصابت مباشرة للهدف .

وكان الاقتراب يقضى بان تقترب الطائرات إف - ١٦ أولا من معركة الهدف وهي تحلق على ارتفاع منخفض ثم أكثر تخففا . بينما تتولى طائرات إف - ١٥ تفطيتها . وهكذا ، فان طائرات إف - ١٥ الاسرع ستظهر في نفس الوقت الذي تظهر فيه طائرات إف - ١٦ فوق منطقة الهدف وعلى ارتفاعات مختلفة . وفي امقاب الهجوم مباشرة يستجبه طائرات إف - ١٦ الى اعلى لتلتقى مع طائرات إف - ١٥ التي تحلق الى اعلى .

وخلال مرحلة العودة الى الوطن ، سيتغير هيكل المجموعتين مرة اخرى . ففي هذه المرة ، تشكل كل من طائرة إف - ١٥ و إف - ١٦ زوجين ، ويتخذ كل زوجين طريقا مختلفا الى الوطن ، وذلك لجعل عملية الاعتراض أكثر صعوبة (اذا ما حاول العراقيون ذلك) . وسيكون الطيران .

في طريقه العودة على عكس الطيران في طريق الاقتراب من الهدف - على ارتفاع مرتفع وسيكون الطريق في العودة بقدر الامكان حتى يمكن تدمير الوفود . ولقد كانت عملية الطيران كلها تستغرق حوالي ٤ ساعات ، منها ساعتان ونصف ساعة في الطريق الى الهدف ، ودقيقتان فوق الهدف ، ثم حوالي ساعة ونصف الساعة في طريق عودة الطائرات الى قواعدهما .

ولقد اعدت ترتيبات انقاذ تفصيلية وان كان لم يكشف عنها في حالة اضطراب احد الطيارين الى الهبوط بمظلته . ولم تكشف اية معلومات بشأن عملية الانقاذ للجنود هذه ، بيد انه من المؤكد انها كانت تفصيلية ودقيقة ، ومن المرجح انها كانت تنطوي على طائرة نقل مثل (هرقل طراز سي - ١٣٠) التي يمكنها ان تهبط في ممر قصير وبدائي وان تفلح من مرات قصيرة جدا بالاستعانة بالطلق صواريخ . وتوجد اساليب فنية يمكن بها لطائرات طراز سي - ١٣٠ ان تنفذ طيارا تانها وهو على الارض دون ان تهبط .

وتتضمن ترتيبات الانقاذ الأخرى طائرات الهليكوبتر التي يمكنها ان تطلع من الطائرة سي - ١٣٠ بعد هبوطها وان تتقدم الى اراض أكثر صعوبة لا يمكن للطائرة سي - ١٣٠ ان تهبط فوقها . وفي ضوء كافة الاحتمالات ، كان عدد قليل من سي - ١٣٠ يحلق في الجو (او على الاقل في حالة تاهب خاص) طوال الوقت ، مع ترجيح وجود طائرات مقاتلة لتغطيتها والواقع ان احتمالات هبوط احد الطيارين بمنطقة فوق العراق ، لم يكن يجعل اى طيار اسرائيلي سعيدا . ذلك انه ما التت السلطات المراقبة القبض على اى طيار فانه لن تتوافر له اى فرصة لان يعود قط الى الوطن .

واخيرا ، وفي حالة نجاح الفارة ، وعودة كافة الطائرات الاسرائيلية ، سيكون من الضروري وضع سلاح الطيران الاسرائيلي في حالة تاهب لعدة ايام قلائل في ضوء احتمال ان يسرع المراقبون ويخططوا لفارة انتقامية .

ولقد كان اختيار الاسلحة او القنابل التي ستلقى على الهدف مسألة حاسمة . فقد كانت الطائرات المهاجمة تقدم على مضاطرة بالغة جدا وهي تقترب من الهدف ، وهي اذا ما فشلت في تدمير المفاعل خلال المرور السريع فوqe مرة او مرتين على الاكثر ، فانه لن تتوافر لها فرصة ثانية . ومسبب ذلك واضح ، ففي أعقاب الهجوم الاول الواسع النطاق غير الناجح سيمرّز العراق بالتأكيد من دفاعاتهم المضادة للطائرات وخاصة حال تعطيل راداراتهم .

وعندئذ سوف تتضائل فرصة شن هجوم على المفاعل عن طريق تحقيق

المهاجمة الكائنة ، وإن أية محاولة لخرق المهاجمة الهدف من الجو سوف تنطوي
على تكلفة باهظة جدا . ولذلك ، كان على الطائرات المهاجمة أن تحمل المزيد
من الأسلحة لضمان تدمير الهدف ، حتى في حالة إذا لم تستطع بعض
الطائرات القاذفة فعل ذلك .

وفي ضوء مثال تفصيلي خطة الإنقاذ الأمريكية في إبريل ١٩٨٠ في
الصحراء الإيرانية (كنتيجة أساسا لعدم وجود ما يكفي من طائرات
الهليكوبتر ضمن البعثة ، في حالة إذا ما جرى تدمير بعضها خلال المعركة
قرر الإسرائيليون لضمان نجاح القاذرة تسليم القوة المهاجمة بالمزيد من الأسلحة
الاضافية . وهكذا ، فإن كانت ٧ طنان من القنابل (أى ما يساوى تقريبا
١٥ ألف رطل من مادتي تي . إن . في . شديدة الانفجار) تكفى لتدمير
الهدف ، فإن الطائرات المهاجمة ستحمل ما لا يقل عن ١٥ طنا (أو ٣٢ ألف
رطل) .

ويوجد لدى السلاح الجوى الإسرائيلي في ترسانته بعض أحدث الفخيرة
والأسلحة المتطورة الأمريكية الإسرائيلية الصنع وذات التوجيه الدقيق
ويمكن لأى من هذه الأسلحة أن يحدث تدميرا خطيرا في المفاعل العراقي
وخاصة نظم أسلحة جي . بي يو ١٥ وسلاح البين . وقد قرر فريق التخطيط
للغارة بالسلاح الجوى الإسرائيلي ، ألا يختار أى من نظم هذه الأسلحة ، رغبة
معه في جعل شيء متعلق بالغارة بسيطا بقدر الإمكان . والواقع أنه على حين
تعتبر الفخيرة والأسلحة ذات التوجيه الدقيق في ظل توافر ظروف
بأسلية أكثر الأسلحة دقة في التشغيل ، على حين ذلك يتطلب ظلوما خاصة
لا يمكن توافرها في ظل ظروف ميدان القتال . فهي تقتضى مثلاً تشغيلها من
أقل ارتفاع ممكن ، وأن يكون بالطائرة شخصان أحدهما لتشغيل أجهزة
التوجيه والآخر لقيادة الطائرة ، وتوافر ظروف مناخية ممتنة واستقرار
الطيران لمدة ٢٠ ثانية أو يزيد . وأخيرا فإن الأسلحة ذات التوجيه الدقيق
تتكون من العديد من الأجزاء الإلكترونية مما يؤدى عطل أحدها إلى تضائل
إمكانية القصف الدقيق . وعلاوة على ذلك يمكن لهذه الأسلحة أن تتعرض
دائما للتشوش والتشويش .

ولما كان من الصعب تلبية كافة هذه المتطلبات بالنسبة لهجوم مفاجيء
على ارتفاع منخفض على هدف تحوطه دفاعات كثيفة اختار مخططو العملية
القنابل التقليدية وكانت القنبلة التي وقع الاختيار عليها هي القنبلة الأمريكية
الصنع طراز ام كي ٨٤ ذنة ٢٠٠٠ رطل (٩٠٧ كيلو جرام) وهي قنبلة
تقليدية شديدة الانفجار (أو قنبلة إسرائيلية مماثلة لها) وقد اختبرت هذه
القنبلة في عمليات عديدة ولم تفشل إطلاقا . وهي تحمل شحنة شديدة
الانفجار بحيث تسبب دمارا خطيرا لبعض الأهداف الصلبة . وحتى يمكن
أن تحقق الأثر المنشود ، أى تدمير الهدف ، لا بد من أن تصيبه إصابة مباشرة
في منتصفه . وأن تأثيرها سيكون غير ذى بال . ويصدق هذا بالنسبة لكل

القنابل التقليدية ، التي توجه ضد هدف محدد ، والتي قد تصيب أو لا تصيب
الهدف مثل مجموعة من الدبابات المهاجمة أو كتيبة مشاة أو غير
ذلك .

ولقد اتساع « بينيت راميراج » في كتابه (تدمير منشآت الطاقة
النووية في الحرب - الفصل الثاني) الى فترة الاسلحة التقليدية على تدمير
إحدى لمعامل نووى .

والواقع ان كل قنبلة من طراز ام كى ٨٤ التي استخدمها الاسرائيليون
كانت قوية بحيث تكفى لتدمير المفاعل الذى لم يكن سمكه يزيد بالتأكيد عن
١١ قدما من الاسمنت .

ويطوى هذا النوع من القنابل على ميزة تشمل في انه في الامكان
استقاطها على الهدف من ارتفاع منخفض جدا . ولذلك كان على الطائرات
الاسرائيلية المهاجمة ان تتأكد تماما من انها ستصيب الهدف اصابة مباشرة
وقد تحقق هذا بفضل برنامج التدريب المكثف ، ويتوجه أجهزة الملاحة بدقة
صوب الهدف . وبالتحليق من ارتفاع منخفض الى ارتفاع يزيد على ٢٠٠٠ قدم
وأخيرا الانقضاض واطلاق القنابل فوق منتصف الهدف من ارتفاع يتراوح
بين ٥٠ الى ١٠٠ قدم لضمان اصابة الهدف اصابة مباشرة . وفيما بعد ،
وفي أعقاب الفارة ، كشفت الصور الفوتوغرافية التي التقطتها اقسام التجسس
الامريكية ان القنابل قد أصابت المفاعل اصابات دقيقة حتى ان ضباط المخابرات
الامريكية كانوا مقتنعين بان الاسرائيليين استخدموا في فصلهم الاسلحة ذات
التوجيه الدقيق . غير ان بالم يعرفه محللو المخابرات الامريكية ، فيما يبدو
هو ان الطيارين الاسرائيليين قد اعتادوا قصف اهدافهم بمثل هذه الدقة من
ارتفاع اكثر انخفاضاً مما يرى الطيارون الامريكيون انه ارتفاع آمن .

ويمكن للطائرة اف - ١٦ ، في حالة خفض كمية وقودها ، ان تحل
حوالى ١٥٢٠٠ رطل (او ٦٨٩٥ كيلو جراما) وذلك بالنسبة لهدف قصير المدى
اما في حالة عدم خفض وقودها ، فانها تحمل ١٢٠٠٠ رطل (او ٥٤٤٣ كيلو
جراما) بالنسبة لهدف طويل المدى .

ولقد اضطر المخططون للمصلحة الى اضافة كمية كبيرة من الوقود الاحتياطي
للطائرة المهاجمة نظرا للمدى الطويل جدا للمصلحة . وكان هذا يعنى ان على
كل قاذفة مقاتلة ان تحمل شحنة وقود اقل من شحنتها من القنابل . ولذلك
حصلت كل طائرة من طائرات اف - ١٦ قنبلتين فقط من طراز ام كى - ٨٤
وتبلغ زنة الواحدة منها ٢٠٠٠ رطل . وهكذا حملت طائرات اف - ١٦
الثانية ١٦ قنبلة ، يبلغ وزنها الاجمالى ٣٢٠٠٠ رطل من المواد الشديدة
الالتفجار . وفي ضوء كافة الاحتمالات ، كان تصويب قنبلتين او اربع قنابل
تصوبها جيدا نحو الهدف سوف يدمر المفاعل المراقى تدميراً كاملاً . غير انه
رغبة من فريق التخطيط الاسرائيلى في تحقيق تزيده من الضمان لتدمير المفاعل
وكأجراء احتياطي ، قروا مضاعفة عدد الطائرات والقنابل ، على الاقل .

١٧ - عملية بابل : العدد التنازلي

بدأ حوالى ٢٤ طيارا برنامج تدريبهم المكثف فى وقت ما ، فى شهر اكتوبر ١٩٨٠ . ولقد جرت كل تدريباتهم فى ظروف ماثلة للاراضى اصحراوية . وقد تدربوا تكريبا شلانا على الحديد الدقيق للملاحه الجوية والطيران على ارتفاع منخفض جدا (وهو امر صعب للنفاية فوق الاراضى الصحراوية المبسطة على نبط واحد) فى تشكيلات متقاربة من بعضها فتكون من ٨ الى ١٠ من طائرات اف - ١٦ واف - ١٥

وقد تعلموا كيف يهرون بسرعة فى حالة وجود تهديد من جانب الطائرات المقاتلة للعدو ، وحسنوا من اساليب الاتصالات البصرية والتنسيق الوثيق بين الطيار الذى سيحسم بدوره الاتصالات بين قائدى طائرات اف - ١٦ واف - ١٥ . وتدربوا على فك التشكيلات والطيران على شكل طائرتين احدهما اف - ١٦ والاخرى اف - ١٥ للسودة الى قاعدتهم .

وكان عمل تشكيلات الطائرات ان تتعلم كيف تعتمد على ملاحه قائد او قائدين ، ينسا يركزون هم فى الطيران ومراقبة شاشات واداراتهم عن كتيب لاحتمال ظهور طائرة معدية . وعلى الآخرين ان يشغلوا ما لديهم من اجهزة تشويش الكترونية .

وكان عليهم ان يتدربوا على الاقتراب من الهدف مرات ومرات حتى يصبح فى مقدورهم ان يفعلوا ذلك وهم مضطربون المينين . وكان على كل طائرة من طائرات اف - ١٦ ان تهاجم الهدف فى وقت لا يزيد عن دقيقتين او اربع دقائق بالنسبة للطائرات كلها . وكان على كل طائرة ان تحوم حول الهدف لفترة تتراوح بين ١٥ الى ٢٠ ثانية ثم تليها الطائرة الاخرى وهكذا كان كل منها يعرف مكانه وتوقيتته المحدد بالنسبة للهجوم . وكان على كل طيار ان يركز على الهدف ، وان يتجاهل اى نيران مضادة للطائرات وان يسقط القنابل مباشرة على منتصف الهدف او فى المناطق التى لم يصيبها الطيارون الذين سبقوه .

وقد اعتبرت التدريبات مهمة للغاية حتى ان رؤايل ايتان رئيس الاركان الاسرائيل قد اشترك بنفسه فى احدى التدريبات حتى يحصل على فكرة مباشرة عن فعالية الفارة والمشاكل التى تنطوى عليها .

وعندما حان الوقت المناسب ، اعطيت الاوامر لتنفيذ العملية ، وذلك بعد اوجاء موعد الهجوم مرتين او ثلاث مرات . وكان الطيارون يعرفون ويعمون التدريبات بحذافيرها . وكان الشئ الوحيد الذى لم يعرفوه هو - يوم الهجوم - وقد ابلغهم به قائد القاعدة قبل الهجوم بـ ٢٤ ساعة .

وقد فصح الرجل الذى خطط للفارة ، التدريب المكثف ، ببرونة
(اوركسترا سيمفونى) فكل الطيارين والمقاتلات كانت تعمل تبعا بخطة
واحدة ، تماما مثل الموسيقيين الذين يعزفون فى اوركسترا .
وقد اشار الى انه بعد هذا التدريب التفصيلى والدقيق تظهر المهارة ،
ويمكنك ان تقول لهم : كونشيرتو رقم ٤٢ لبرامز - وعندئذ سوف يؤدى كل
دوره فى الحزف فكل واحد يعرف جيدا اى موسيقى سيعزفها .
وقد راى قائد الاوركسترا ان عملهم اصبح منسقا . وان الامر لا يحتاج
الى كلمة اخرى . وفى هذه الحالة لا يقتضى الامر وجود مشاهدين .

كان يوم الأحد ٧ يونيو ، يوما جميلا مشرقا . وكانت مدينته ايلات المسفرة ، المركز السياسى الاسرائيلى على شاطئ البحر الأحمر . تكتظ بالآلاف من السائحين السكندنافيين والالمانيين والاسرائيليين الذين جاءوا اليها للاستمتاع بشواطئ البحر الأحمر الرملية ، وذلك قبل ان تعود هذه الشواطئ الى بحر كجزء من معاهدة السلام بين الدولتين . وكان يوم الأحد ذاك يقع بين يوم الاجازة الاسبوعية اليهودية وبين عيد شافوث ، الذى يحدد فى التاريخ اليهودى الطويل فى اسرائيل منذ التلى عام مضت يحدد بداية حصاد محاصيل الشتاء .

ولم يدرك اى من هؤلاء السائحين النشاط الخالص الذى كان يجرى و القاعدة الجوية اترزيون ، التى تقع على بعد حوالى ٢٠ كيلو مترا من ايلات . بطوال ٢٤ ساعة كانت واحدة من احسن وأحدث القواعد الجوية فى العالم و حالة نشاط غير عادى . والواقع ان (الروتين) المعتاد فى اسرائيل يقضى بأن يحصل معظم جنود الجيش النظاميين على اجازة آخر الاسبوع . ولذلك يتوقف التدريب المعتاد فى يوم السبت ، وتكون الطائرات على استعداد للطيرن فقط فى مهمات نمائية يقضى أغنى حاة التأهب بينها فذة مصرية . ومع ذلك الغيت اجازة آخر الاسبوع الخاصة هذه ، والغيت كافة الاجازات حتى بالنسبة للقيام برحلة الى ايلات .

وكان هذا احد الاجراءات التى اتخذها فرع خدعة امن الميدان التابعة للجيش ، وذلك حتى تقضى على أية فرصة لتسرب السر الكبير . وقد قطعت لنفس السبب كافة الاتصالات التليفونية ، باستثناء بعض المكالمات الخاصة لمقر قيادة القاعدة . وعلى الرغم من ان الطيارين الذين وقع الاختيار عليهم للقيام بالمهمة وبعض كبار الضباط الآخرين كانوا يعمرون عن الفسارة ، هلج الرغم من ذلك كان المسئولون عن عملية الأمن الخاصة بالفسارة يمثل فى ذهنهم حادث وقع منذ خمس سنوات ، خلال الاعداد للفسارة على منتيبي ، وذلك عندما اكتشف بعد ساعات قلائل من اقلاع الطائرات ان جنديا بالقاعدة قد اتصل تليفونيا بصديقته حيث اخبرها انه لن يستطيع التوجه الى المنزل كما وعدنا لاننا « نعد شيئا ما خاصا لمعدي امين » .

وكانت القاعدة لانزال مغلقة حتى ساعة متأخرة من الصباح عندما هبطت طائرة هليوكوبتر بالقرب من مطار قيادتها . وخرج منها رفائيل ايتان رئيس الأركان الاسرائيلى بصحبة الجنرالان ديفيد اينرى قائد السلاح الجوى الاسرائيلى ، ويوهوشوا ساجيف رئيس المخابرات العسكرية ، وبعض كبار الضباط الآخرين الذين اشتركوا فى تخطيط العملية منذ بدايتها ، واتجهوا جميعا الى داخل مقر القاعدة .

وفى داخل غرفة العمليات الكبيرة المكية الهواء التى توجد تحت الأرض ، التقوا بـ ١٦ طيارا وكولونيل بالسلاح الجوى يبلغ من العمر ٢٢ عاما ،

وكان الراس المدبر وراء التخطيط للغارة ، والذي بدأ الآن القاء توجيهه آخر
بإجراءات تنفيذ الغارة .

وكان كل شخص داخل غرفة العمليات يعلم تمام العلم كل تفاصيل
الغارة . بكل منهم يعرف بدقة طريق الطيران ، والطريقة التي ينبغي بها
الإقلاع بها تحمله طائراتهم من شحنات وقود وخزيرة نفيلة ، وانماط طيران
الشمس (طائرات اف - ١٥) والصقور (طائرات اف - ١٦) ، والإجراءات
التي اتخذت للانفاذ اذا ما هبط أحد الطيارين من طائرته ، وغير ذلك من الكثير
من التفاصيل الصغيرة والهامة جدا واللازمة لنجاح المهمة الجسورة . ولقد
استفاد كل منهم في هذا البيان الموجز الخاص بإجراءات تنفيذ الغارة ، على
الأقل مرة في الماضي . وكانوا يعنون حنيبة أن هذه العملية إلى أعدوا
أنفسهم بدقة للاضطلاع بها قد الغيب في الحقيقة الأخيرة مرتين على الأقل -
وكانوا يأملون أن يبدأ العمل الفعلي هذه المرة . وكان الجو في الغرفة التي
تحتلها أنوار (النيون) هادئا ولكنه يسم بأنبوثر .

وفي الخارج ، في الملاجئ الضخمة للمباريات ، وبعضها تحت الأرض ،
كان مئات الفنيين يعدون الطائرات للبعث . وقد جرى فحص جهاز التشويش
على الأجهزة الإلكترونية المازودة به طائرات اف - ١٥ ، عدة مرات . كما تم
تثبيت الصواريخ جو - جو بدقة في أجنحة طائرات اف - ١٦ . وزويت
الطائرات المقاتلة الغازفة بقتال من طراز ام كي - ٨٤ . والواقع أنه حتى هذه
اللحظة ، لم يعرف أحد من هؤلاء الجنود المهمة التي ستقوم بها الطائرات .
ولكنهم بالطبع كانوا يدركون تمام الإدراك أن مهمة خاصة سيجري تنفيذها . غير
أنه لم يكن في وسعهم التكهن بهنيتها . وحين بعضهم أن الهدف هو بطاريات
الصواريخ السورية على الحدود الشمالية . أما البعض الآخر ، الذين اعتبروا
أن هذا الطراز من القتال الحربية ليست السلاح الأفضل ضد مثل هذه
الأهداف ، فقد اعترضوا على اقتراحات اصقائهم ، وإن كانوا لم يستطيعوا
تقديم بديل أفضل .

وكان الضابط الفني المسئول عن كل سرب من المقاتلات وبمصحته كبار
مساعديه يقوم شخصيا بإجراء الفحص الأخير لكل طائرة عندما عاد الطيارون
من تلقى البيان الموجز بتفاصيل الغارة ، وكان على رأس كل منهم خوفه .

وقبل دقائق من الساعة الثالثة ، بالتوقيت المحلي ، دخل الطيارون
الشبان طائراتهم ، وأغلقت القباب الخاصة بالطيار من أعلى . وكان عدد قليل
منهم مصعبا ، وكانوا قد تدربوا لمدة طويلة لكافة الاحتمالات وأسوأ التطورات
المحتملة . ثم ضغط الطيارون على الزر وعندئذ سمع دوى المحركات في كافة
أرجاء القاعدة . وتحركت الطائرات إلى الأمام وعنفئة رأوا المبر الطويل والعريض
وقد اظلمت كل طائرتين معا . مستخدمة طول المبر كله بسبب الوزن الثقيل التي
كانت تحمله .

ونظر رئيس اركان السلاح الجوي الاسرائيلي وغيره من الجنرالات الى اعلى وشاهدوا الطائرات وهى تفتتى محلقة على ارتفاع منخفض فى السماء للزرقاء ، فى الاتجاه الجنوبي الغربى . وكانت وجوههم متورمة وان كانت لاسم باى نصير . وكان عليهم ان ينتظروا ، سامعت على الاكل قبل ان يعرفوا هل المهمة نجحت ام فشلت فلقد اعتقوا على عدم استخدام نظم الاتصال — الا فى حاحه وضع طارىء — حتى يمكن تجنب ان تكشف قوات العدو الطائرات . والان ، لم يعد ثمة شىء يفعلته رماثيل ايتان ولا ليفرى ولا غيرهم سوى تدخين السجائر والنظر من حين الى آخر الى سماعتهم .

وكانت الطائرات تحاقق الآن فوق آلاف الساتحين الذين يستمعون على سواطىء البحر الاحمر . ولم يول اى شخص اى اهتمام للمقاتلات التى تنادى على ارتفاع منخفض . وكان ما خطر على تفكير الكثير من الاسرائيليين الذين كانوا يشاهدون الطائرات وبينهم بعض طياري السلاح الجوي الاسرائيلى « انها طلعات تدريبية اخرى طويلة ومملة » .

لقد كان الطيران الى المعامل النووى المراقى هادئا فلم تقع خلاله اية احداث هامة كما قال الطيارون بعد ذلك بساعات . ذلك انه خلال ساعات تدريباتهم الكثيرة واجه كل منهم العديد من حالات الطوارئ المحتملة — منها ان تكتشف طائرته . وهو فى طريقه الى الهدف ، وان تطلق عليه نيرانا مضادة للطائرات على نحو اشد كثافة مما كان متوقعا ، وان تعترضه المقاتلات السعودية او العراقية او الاردنية وهو فى طريقه الى الهدف او خلال العودة الى الوطن ، وكذا الاحتمال الدائم بظهور بعض الاعطال الفنية .

ومع ذلك ، جرى كل شىء على نحو ما كان مخططا له تماما ، ولقد كانت الطائرات تطير الآن فوق الاجزاء الشمالية من الصحراء السعودية وكانت فى ١٥ فى المقدمة تتقودهم الى مشروع تبور ، بالرغم من وجود محطات رادار كثيرة فى هذا الجزء من المنطقة . لقد كانت الطائرات تطير على ارتفاع منخفض جدا يتراوح ما بين ٣٠ الى ٦٠ قدما فوق سطح الارض . ولم تسمع اية كلمة فى نظم اتصالاتها . وكان كل طيار يتبع الطيار الذى امامه ، مكونين بذلك تشكيلا كبيرا خلف قائد الفارة . ولقد مكثهم الاكتئال الفنى النادر ، فقررتنا بافضل الطيارين واكثرهم خبرة فى العالم ، من تحقيق هذا الاداء الرغيب للغاية دون ان تنشأ اية مشكلة .

وقد صوب كل من الطيارين الشبان عينيهم الى المعدات الكثيرة الموجودة امامهم فى لوحة « تابلوه » الطائرة . لقد كانت الساعة الاربعة واتجهوا نحو الجبهة الشمالية الشرقية ، عابرين الحدود بين السعودية والعراق وكانوا يركزون اهتمامهم على شاشات الرادار الاخضر الصغير الموجودة امامهم ، لرصد اى مصدر للمخاطب او الانفاز . ولكن شيئا لم يظهر . ولم تحاول اية طائرة للممر اعتراضهم .

وكانت فترة (ساعة ونصف ساعة) طويلة ومملة قد مضت عندما
 أدركوا ان نصف مهمتهم تقريبا قد انتهى . وفي الساعة ٢٢ر٥ دقيقة تمكن
 القائد والذين كانوا بالقرب منه من التعرف على المباني الضخمة - وفيه
 مشروع نوز - المشيدة من الأسمنت والى يبالغ ارتفاعها ٦٠ قدما . وعندئذ
 بدأت طائرات اف - ١٥ الارتفاع الى حوالى الف قدم ، حتى يمكنها السيطرة
 على منطقة القتال والتأكد من ان طائرات العدو لن تتعرض للصقور المفاجئة خلال
 قاذية مهمتها . وارتفعت طائرات اف - ١٦ مئات اقدام قليلة . وكما خطط
 مسبقا منذ شهور طويلة مضت ، كان عليها ان تنصف المفاعل من ارتفاع منخفض ،
 حتى يتجنب النيران المضادة للطائرات التى يحصى المشروع .

غير انه لم يطلق بعد اى مدفع مضاد للطائرات نيرانه ، كما لم يطلق اى
 صاروخ سام ، عندما اقتضى الطيار الاول بطائرته القاذفة المفاجئة بصوبا نحو
 منتصف القبة الاسمنتية الضخمة التى يوجد تحتها نوز - ١ وفى اقل من خمس
 ثوان كان يرتفع مرة اخرى . لقد اصابت اول قنبلتين من طراز ام
 كى - ٨٤ السقف الاسمنتى ، وجرته الى قطع صغيرة ، وذلك عندما كانت
 الطائرة الثانية قد اطلقت القنبلتين الاولى . رابعة بلو الاخرى ، وعلى فترات
 لا تزيد عن ١٥ ثانية ، اطلقت القنبلتين الباقيات بالمسائل ، بينها كانت تقرب
 منه من زوايا وانجاهات مخفية . وعندئذ بدأت المدفعية العراقية المضادة للطائرات
 من طراز سوزير ٢٢ التى فترتها على التفات المتهاجة . غير ان سرعة
 الطائرات المغيرة ودقتها وحيلتها على ارتفاع منخفض لم تدع للدفاع العراقى
 المضاد للطائرات اية فرصة على الإطلاق . لقد كان توقيت الطيارين ودقة
 قصفهم للقنابل امرا لا يمكن تصديقه ولقد اثبت التدريب الطويل على قصف هدف
 محال فى اسرائيل فعاليته الان .

ومن على الأرض ، كان بعض الفنيين الفرنسيين يشاهدون قبة المفاعل
 وهى تتطاير فى الهواء وتتفجر الى قطع صغيرة . ولقد بدأ هذا بالنسبة لواحد
 منهم كان فى طريقه الى حيث تقف سيارته ، بدأ كما لو كان مشهدا سينمائيا .
 ولقد اشتعلت النيران بسرعة ، بينها انهارات قبة المفاعل ولم تعمد تظهر منها
 الا عدة امتار قليلة فوق سطح الأرض . وتحطمت الى اجزاء معدنية صغيرة
 الاجزاء الدقيقة لقلب المفاعل وكذا مكوناته الاخرى الموجودة تحت الأرض بينما
 كانت القنابل تصيب مركز الهدف مرات ومرات .

ولقد بدأ الامر بالنسبة لمن هم فوق الأرض كما لو كان قد استغرق ساعات
 اما الطيارون الاسرائيليون الذين كانوا مشغولين جدا فلهذا بدا ان العملية
 استغرقت ثوان . وعموما فى خلال دقيقتين كان كل شىء قد انتهى .

وعندما غادرت آخر طائرة قاذفة منطقة المفاعل ، ترك اجد طيارى امية ١
 زملاءه الذين كانوا يتولون عملية التغطية من اعلى . لقد كان زودا بجهاز تصوير
 مخصص ، والتقط فيلم فيديو من اعلى . اما الآن فقد اقتضى طائرته والتقط الصور
 الاخيرة للمفاعل الذى جرى تدميره . ولقد كان النيران والنيران يغطيان المنطقة

كلها ، غير ان الطيار يمكن من التقاط صور المشهد من طريق اجهزة خاصـة
لأشعة تحت الحمراء .

لقد أصبحت الطائرات إف - ١٦ ، بعد اسقاط حولتها من القنابل ، اكثر
سرعة من ذى قبل . وقد لحقت بها الطائرات إف - ١٥ ، وبدأوا معا طريق
العودة الطويل الى قواعدهم في اسرائيل .

ومعوما ، استقطت ١٦ قنبلة حديدية من طراز أم كي - ٨٤ على المفاعل .
ولقد كانت دقة القصف مذهلة ، ولقد حققت كل القنابل اصابات مباشرة في نطاق
٣٠ قدما من مركز المفاعل . ولقد زعمت الصحف الأجنبية ، فيما بعد ، ان ميلا
اسرائيليا سريا وضع بعض الاجهزة الالكترونية في المفاعل مكنت القنابل من اصابه
مركز المشروع النووي . غير ان هذا الزعم لا يبدو كونه حراء . والواقع انه
بالنسبة للعديد من الصحفيين كتبت دقة تصويب القنابل على الهدف امرا نهض
تصديقه ولذا لا بد من ظهور بعض القصص الخيالية نشرح لاحدث .

وكتلت الطائرات نظير الآن كل التنتين منها مع بعضها وعلى ارتفاع شاهق
جدا . وكان الطيارون يدركون تماما ان هذا قد يؤدي الى اعتراض طائراتهم .
ولكن لم يكن امامهم اى اختيار آخر . فلك ان الطيران على لارتفاع منخفض جدا
قد استهلك الكثير من الوقود - بحيث أصبحت الطائرات تنقرض تنقصه . وكان
الطيارون يأملون الا تعرضهم مغللات معادية في طريق مودتهم الى الوطن .
وعلى الرغم من ذلك كانوا يثقون في ثقتهم في القتال للجوى وانه اذا حدث
استقبال جوى لسوف يبرهنون على ثقتهم هذا ، مرة اخرى .

وايا كان الامر ، فلم تعترضهم اية طائرة على الرغم من انه من المؤكد
ان محطات الرادار الأردنية والعراقية واسعودية قد اكتشفت الطائرات
التي تحلق في الجو . وهنا ، يمكن افتراض ان الطائرات الاسرائيلية لم
تعرضها اية طائرة معادية نظرا لافتقار السلاح الجوى العربى للكفاءة ولوجود
قدر من عقدة التنقص لدى الطيارين العرب بالمقارنة لخصومهم الاسرائيليين .

وفي الساعة السابعة تماما هبطت اول طائرة إف - ١٦ في قاعدتها .
وخلال الدقائق العشرة التالية هبطت بقية الطائرات في قواعد جوية مختلفة
منتشرة في طول اسرائيل وعرضها .

وكان رماتيل الآن مستعدا . فامتص طيفونيا بيبجج في منزله حيث كان
اعضاء مجلس الوزراء جميعهم ينتظرون في توتر وقلق الاتباء . وقتل رئيس
الاركان الاسرائيلي لبيبجج الذي كان يشعر بالقلق : « لقد انتهت المهمة . وعادت
كل طائراتنا الى قواعدها سالمة » .

وشعر رئيس الوزراء بالارتياح . وبلغ زملاءه بالخير . وعندئذ جرى
لاحضار زلجاجة براندى اسرائيلي وشربوا جميعا نخب السلاح الجوى
الاسرائيلي .

وكانت طائرتان اف - ١٥ تحلقان عالياً في سماء تل أبيب حيث تقومان
بدور اتصالات . وذلك بعد انتهاء المهمة ، وتبل الهبوط في قاعدتهما . وقد
ولغا من سرعاتهما مخترقتين حاجز الصوت ، مما أدى الى تحطيم زجاج عدد من
النازل . ولم يكن احد من في تل أبيب يعرف ما الذي حدث . غير انه بالنسبة
للطيارين كانت تلك هي وسيلتهم الشخصية لابلاغ المواطنين الاسرائيليين الذين
يسكنون القلق في المدينة انه لم يعد يوجد ما يثير قلقهم بشأن المفاعل العراقي
الذي انتهى الكلبوس .

الجزء الرابع

الحكم

« يوجد خلاف كبير داخل الادارة . ونحن نحاول الآن ان نتحدث على نحو يتسم بالاعتدال » .

(المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية)

« لا يسعك سوى الاعجاب بمهارتهم الفنية ، على الرغم من اننا ندين العمل بشدة » .

(المتحدث باسم وزارة الدفاع الامريكية)

« لقد تم ابلاغ البيت الابيض ، بصفة خاصة ، بعد ثلاث ساعات من الهجوم . نتمنى ان رجال الاستراتيجية من مساعدي الرئيس ريجان شكوا في ان الاسرائيليين ياملون ان تسرب واشنطن النبا وبذلك تعطى انطباعا بالتواطؤ الامريكى » .

(جاك اندرسون ، صحيفة واشنطن بوست ٢٣ يوليو ١٩٨١)

« ان بقاء حضارتنا يتهدده الخطر عندما يسمح بالقدرة على انتاج اسلحة الدمار الجماعى ان تتم الكرة الارضية . ويتعين علينا ان نعمل معا لمواجهة هذه المشكلة . فلا يوجد عمل ، اهم من ذلك » .

الملاحظات الاولى للسناتور آلاب كرانستون الواردة في البيان الذى القاه امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى .

واشنطن

١٨ يونيو ١٩٨١

١٩ - بيان القدس

القدس : ٨ يونيو ١٩٨١

لقد هاجم السلاح الجوي الاسرائيلي امس المفاعل النووي اوزيراك الذي يقع بالقرب من بغداد ودمره . وقد علنت كل طائراتنا الى الوطن سالمة .

وتجد الحكومة نفسها ملزمة بان تشرح للرأى العام : لماذا قررت تنفيذ هذه المهمة الخاصة .

لقد تابعتنا بقلق بالغ منذ مدة طويلة بناء المفاعل النووي اوزيراك وقد ابلغتنا مصادر لا يوجد اى شك فى الوثوق منها ان المفاعل يستهدف انتاج القنابل الذرية ، بالرغم من البيانات المعاكسة لذلك .

وكان هدف هذه القنابل هو اسرائيل . وقد اعلن ذلك صراحة حاكم العراق فلقد صرح (الرئيس العراقي) صدام حسين فى اعقاب تدمير الايرانيين للمفاعل تدمرا طفيفا ، انه لم ينطوى على اى معنى ان يهاجم الايرانيون المفاعل لانه يبنى ضد اسرائيل وحدها .

ان القنابل الذرية التى كان سينتجها هذا المفاعل ، باستخدام اليورانيوم المخصب او البلوتونيوم ، هى من نوع القنابل التى القيت على هيروشيما . وعلى هذا النحو ، نجد ان خطرا بالنسبة لوجود اسرائيل كان يجرى انتاجه .

وقد ابلغتنا المصادر الموثوق منها جدا بتاريخين لاستكمال بناء المفاعل وبداية تشغيله . اولهما بداية شهر يوليو ١٩٨١ ، والاخر بداية شهر سبتمبر من العام الحالى .

وهكذا ، وفى خلال فترة قصيرة ، كان سيجرى تشغيل المفاعل ويصبح ساخنا . وفى مثل هذه الظروف ، لن يكون فى وسع لى حكومة اسرائيلية اتخاذ قرار بنفسه . لان ذلك كان من شأنه ان يسبب موجة ضخمة من الاشماع الذرى فوق مدينة بغداد مما يلحق الضرر بمواطنيها الايرانيين .

ولذلك ، اضطررنا الى الدفاع عن انفسنا ضد انتاج قنبلة ذرية فى العراق التى لم تكن لتتردد فى استخدامها ضد اسرائيل ومراكزها السكانية . ومن ثم ، قررت الحكومة الاسرائيلية ان تعمل بدون اى ابطاء آخر لضمان سلامة شعبنا .

لقد كان التخطيط دقيقا . وكان قد تقرر ان تبدأ العملية يوم الاحد على افتراض ان ما بين ١٠٠ الى ١٥٠ خبير اجنبي يصلون فى المفاعل ، لن يكونوا فى موقع العمل لانه يوم اجازتهم الاسبوعية ، ولقد ثبت صحة هذا الافتراض . ولم يصب اى خبير اجنبى .

لقد كانت حكومتان أجنبيتان تساعدان الدكتاتور العراقي في صنائه
الأسلحة النووية مقابل الحصول على البترول . ونحن ندعوها مرة أخرى
إلى الإقلاع عن هذا العمل الفظيع غير الانساني .
ونحن لن نسمح قط لأى عدو بأن يطور أسلحة الدمار الجماعى ضد
شعب إسرائيل .

(بيان الحكومة الاسرائيلية الذى اذيع فى

اليوم التالى للغارة)

بغداد : ٨ يونيو ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي العظيم ، يا أبناء الأمة العربية المجيدة ، لقد كنا نعرف منذ البداية أن أطرافاً كثيرة ، محلية ودولية ، كانت ولا تزال وراء رغبة النظام الإيراني المتخلف والمكبوه في إثارة النزاع مع العراق ونشر الصداق وبذء الحرب ضدها .

لقد كانوا وراء استمرار هذه الحرب التي امتدت عدة شهور وذلك بسبب مساندتهم وتأييدهم السياسي والعسكري لإيران ، ومن بين ذلك المشاورات الإعلامية والفنية والمخابرات العسكرية المباشرة وغير المباشرة - حتى يحفوا هدفهم الشرير ضد العراق . وكان الطرف الأساسي هو الكيان الصهيوني ، الذي يفهم تمام الفهم أن العراق المتحرر والمتطور والقادر ، يعتبر عاملاً حاسماً في تحديد نتائج النزاع العربي ضده ، اليوم وغداً .

ولهم الكيان الصهيوني أن أحد العوامل الأكثر حسماً في تحديد مستقبل الصراع الذي تخوضه الأمة العربية ضده ، هو الوجود المستمر للفجوة التكنولوجية والحطية بينه وبين الأمة العربية ولذلك يحاول بثشي الأساليب إبقاء هذه الفجوة في نطاق حدود لا تمكن الأمة العربية من تحقيق الانتصار عليه في النزاع القائم .

وإطلاقاً من هذا الهدف الاستراتيجي ، لشرك العدو الصهيوني في أكثر من مناسبة سواء مباشرة أو غير مباشرة ، مع إيران ضد العراق ويتضمن ذلك تزويد إيران بالمعدات وقطع التغير العسكرية . كما أغارت طائرات العدو الإسرائيلي على العراق خلال الأيام الأولى من الحرب ، وبذلك تستغل ظروف الحرب ضد إيران ، بالتواؤ مع النظام المشبوه في إيران . ولقد كانت الغارات تستهدف بصفة خاصة المنشآت النووية العراقية .

ولقد عرفنا وكشفنا المحاولة التي وقعت في ٢٧ يوليو ١٩٨٠ . فلقد أذعننا ، في ذاك الوقت ، بياناً عن غارتين على بغداد . غير أننا لم نذكر العدو الصهيوني بالاسم لأسباب عسكرية وسياسية ولأسباب معنوية ولأننا نعرف من التجربة أن البيانات التي تصدرها النظم العربية عن اشتراك أطراف أخرى في النزاعات الناشئة بينها وبين العدو كانت تفتقر دائماً بالفضل ، كما تعتبر خريفة وتبريراً لهذا الفضل . ولهذا لم نشر إلى هذه الحقيقة في ذاك الوقت ، ولم نكشف رسمياً كافة تفاصيلها .

أيها المواطنون ، أننا نعلن اليوم أن طائرات العدو الصهيوني قد أغارت أمس على بغداد .

على الساعة السادسة و ٣٧ دقيقة اغار تشكيل من ٩ طائرات على
البنى النووى . وكما حدث في ٢٧ سبتمبر ١٩٨٠ ، اثرت الا فتى في الاعلا
عن هذه الفارة . وبينما كنا نعد هذا البيان بعد ان توافرت كل الدلائل على
هذه الفارة ، اعلن العدو الصهيونى بعد ظهر اليوم مسئوليته عنها . ايها
الاخوة ، يا أبناء العراق ، ويا أبناء الامة العربية : ان هذه العملية تكشف لكم
جانيا هاما واماسيا عن الاسباب التى دفعت النظام المشبوه فى ايران لاشغال
العرب مع العراق واستمرار هذه الحرب لمدة عشرة اشهر بالرغم من كافة
المجهود التى بذلت لوقفها على اسس عادلة ومشرقة تضمن الحقوق الشرعية .
ونضال كل من العراق وايران . ويجاول العدو الصهيونى تحقيق اهدافه وان
يقتل للحكام فى (طهران) و (قم) ما فشلوا فى تحقيقه خلال الاثني عشر العشرة
من هذه الحرب الفارة .

انهم لن يزعموا هذه الثورة العملاقة عن تصبيها فى ان تكون ثورة مع
الجماهير وان تعبر عن الامل والتطلعات . ان الرجال الذين استطاعوا من خلال
ولايتهم لشعبهم ولايتهم ، ومن خلال ايمانهم بقضيتهم وبفكرهم وجهودهم ، ان
يصلوا بالامكانية النووية للعراق الى المستوى الذى اثار هذا القدر من الحقد
والمدون السافر من جانب الاعداء الصهيونيين والفارسيين . نحن نقف لانهم
يؤدرون كذلك على مواصلة هذا الاتجاه برغم ما يمكن ان يحققه العدو فى
محاولاته ، من الحاق ضرر مباشر او غير مباشر .

ان الطريق الذى يسير العراق على دربه فى ثورته المنتصرة . طريق الحرية
والاستقلال والتقدم ، طريق التلاحم بين الزعامة والجماهير — ان هذا الطريق
لن نتراجع عنه . وسيبقى طريقا مفتوحا .

وبمشيئة الله ، النصر لشعبنا البطل والمجد لامتنا العربية

(بيان اذاعته لجنة قيادة الثورة العراقية

فى اليوم التالى للفارة) .

٢١ - اسقاط القنصل والفضة الصاخبة :

اسرائيل بعد الفارة

كان يوم الأحد ٨ يونيو يوم إجازة عيد الشانوت . وقد امضى الآلاف الاسرائيليين اليوم على شواطئ تل أبيب وحيفا وايلات ، يستمعون ويستمتعون بحمامات الشمس ، ويتجادلون اطراف الحديث ، ويستمعون الى راديوهاتهم الترانزستور .

وفي الساعة الثالثة والنصف ظهرا ، لوقت الاذاعة الاسرائيلية برامجهما والقت بقتلة على الشعب الاسرائيلي .

وقال المذيع بصوت متوتر « نقطع برامجهما العادية لنذيع بيانا خاصا » ويخى قللا : « لقد هاجم السلاح الجوي الاسرائيلي امس المفاعل النووي اوزيراك الذي يقع بالقرب من بغداد ، ودمره تماما . وقد عادت جميع طائراتنا الى قواعدنا سالمة » . واستطرد البيان ليشرح الدواعي الكامنة وراء الهجوم . وعندئذ تردد رجع صدى الصلة في جميع أنحاء اسرائيل واتصل الاصدقاء تليفونيا ببعضهم . واقف الغريه بعضهم في الشوارع . وفي اقل من ساعة ، كان كل شخص يعرف ما حدث . وسرعان ما اذاعت محطات التليفزيون والاذاعة الخبر لبقية العالم .

ولكن القصة الحقيقية الكامنة وراء هذا البيان الاسرائيلي لا تزال في حاجة الى الكشف عنها .

بينما كانت الفارة لا تزال مستمرة دعا بيجين من طريق سكرتيره كل وزرائه ومساعديه المقربين سرا الى المجيء الى شقته . وقد تلقى كل منهم الدعوة عن طريق مكالمات تليفونية . ولم يبلغوا بسبب الدعوة . وقد فوجيء الوزراء عندما شاهدوا بعضهم بعضا ، وازدادت دهشتهم عندما مروا سبب دعوتهم وفي هذا الجو التامري بدأوا يدبرون خطتهم .

وفي امقلب الفارة مباشرة ، بدأ بيجين ومساعدوه في اعداد بيان رسمي . ولكن نظرا لان بعض الوزراء وكذا بعض كبار الضباط في الجيش ، وخاصة ضباط المخابرات والسلاح الجوي ، كانوا يفضلون تجنب الادلاء باعتراف حكومي بان الاسرائيليين قد نفذوا الفارة فقد اتفق كحل وسط ان يذيع الاسرائيليون بياتهم الرسمي بعد ان تكشف اى دولة عربية حقيقة الفارة .

ولذلك تلقى ضباط المخابرات الاسرائيلي المسئول تعليمات خاصة بان يبلغ اية انباء او رسائل عربية عن النشاطات الاسرائيلية في العراق . ومن المرجح ان الضباط أنفسهم لم يكن يعرف شيئا من الفارة . نحى هذه اللحظة كانت الفارة تعتبر امرا مريا جدا حتى في اسرائيل .

وعند الظهيرة سجلت إحدى محطات الاستماع الاسرائيلية التي كانت تستمع الى مناقشة عامة في البرلمان الاردني خطابا للقاه رئيس الوزراء الاردني ، وانهم فيه الطائرات الاسرائيلية بالاشتراك في الحرب الدائرة بين العراق وايران ، وبالتعاون مع الايرانيين .

وعندما مرضت هذه الرسالة على الضابط المسئول ، بادر بابلانها للمساعد العسكري لبيجين . ولم يعرف بالتحديد ما الذي حدث في هذه المرحلة . ولكن يوجد احتمالان وهما : اما انه قد اسيء فهم الرسالة وان مساعدى بيجين اضيروها ببثابة بيان اردني يكشف الفارة ، او انها استخدمت كوسيلة لاعلان البيان الذي كانوا قد اعدوه بالفعل .

وعلى أية حال ، كان الوقت عندئذ يقترب من الساعة الثالثة بعد الظهر ، عندما طلب المتحدث الصحفي في مكتب بيجين محطة الاذاعة . واتصل على الفور بالمذيع المسئول وألمى عليه البيان الرسمي بالتليفون ولما كان المتحدث الصحفي يورى بوراك مايزال جديدا في منصبه ، ولم يكن معروفا بصفة خاصة للعاملين في الاذاعة ، فان المذيع اعتبر هذا البيان نكتة سيئة . فلم يصدق ماورد فيه . ولذلك لم يذع البيان في نشرة الساعة الثالثة . غير ان أحد العاملين في الاذاعة الذي تصادف أنه قريب لبيجين ، اتصل كليفونيا برئيس الوزراء قائلا له : معى . لقد تلقينا توا بيانا مشرا للسخرية من شخص يزعم أنه المتحدث الصحفي باسمك . ولم نذع هذا البيان لاننا نعتقد أنه ما ورد فيه امرأ لا يمكن تصديقه .

وكان بيجين غاضبا جدا . فقد كان يريد ان يذاع البيان في اقرب وقت ممكن . وها قد حدث الآن هذا الاجراء الغيبي غير الضروري . وعندئذ أصدر اوامره الى تربييه هذا بقطع البرامج واذاعة البيان . وهكذا ، في الساعة الثالثة والنصف قطع راديو صوت اسرائيل برامجه واذاع الرسالة الدرامية .

ان أحد الاسباب - وان لم يكن أهم سبب وراء رغبة بيجين ومساعديه في اذاعة البيان الخاص بالفارة هو ما تحققه هذه العملية الناجحة من رصيد سياسى داخلى . ذلك ان الانتخابات الاسرائيلية كانت ستجرى في اسرائيل بعد ثلاثة اسابيع ، وكان بيجين في حاجة ماسة الى أصوات الناخبين ففي خلال العام والنصف الماضى كان الاسرائيليون وكذا اجهزة الاعلام الاجنبية تعتبر أن ادارته فاشلة . والآن ، كان عليه ان يثبت انه الرجل المناسب لقيادة اسرائيل خلال هذه الفترة المضطربة والخطيرة .

وعلى الرغم من ان بيجين وزملاءه في كتلة ليكود زعموا في اعقاب الفارة انهم لن يستخدموا العملية التي قام بها السلاح الجوى الاسرائيلى كسلاح في حملتهم الانتخابية ، الا ان كل شخص في اسرائيل تقريبا كان يحرك معنى توقيت الفارة - انه توقيت قريب جدا من يوم الانتخابات .

غير ان بيجين نفسه ارتكب سلسلة من الاخطاء الفاحشة غير العادية والغريبة في اعقاب الغارة . بعضها يمكن ان يرجع الى تجاهل الاعداد لسرح سرورة الهجوم ، للجمهور . ولم تكن وزارة الخارجية الاسرائيلية تعرف العارة الوشيكة ، ولذلك لم يكن في وسعها ان تعد حيلة لتشرح ضرورتها . كما استشهد بيجين بان صدام حسين قال في ٤ اكتوبر ١٩٨٠ ان المعامل العراقي كان موجها ضد اسرائيل .

ولقد كان استشهاده بلديا ، ولكن حين بعد اسبوع ان صدام حسين لم يلق قط شيئا كهذا في هذا التاريخ . ولذلك اضطرت وزارة الخارجية الاسرائيلية الى اصدار تعليمات للمطفيين الصليبيين الاسرائيليين في كافة انحاء العالم بعدم الاستشهاد بقول صدام حسين هذا . ولقد وصلت هذه التعليمات الى (يهودا بلوم) القنصل الاسرائيلي في الامم المتحدة في الوقت المناسب ، فقد كان (بلوم) قد استند في كلمته التي كان يزع القامها في الجمعية العامة للامم المتحدة على قول صدام حسين هذا . وعندها كان على (بلوم) الذي شعر بالاضطراب ان يبحث عن كلام آخر . ومن حسن الحظ انه كان لصدام حسين العديد من الخطب التي اُلح فيها الى ان هدف المعامل النووي العراقي كان تدمير اسرائيل . ولذا لم يكن على (مستر بلوم) ان يعمل كثيرا .

اما بالنسبة للحملة التي يشنها الكيان الصهيوني ضد استخدام العراق للتكنولوجيا النووية . فان الماضي العريق والمجيد للعراق سيتمكن تقديره فقط عندما يصب جام غضبه على الكيان الصهيوني ، وعندما تخدم مثل هذه التكنولوجيا قضية الامة العربية ، ان العراق سيستخلصها لتحرير فلسطين وليس لاي غرض آخر .

(بيان القاه صدام حسين في ١٩ اغسطس ١٩٨٠ ،
واذنته وكالة الأنباء العراقية الرسمية)

اما بالنسبة (للبيان المشترك) للعراقي السعودي بمقاطعة الدول التي نفتت سفاراتها (من تل ابيب) الى القدس ، فان أفضل قرار في الواقع هو تدمير تل ابيب بالقنابل واول ما يجب ان نعله (الآن) - مع ذلك - هو ان نستخدم كل مافي حوزتنا من اسلحة الى ان يمكننا الرد على العدو بالقنابل ان اشقاها العرب بيمكثهم التعاون معنا في هذا المجال .

(بيان لصدام حسين اذاعه راديو بغداد في نفس
التاريخ السابق)

غير ان بيجين ارتكب بعد ذلك بايام قلائل خطأ اكثر جسامة . ففي حفل اقيم بمنزل (باتريك مورلي) السفير البريطاني الجديد لدى اسرائيل قال بيجين ان الطائرات الاسرائيلية حشرت مملا سوريا كان مقاما تحت الارض

في موقع المسائل • بل انه حدد بدقة عمق هذا العمل : ٤٠ مترا (١٦٠
مترا) تحت سطح الأرض •

ولقد اصيب كل شخص بصدمة • اذا ما كان في وسع الطائرات
الاسرائيلية تدبير هدف مختبئ على عمق ٤٠ مترا تحت المفاعل ، فان لدى
اسرائيل اذن امكانية مدهشة على شن غارات جوية • كما كان يعنى ايضا
ان المراقبين اتقوا بعض المنشآت السرية التي لا يعرف العلماء الفرنسيون
ولا الوكالة الدولية للطاقة الذرية اى شئ عنها • ولقد كان ذلك حجة جيدة
جدا للهجوم وتسابق الصحفيون لنشر هذه القصة الاخبارية •

ولكن لم تكن تضى ٢٤ ساعة حتى تبين ان رئيس الوزراء قد اخطا • فلقد
اصدر مكتبه اعتذارا جاء فيه ان رئيس الوزراء كان يقصد ان عمق العمل
يصل الى ٤ امتار فقط (١٢ قدما) وليس ٤٠ مترا • وقد وصفت الحكومة
الفرنسية تصريح بيجين الاخير بشأن العمل السرى بأنه « محض خيال » •

• واعترفت المصادر الامريكية انها لم تعرف شيئا عما كان بيجين يتحدث
عنه وعندما سأل التليفزيون الاسرائيلى ديفيد افيرى قائد السلاح الجوى
الاسرائيلى عما يمكن ان يقوله حول قصة بيجين الخاصة بالعمل السرى ،
اصاب بالتضارب انه ليس لديه ما يقوله غير انه كان من الواضح ان « القصة »
كانت خطيرة للغاية وذلك بعد فشل الدعاية فى اعقاب الفارة •

بيد ان الرفض الاكبر الذى تانى منه بيجين فى اعقاب الفارة لم يات
من خارج اسرائيل ، وانما جاء من مجموعة من الرجال المقربين جدا ، والذين
يقدرهم بيجين وهم : الطيارون الذين نفذوا الفارة •

ذلك ان عددا كبيرا من الطيارين الاسرائيليين يتحدرون من الكمبيوترات
(المزارع الجماعية) والموشاف (مستعمرات صفا الملاك) وتنزع هذه القطاعات
الى التصويت لصالح حزب العمل وتقف ضد بيجين ضد اادانته كرئيس
للوزراء بشدة •

لقد قرر بيجين انه يود اجراء حوار خاص مع الطيارين الذين نفذوا
الفارة • وان تلتقط له صور معهم • وكان هذا يعنى الكثير بالنسبة له •
وبالنسبة لحملته الانتخابية • ولذلك اتفق على دعوة الطيارين الى لقاء
حكومى خاص بعد اسبوع من الفارة •

غير ان الطيارين رفضوا حضور اللقاء ••

واوضح بعضهم لاصدقائه المقربين انهم قاموا بالفارة من اجل وجود
الشعب الاسرائيلى وليس من اجل وجود بيجين كرئيس للوزراء •• ولهذا ،
قررت الحكومة الاسرائيلية انه اذا كان الجبل قد رفض الحضور الى بيجين ،

لأن على بيجين أن يذهب إلى الجبل . ولذا فقد قرر بيجين والوزراء زيارة القاعدة الجوية التي أقلع منها الطيارون والالتقاء بهم شخصيا .

ولم يكن لدى الطيارين أي خيار هذه المرة . فقد كان عليهم أن يجتمعوا مع بيجين ، غير أنهم كانوا لا يزالون يمشرون تنفيذ خطة ما . فعندما وصل بيجين ونصلاؤه إلى مقر قيادة القاعدة الجوية حيث كان الطيارون في انتظارهم . وجدوا صفا أنيقا من السيارات الواقفة أمام المبنى - وهي السيارات الخاصة بالطيارين - وكان على الزجاج الأمامي والمخلف لكل سيارة ملصق ضخم يدعو إلى تأييد شيمون بيريز زعيم المعارضة وضعه كتلة ليكود التي يتزعمها مناحم بيجين ، وقد احتقن وجه بيجين ووجوه بعض زملائه . ونهسوا تساميا بما يقصده الطيارون . وقد كتب أحد كبار الملقين الاسرائيليين ، فيما بعد ، أن حزب العمل حاول طوال سنوات هزيمة بيجين . والآن ، نجد بعض الطيارين الذين ينتمون إلى الجناح اليساري والذين هم ضد بيجين ، قد صاروا عدة ساعات مخاطرين بأرواحهم من أجل بلادهم . وقد أنجزوا مهمتهم بنجاح ليجدوا أنهم قد حققوا بذلك تأييدا جماهيريا لبيجين في الانتخابات .

والواقع أن الانتخابات كانت قريبة من الوقت الذي جرت فيه الفارة وأن كل حزب سياسي كان يحاول الحصول على رصيد سياسي من الفارة . وهذا كله من شأنه أن يخلق ضررا بالغيا بلين لسراييل فعندما كان وزراء الحكومة لا يحاولون اثبات أنهم كانوا دائما يؤيدون الفارة ، وليسوا ضدها ، بل زعماء المعارضة يزعمون أن أجهزة المخابرات الاسرائيلية قد أبلغت بيجين بأن المفاعل النووي العراقي لن يجرى تشغيله في يوليو (كما زعم بيجين لتبرير الفارة) وأن هذا المفاعل لم يكن من المعتقل أن يصبح « ساخنا » قبل سبتمبر ، وهكذا كانوا يتجادلون ، وبذلك أصبح قرار الفارة مجرد تكتيك انتخابي من جانب رئيس وزراء انتهازي كان يتعلق بقشة سياسية مؤثرة . وما يثير الدهشة أنه في ظل هذا الجو المحموم للفارسة - انتخابات ١٩٨١ في اسرائيل ، من المرجح أنها اكثرت الانتخابات مستيريا في تاريخ اسرائيل - بدأت تتسرب تفاصيل سرية عن الفارة . من بينها ما زعمه بيجين من أنه كان يوجد تعاون مع الولايات المتحدة الاميركية بشأن المفاعل العراقي .

وكان الانطباع الذي رسخ لدى الشعب الاسرائيلي خلال الاسابيع الثلاثة التي سادها التوتر والتي تبدأ من وقت وقوع الفارة حتى يوم الانتخابات العلة - هو أن رئيس وزارتهم كان يكشف السر ولو الآخر حتى يفوز في الانتخابات .

ولم يكن هذا هو انطباع الجمهور العلم بحسب ، وإنما كان أيضا انطباع رئيس المخابرات الاسرائيلية (الموساد) الذي يعتبر اسمه سرا من أسرار الدولة .

بعد ادلى بحديث صحفى لصحيفة « هاريس » الاسرائيلية ، طالب فيه
بأن يتعين الكف على الفور عن الكلام على الفارة . وزعم ان كل هذه الاسرار
التي تمسكت قد اضررت بأمن اسرائيل . ذلك ان بعض اجهزة المخابرات
الاجنبية التي كانت تتعاون بطريقة غير رسمية مع المخابرات الاسرائيلية في
اللفس ، ستفكر مرة ثانية في مسألة تعاونها بعد كل هذه المناقشات التي
يجرى في اسرائيل بشأن الفارة .

ولقد أصبح ممكنا نشر هذا الحديث الصحفى الذى لا مثيل له من قبل
مع رئيس الموساد لأنه ادلى به دون التشاور اولا مع بيجين . وكان يعرف
أن بيجين سيعرض ذلك لأن بيجين نفسه هو المصدر الاساسى لتسريب
اسرار الفارة .

وعندما استدعاه رئيس الوزراء الى مكتبه وويخه ، اعتذر رئيس
الموساد ولكن الحقيقة كانت لا تزال باقية . لقد أوضح وجهة نظره . انه يتعين
على الفور الكف عن الكلام حول الفارة .

وعلى حين ان الفارة قد جرى التخطيط وتنفيذها على نحو رائع .
نجد ان ما حدث في اسرائيل في اعقابها كان عملا من اعمال الهواة الى أقصى
حد ، وفئلك يرجع أساسا الى غرضى الانتخابات كما يرجع الى سلوك
بيجين . لقد ادت اسرائيل خدمة عظيمة الى العالم بأسره بتدميرها للمفاعل
الى عراقى ، الذى كان ضد مصالح كل البلاد المحبة للسلام ، ولكن بسبب عدم
مطعة بيجين وفشل حملة الدعاية المضادة ، وجه اللوم الى اسرائيل باعتبارها
دولة قراصنة انتهكت القانون الدولى وقد اعتبرتها المنظمة الدولية للطاقة
الدولية خارجة على القانون وادانتها الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وعلى الرغم من ان اسرائيل قد نجحت في شن غارة ناجحة ضد واحدة
من أكثر المشروعات تهديدا لوجودها ، على الرغم من ذلك فشلت في شرح
الاسباب التي حتمت عليها ان تشن هذه الغارة فلقد تجاهلت اسرائيل تماما
ان تعد وان تشن حملة اعلامية تشرح فيها اسباب الغارة للرأى العام العالمى
وقد تكون في ذلك مثل الذين يجيدون الاعمال لا الكلام .

٢٢ - هروب العميلة :

حسين يرد على الهجوم

فاجأت المارة على مفروغ تموز العالم بأسره . لقد فاجأت الأمريكيتين وكذلك الروس وأوروبا والصين ، بل الاسرائيليين انفسهم . ولكن ما هو ادر من ذلك انها اصابت العالم العربي بصدمة ، وخاصة النظام العراقي .

وكان العراقيون ، طوال اكثر من عشرين سنة ، يدركون تمام الادراك ان حربا سرية تخاض ضد اكثر مشروعاتهم طموحا . ويمد الهجوم الجوى الايراني في سبتمبر ١٩٨٠ كان النظام الدفاعي العراقي ، وكذا الزعماء السياسية شمران بالصدمة من احتلال غارة اسرائيلية .

والواقع انه لا توجد تفاصيل كثيرة مما حدث في بغداد خلال الاربع والعشرين ساعة التي اعقبت الغارة . غير ان ثمة شيئا واحدا كان يبدو واضحا لكل من حلل بضحية رد الفعل العراقي خلال هذه الاربع والعشرين ساعة ان العراقيين لم تكن لديهم اية فكرة من علم بالغارة ، ولا ما تم تسميته بالاحتديد ، ولا كيف تمت الغارة . ذلك ان كلالة اجهزة المراقبة في بغداد كانت ، فيما يبدو ، في حالة موزى شليلة . ولقد اخفئى نجاة الرئيس العراقي ، الرجل الثوري للنظام البعثي ، واخذ مساعوه يبحثون عنه لابلاغه بنبا الغارة وتلقى تعليماته ، ولكنهم لم يعثروا عليه طوال ٦ ساعات او نحو ذلك .

وفي مؤتمر صحفي عقد في روما اثار طه لحمد داود السفير العراقي لدى ايطاليا جوا من الاثارة عندما اعترف بمد ه ايلم من الغارة انه حتى صدور البيان الاسرائيلي لم تكن لدى حكومته اية فكرة من قام بالغارة . وفي ظل هذه الظروف ، كان من الواضح تبعا ان البيان الرسمي الاسرائيلي بشأن الغارة المفاجئة جاء كصدمة ثانية لنظم صدام حسين . وهكذا ، لم يكن لدى النظم الثوري للعراقي اي خيار سوى الاعتراف بان اكثر مشروعاته طموحا وهو ١٧ تموز ، قد دمرته غارة اسرائيلية . ففي مساء ٨ يونيو اصدرت القيادة الثورية في العراق بيانا ردت فيه لأول مرة على الغارة الاسرائيلية .

وكانت بداية البيان تصف اساسا ما اسسته « الدعم والمساندة العسكرية الاسرائيلية لايران » ثم استطرد البيان لتوجيه اللوم ضد اسرائيل لمحاولتها تدمير كل جهد عربي لتقريب الفجوة العميقة بين العالم العربي والكيان الصهيوني . ثم اتهم اسرائيل مرة اخرى بالتورط في الحرب الدائرة بين العراق وايران ، ربما ليبرر عدم نجاح العراق في هذه الحرب . وفي ضوء هذا المعنى اعلن البيان قتلا : « ايها المواطنون اننا نعلن اليوم ان طائرات العدو الصهيوني قد اغارت امس على بغداد . ففي الساعة السادسة و ٣٧ دقيقة اغار تشكيل من ٩ طائرات على المبنى النووي » .

وحتى يشرح البيان حقيقة أن النظام العراقي انظر اكثر من ٢٤ ساعة
إلى الاعتراف بذلك - بالرغم من حالة الفوضى التي سادت بغداد في اعقاب
الغارة - قال البيان « وكما حدث في ٢٧ سبتمبر ١٩٨٠ أترنا الان نسرع في
الاملان من هذه الغارة . وبينما كنا نعد هذا البيان ، بعد أن نوافرت كل الدلائل
على هذه الغارة ، اعلن العدو الصهيوني بعد ظهر اليوم مسئوليته عنها .

ثم حاول البيان ابداء تفسير خاص للغارة الاسرائيلية المفاجئة بالنسبة
للحرب العراقية الايرانية . فقال : « ان العدو الصهيوني يحاول تحقيق
امهاده وأن يحقق للحكام في طهران وتم ، ما نشلوا في تحقيقه خلال الاشهر
الطويلة من هذه الحرب الطائرة » .

ويتمنى البيان العراقي بوعد الشعب العراقي بأن الطريق الذي نسلكه
القيادة البعثية حتى الآن سيستمر ليحقق للشعب الحرية والاستقلال والتقدم .
وبعد ذلك بيوم واحد ، اصبح المتحدثون باسم الحكومة العراقية اكثر
تشددا في موقفهم تجاه اسرائيل . فقد اذاع راديو بغداد :

« تؤكد الهجمات الصهيونية التي وقعت مرتين (١) على المنشآت النووية
العراقية خلال عدة اشهر حقيقة ان العدو الصهيوني يعرف ان العراق بما
لديه من طاقة حرب تكنولوجية متقدمة - سيكون في مقدمة القوات العربية
المقتر لها ان تشبك مع العدو الصهيوني في أية حرب قومية في المستقبل .
فلك ان العراق بما لديه من طاقة عسكرية متقدمة ستكون في الصنف الاول
في أية مواجهة قومية مع العدو الصهيوني .

وهكذا عني راديو بغداد في اذاعة هذا النوع من الدعاية لعدة ساعات .
والواقع ان الكلمة المكتوبة او المذاعة في العالم العربي تعتبر في بعض الاحيان
اكثر احياء ومعنى من التجربة الشخصية . لقد تعرض النظام في العراق لاذلال
شديد وغدت مكانته ينهددها الخطر . وكان صدام حسين يعرف انه لا يمكنه
ان يرد على اسرائيل عن طريق استخدام القوة - على الاقل لا يمكن الرد ،
على الفور - ولذلك كانت الحيلة الاعلامية التي شنتها لجهزة الاعلام العراقية
ضد اسرائيل هي اقصى ما يمكنه القيام به لتخفيف حالة الاحباط التي تشعر
بها القيادة وكذا الشعب العراقي ، في اعقاب الغارة التي بيئت الى اى مدى
كانت العراق مكشوفة بالنسبة للغارة الاسرائيلية . ولكن من المثير ان نلاحظ
ان صدام حسين نفسه ظل صامتا لمدة ١٠ ايام بعد الغارة . فباعباره زعيما
للشعب العراقي ، كان من المرجح انه يعلم ان الامر يقتضى رد فعل آخر ضد
اسرائيل بغض النظر عن الحيلة الدعائية .

(١) يشير العراقيون الى الغارة الايرانية التي وقعت في سبتمبر ١٩٨٠
على انها غارة نفختها اسرائيل وليست ايران .

رد الفصل الاسريكي

في اعقاب تدمير المفاعل العراقي لم يصد الشرق الاوسط كما كان .
لذلك تثير ميزان القوة في الشرق الاوسط والخليج تغيرا عنيقا .

وقد تسكنت الثورة التكنولوجية اخيرا الى هذه المنطقة المضطربة وغير المستقرة ، وان كانت منطقة جيوه من الناحية الاستراتيجية . ولقد مرز تدمير المفاعل العراقي قواعد السلوك الدولي الذي كان محسونا من قبل في الشرق الاوسط . ولقد كان المصل الاسرائيلي تعتبر اول تدمير للمفاعل نووي لعدوه ، ومن ثم يعتبر منعا بالقوة لانتشار الأسلحة النووية وذلك تعتبر سابقة فعلية خطيرة .

والواقع انه بتدمير المفاعل ، احتفظت اسرائيل وليس وزرائها بيجين لانفسهم بالاحتكار النووي في الشرق الاوسط . ويمكن للمجتمع الدولي ان يتناقش الى غير نهاية في كون اسرائيل قد دمرت بالمفصل الاسكافية النووية العراقية ، بيد ان ما حدث يعتبر امرا ينطوي على اثر ابدى مما قصد مستر بيجين . فتقد نفى العالم العربي صدمة حرب ١٩٦٧ ، وهي صدمة لم يخطف من اثرها اذاعة الامم المتحدة لاسرائيل . ولقد سعى العرب للنار في اعقاب ١٩٦٧ ، وسوف يفعلون ذلك الآن ، حتى انه من المتوقع ان يسرع ايقاع الانتشار النووي في ليبيا وسوريا ومصر وباكستان ، ومن المؤكد ان يسرع كذلك مرة اخرى في العراق . ولذلك ، فان ما نجح الاسرائيليون في فعله هو ان تكسب اسرائيل لنفسها بعض الوقت - وهي سلعة تنفذ دائما .

ولقد قال (زيف سشيف) المحلل العسكري العلیم ببواطن الامور في صحيفة « هآرتس » الوقورة : انه في اعقاب تدمير المفاعل العراقي ارسى رئيس الوزراء بيجين واعلن قاعدة جديدة وغير مرنة بالنسبة لسياسة الامن الاسرائيلية . . وهي ان اسرائيل لن تسمح للمغرب بان يزودوا انفسهم بالسلحة الابادة الجماعية (١٩ يوليو ١٩٨١) ، والواقع ان مبدأ الاحتكار هذا يعطن بوضوح ان هذه الحكومة واية حكومة اخرى (أى حكومة حزب العمل المعتدلة) لن تسمح بوجود مثل هذه الأسلحة ، وخاصة عندما يحكم الدول حكام رافضون ومتهودون مثل صدام حسين والقذافي الذين يعتبر هدفهم الوحيد في التعامل مع اسرائيل هو تدميرها . غير ان بيجين لم يعلن رايه في كون اسرائيل تعتبر ان امتلاك الدول العربية المعتدلة لثل هذه الأسلحة ، امر من المحتمل تدميره كذلك . ويمكن للمرء ان يفترض انه قد جرى تحديد هذا التمييز ، كما هو الامر في حالة مصر التي اعلنت نبذها للحرب كاذاة سياسية ازاء اسرائيل .

وفي الواقع يمكن للمرء أن يتكهن بالاسباب التي قدمو النظم العربية
المبتدلة الى السعي للحصول على اسلحة الابادة الجماعية ، اذا لم يكن هذا احد
معايير السياسة الوطنية كما هو الحال بالنسبة لصدام حسين ومصر القذافي .
كما اصبح من الضروري من اجل انتهاز سياسة ردع اسرائيلية تدمر المفاعل
في فترة كانت فيها معدل التسليح التقليدي بين اسرائيل والدول العربية
يتحول لغير صالح اسرائيل : « ذلك ان اسرائيل لا يمكنها الحفاظ على تفوقها
المسكرى التقليدي لمدة طويلة ، فمن المتوقع ان يحقق العرب تفوقا على
اسرائيل في مجال العدد والاجهزة والمعدات العسكرية بنسبة خمسة الى واحد
بحلول عام ١٩٨٥ » .

ويرجع الى مفهوم الرد المرن للردع الذي كان يتبناه كل من بن جوريون
وإيهان وبيريز . ذلك ان حروب ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف التي استمرت
من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٠ قد اثبتت ان السلاح الجوي الاسرائيلي واسلحته
اسرائيل التقليدية ليست كافية لردع العرب . ففيما وراء المرب يمكن
التهديد السوفيتي بينما لم تضمن القوة الامريكية حدود اسرائيل فيما بعد
حرب ١٩٦٧ .

وكان ييجين ومستشاروه يابلون في ان تكف أوروبا الغربية وخاصة
فرنسا وإيطاليا عن تزويد العراق بمواد الانتشار النووي المينة .
على اعقاب شهر أكتوبر من عام ١٩٨٠ ، وربما قبل ذلك ، كانت المخابرات
الامريكية تعتقد ان اسرائيل تعد لشئ ما ، والواقع ان اسرائيل لم تخف
حقيقة ما كانت تمنزم الاقدام عليه . فقد حثت ادارة كارتر على ان تارسم
ضغطا دبلوماسيا شديدا على الفرنسيين والاطاليين فيما يتصل بامدادهم
العراق بالاجهزة والمواد النووية . غير ان هذه الضغوط لم تسفر عن اى
شئ فلم يعد نظام جيسكار ديستان المتفطرس اية اهمية للطلبات والتحذيرات
الاسرائيلية والامريكية .

وهكذا ، بعد أكتوبر ١٩٨٠ ، كانت الولايات المتحدة تدرك الأغراض
والمبادئ التي تكمن وراء هذا القرار ، غير انها لم تكن تصرف اى شئ عن
الاجتماع السري لمجلس الوزراء الاسرائيلي . ان ما لم تكن تعرفه الولايات
المتحدة وما لم يجر التشاور معها بشأنه هو « توقيت » الفارة على المفاعل
وخطط اسرائيل لذلك ، وتدريب واستعداد السلاح الجوي الاسرائيلي للهجوم
(ومن ثم كان رد الفعل الذي اتخذته كاسبار واينبرجر وزير الدفاع الامريكي .
مرنا وتشل في فرضه حظرا على تسليم ٤ طائرات امريكية من طراف اف-١٦
لاسرائيل كان من المقرر ان تسلمها اسرائيل بعد الفارة بايام قلائل)
كما لم يجر التشاور مع واشنطن حول قرار تدمير المفاعل العراقي .

ولقد كان توقيت الفارة بالنسبة للمخابرات الامريكية مفاجاة كاملة
حتى على الرغم من ادراكها لمخاوف اسرائيل الحقيقية من طبيعة وغرض
المفاعل .

وكان رد الفعل الأمريكي يتطوّل على المفاجأة والامتناع والقلق . فنفذ
اضحت اسرائيل ، فيما يبدو ، على مفهوم الجنرال هيج (وزير الخارجية
الامريكي) العاصم بالاجماع الاستراتيجى وعلى السياسة الامريكية فى المنفعة .
ورغم ان ادارة ريجان تبدي عدم اهتمام نسبي تجاه مشكلة الانتشار النووي ،
انتم رد الفعل الامريكى ازاء الفلّرة الاسرائيلية ، بالاضطراب والسرعة وعدم
الارتياح .

ومن ثم - وفى وسط الضجة التى كانت مفارقة حصول بيع طائرات
الانذار المبكر الامريكية (الواكس) للسعودية - كان يبدو بوضوح شئ واحد
هو : و ان الولايات المتحدة - ادارة ريجان - ليس لديها اية سياسة شاملة
واضحة تجاه الشرق الاوسط والخليج الفارسى . وانها تعيش بالاحرى على
بقايا المبادعات القديمة والمتكلفة لنيكسون وكارتر .

وقد قرر هيج ، وزير الخارجية الامريكية ، ارجاء اتخاذ قرار بشأن
وضع استراتيجية للشرق الاوسط والخليج الفارسى خلال الاشهر الستة
الاولى على الاقل لتولى الادارة السلطة ، ومع ذلك لم تتوقف الحركة فى الشرق
الاوسط . فلقد اتخذ الفلسطينيون والمصريون والعراقيون والسوريون
قرارات سياسية وعسكرية لم تكن تتطابق بالقوى العظمى . ولقد ابتكر هيج
- فى أعصاب المتروعات الكبرى للرئيس (ريجان) الخاصة - بأنه فى ضوء
الاستراتيجية الامريكية سوف تطفى العلاقات بين الشرق والغرب على مفهوم
الشمال والجنوب ، وانه على الولايات المتحدة ان تواجه الامبريالية العسكرية
السوفيتية والارهاب الدولى التى تنشئه منظمة التحرير الفلسطينية - ابتكر هيج
مبدأ جديدا هو الاجماع الاستراتيجى فى الشرق الاوسط الذى كان يفترض
ان تدخل اسرائيل والعالم العربى فى اتفاق أمن جماعى فى ظل حماية
الولايات المتحدة على ان يكون عدوه المشترك هو الشيوعية والارهاب الدوليين .

والواقع ان مفهوم الاجماع الاستراتيجى لم يكن جديدا . فهو الوجه
الآخر لسياسة التسوية الشاملة التى انتهجها كارتر وبريجنسكى (مستشار
الامن القومى للرئيس كارتر) . ولقد كانت سياسة التسوية الشاملة تتطلع
الى اشتراك اسرائيل والدول العربية فى مؤتمر سلام شامل . . وكان هذا
حلما خياليا . ومع ذلك ، تتطلع سياسة الاجماع الاستراتيجى الى اشراك
اسرائيل والعرب فى مجلس حرب مشترك بقصد حماية الشرق الاوسط من
السوفييت . ولم يكن هذا التطلع اقل خيالا .

ان الاجماع الاستراتيجى هو ابتكار امريكى حديث للتعامل مع مشكلة
الشرق الاوسط . وتنطوى فكرته والامل المرجو منه على لهداء الدول العربية
المعتدلة مثل مصر والاردن والسعودية (ومن المرجو كذلك سوريا والعراق)
بالأسلحة اللازمة للتصدى للتحدى السوفيتى . وهكذا فان كل دولة
- على اساس ثنائى واخيرا على اساس جماعى - سوف تستغل بالحماية
الامريكية المناهضة للسوفييت ، كنوع من منظمة حلف الاطلنطى بالشرق

الأيّام . غير أن هذه الفكرة الاستراتيجية تعتبر فكرة غير واقعية طالما أن الدول العربية المتعددة ، مثل السعودية والاردن ، تؤيد ، بل تتحالف في الواقع مع العرب الرافضين مثل العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وطالما أن جبهة الرفض العربية تحصل على ما يلزمها من الأموال من مبعوض شبه الجزيرة العربية ، وأن الجيش العراقي يزود بالأسلحة السوفيتية فإن ثمة فرصا ضئيلة لتكوين جبهة عربية إسرائيلية مشتركة ضد السوفييت . والواقع أن الإجماع الاستراتيجي قد طرح كبديل للتوازن الاستراتيجي ، وهي الصيغة الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط طوال العقود الأربعة الماضية . ذلك أن الاعتبارات الاستراتيجية كانت تستند ، في الماضي ، على أن تكون نسبة القوة العسكرية العربية الإسرائيلية ١ إلى ٣ ، وأن كلا من الولايات المتحدة وإسرائيل كانتا تسميان للحفاظ على هذا التوازن . وكان هذا التوازن يستند في ذلك الوقت على قدرة الدول ، لا على طموحاتها وتطلعاتها .

ومن ثم ، سيفير المفهوم الجديد ، في الواقع ، التوازن العسكري في الشرق الأوسط لصالح الدول العربية . ذلك أنه بمقتضى مبدأ الإجماع الاستراتيجي لن تكون الولايات المتحدة في حاجة إلى الإجماع من الناحية الصليبية على أن تزود الشرق الأوسط والخليج بالأسلحة بدون أية حدود ، ويكون ذلك خاضعا فقط لتزوات كل دولة .

وبهذا يمكن للإجماع الاستراتيجي أن يصبح ترسانة عسكرية حتى أن الولايات المتحدة ، بالرغم من تواجدها في مركز القيادة والمراقبة قد تجعل يوما وقد أصبح جحيما ثوريا يسيطر عليه قذافي سعودي أو ما هو أسوأ خوميني مني سعودي . ذلك أن السعودية تعتبر دولة ضعيفة . وبعض المحللين في المخابرات المركزية الأمريكية تساورهم الشكوك في كون الأسرة الحاكمة السعودية ستستمر حتى نهاية الثمانينيات .

ولقد كان خطأ الإجماع الاستراتيجي يثير الإسرائيليين ويستفزهم بأكثر مما يستفز أقرانهم الأمريكيين . ذلك أن العرب يعتبرون إسرائيل لا الانتصاف السوفيتي ، عدوهم الأساسي ، ولعل أفضل بيان عن الوضع الأمريكي هو ذلك الذي أدلى به جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكي السابق ، وقد قال فيه : « أن منهاج الإدارة يركز على التهديد السوفيتي والسعي إلى تحقيق إجماع استراتيجي يصل في النهاية إلى عمل جماعي من جانب دول المنطقة بالنسبة لتحسين قدرتها على الردع العسكري ضد التدخل السوفيتي . وعلى حين أن مثل هذه النتيجة سوف ترضى إلى حد كبير الكثيرين منا ، إلا أنه من قبيل الاستغراق في الذات الأمريكية أن تفترض أن دول المنطقة سوف تتخلى عن ههوها المباشرة وتحتضن ههوها . ذلك أن كلا من إسرائيل وجيرانها العرب ، يساورهم القلق بشأن النوايا والأعمال التي من شأنها أن تشكل خطرا رهانا واضحا بالنسبة لبعضهم . والتي لا يمكنهم ببساطة نسيانها

وتبنى قلقنا الذى يمثل فى احتمال التهديد السوفيتى للمنطقة . ولذلك ، ينبغي التدخل عن أى أمل فى أن يتركز الاهتمام الاقليمى نحو الشمال ، فى ظل غياب معالجة فعالة متزامنة للتوترات الداخلية فى المنطقة . والواقع أن الفارة الاسرائيلية على المحال المراضى تعنى نهاية هذا الاتجاه الخاسر فى اولويات السياسة الامريكىة ، لأنها زادت من هذه المخاوف الخاصة بشأن الصراعات الداخلية التى لم يتم التوصل لحل لها بعد ، بينما تثير شكوكا متزايدة حول فعالية الدور الامريكى فى المنطقة .

وفىما يتصلق بهذه التوترات الاقليمية ، نجد أن الولايات المتحدة ربما فضلت أن تتجنب اتخاذ قرار بشأنها ، كسبا للوقت . ولكنه لم يدر فى وسعها ذلك بعد . فقد جعلت الفارة هذه التوترات امرا رئيسيا ، وكشفت عجز الولايات المتحدة عن انجاز دورها المتوقع بشأن كبح الجناح الاسرائيل . وعلى الولايات المتحدة أن تختار الآن . فمن ناحية ، قد نفاذى صراحة عن الفارة بالاستمرار فى تزويد اسرائيل بالاسلحة . غير أن النتيجة الحتمية لذلك هى تحقيق مزيد من الخلاف بين الولايات المتحدة والكثير من دول العالم العربى . ومن ناحية أخرى ، سيثير وقف شحنات الاسلحة لاسرائيل تلقائيا مشكلة عمق الالتزام الامريكى بضمان أمن اسرائيل . ولقد كان فرصة هذا الاختيار على الولايات المتحدة ملانا للمصالح الاسرائيل .

فلك أن ادانة الهجوم — وفى ذلك استخدام اسرائيل للأسلحة الامريكىة على نحو مخالف للقانون الامريكى — يقتضى منطلق اعطاء الاولوية للسياسات المناهضة للانتشار النووى بدرجة اكبر مما تعطىها الادارة الامريكىة حتى الآن . وربما يجد (السناتور الآن كرايستون) وآخرون غيره أن الفارة الاسرائيلية لها ما يبررها فى ضوء اصرارهم منذ امد طويل على منع الاسلحة النووية . وهكذا كان يمكن لحكومة كارتر لسياستها الملونة — وإن كانت غير فعالة — بشأن منع الانتشار النووى . ولكن ادارة ريجان تعتبر حتى الآن ، غير مهمة ، أو قدرية ، بشأن انتشار الاسلحة النووية ، ويبدو هذا بوضوح فى مساعدتها العسكرية لباكستان . ومن ثم ، اذا ما بلغت الادارة بادانة الفارة ، فلتها مستجد أن من الصعب عليها بمعد ذلك التفاضى عنها على لاساس اهداف منع الانتشار النووى التى لا توليها أى اهتمام حتى الآن . وإذا ما تخففت الاسلحة على اسرائيل بالرغم من القانون الامريكى ، فسوف يزداد عدم الثقة فى الدوائى الامريكىة وفى دورها كوسيط امين فى حل الخلافات العربىة الاسرائيلية .

ولما كانت القوة الخاصة باسرائيل محدودة تبلى ، فان جهدها الفردى لفتح انتشار الاسلحة النووية فى المنطقة سوف يثبت انه امر عبث . ذلك ان موضوعا تتفق عليه الدول العظمى — بالرغم من أن قدرتها محدودة بالنسبة لتصنى لمشاكله — من المؤكد ، والامر كذلك ، أن يتجاوز هذا

الموسم قدرة اسرائيل المحدودة جدا . بل ان عمل اسرائيل قد يعزز نصيب العرب على الحصول على اسلحة نووية . وما هو اكثر اهمية ، انه يتعين ان تفكر ان الحركة الاولى نحو انتاج « قنبلة اسلامية » وطلب الدم لهذا المشروع قد جاءت من جانب باكستان ابان حكم الرئيس ذو الفقار على بونو في منتصف السبعينيات . وعلى الرغم من بلاغة ببجين الاستنزائية تقع باكستان في مكان لا تستطيع الطائرات الاسرائيلية ان تبلغه ، كما انها ، فضلا من ذلك ، تستغل بالحماية الامريكية .

وهكذا ، فان قدرة اسرائيل تعد محدودة جدا بالنسبة لمنع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة . ولعل افضل ما يمكن ان نرجو من جراء هذه الفارة التي كان التفكير فيها امرا سيئا بالرغم من ان تنفيذها كان بارعا هو ان تركز الاهتمام الدولي مرة اخرى على مشكلة الانتشار النووي . غير انها ستعمل ذلك في مناخ دولي يتدهور تدهورا بالغا .

(جيمس شليزنجر ، صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية ، ١٢ يونيو ١٩٨١)

ان من الحماقة الزعم بان اسرائيل تعتبر بمثابة حامية ضد الانحدار النووي . ذلك ان حرب ١٩٧٣ لم تثبت ذلك . فلقد هبت امريكا في الواقع ، وليس اسرائيل ، الى مساعدة ما يسمى « المذاهب » الاسرائيلي المناهض للشبوعية . ولهذا ، لا يعتبر الاجماع الاستراتيجي سياسة بل هو كارثة . اذ انه توجد سبل اخرى للتوصل الى تقارب اسرائيل - سعودى . والواقع ان الاساس الوحيد الذى يمكن ان تقام عليه سياسة خاصة بالشرق الاوسط هو عملية كلب ديفيد ، وانه يمكن ان ينفج في النهاية في اطار هذه العملية استراتيجية امريكية اسرائيلية عربية .

ولقد كانت الولايات المتحدة اعتبارا من الستينيات متحمسة على نحو ينصف بالشفرة السيئة ، بانتشار الاسلحة النووية عندما كان انتاج هذه الاسلحة النووية في بدايته ، ثم انضمت الى العملية دول العالم الثالث الصغرى - الهند وباكستان وتايوان وجنوب افريقيا والعراق واسرائيل وليبيا ، وربما دول اخرى . ولقد وضعت الولايات المتحدة اخيرا قاعدة قانونية دولية هي معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، التي وقعت عليها معظم دول العالم الثالث وغيرها من الدول الصغرى غير ان اسرائيل وللهند لم توقعا عليها .

ومع ذلك ، ليست معاهدة حظر الانتشار النووي اداة قوية تكفى لمنع الانتشار النووي . وليس ادل على ذلك من ان العراق وهى احدى الدول التي وقعت على المعاهدة - ماضية في عملية خلق قدرة نووية خاصة بها . ولقد اصبحت معاهدة حظر الانتشار النووي ايديولوجية امريكية ليبرالية

وكذا وسيلة لضمان الا يتسع نطاق الفسادى النووى الدولى . والواقع ان
المنظمة الدولية للطاقة الذرية - هى احدى الوكالات التى اتشائها الأمم المتحدة
لرصد الانتشار النووى - تعتبر هيئة ذات صبغة سياسية الى حد كبير .
ومن الواضح ، حتى اذا ما اخفنا حالة العراق مثلا - ان العراق لا تسبح
لاحد باجراء تفتيش على معاملها النووى الا بمثل التول التى ترى ان
علاقتها بها ودية .

وهكذا ، كان اتفاق المنظمة الدولية للطاقة الذرية امرا واضحا : لمساذا
لم تصعب اوراق امتياز الهند فى مضمونها ، بالرغم من انه من المحتمل ان
تطرد اسرائيل من عضويتها ، على حين ان الهند تعد الآن دولة اقوى من اسرائيل
نوريا . وذلك السحب لاوراق الاعتماد ، والطرده من المنظمة هو من وجهة نظر
المجتمع الدول وخاصة الولايات المتحدة . ولقد كانت الولايات المتحدة تقوم بمد
١٩٦٠ بزيارات مستمرة لديومنا حيث يوجد المعامل الاسرائيل ، الا ان هذه
الزيارات قد توقفت منذ تولت ادارة ريجان السلطة . ولقد كانت ادارة كارتر
بصفة خاصة ، لا تشعر بارتياح لمحم امثال اسرائيل لماهدة حظر الانتشار
النووى . بيد ان الضغوط على اسرائيل فى هذا المجال كانت تتغير تبعا لتوجيهات
الادارات الامريكية المتعاقبة . ومن المؤكد ان الولايات المتحدة كانت تشعر
بالقلق ازاء المعامل العراقية ، وليس ادل على ذلك من ان ادارة كارتر قد
صطلت على فرنسا حتى لا يستخدم الفرنسيون اليورانيوم المخصب الامريكى
فى المعامل الفرنسية .

وهكذا ، كان رد الفعل الامريكى الملجئ والغاضب ، بالرغم من انه
كان متوقعا فى اسرائيل - كان يثير القلق . وخلاصة عندما تشعر اسرائيل بان
اتولايات المتحدة قد اخفقت فى فهم تأثيراتها ، وان وجود اسلحة نووية
فى ايدى حكام فكتوريين متعصبين وارهابين يلتزمون بلبادة اسرائيل يعد سببا
يبرر الحرب بالنسبة لها ، وانه لايسع اسرائيل ان تدفع نفسها تحت رحمة
اسلحة دمار فى حوزة اكثر النظم انحطاطا فى الشرق الاوسط فى الوقت الحاضر .

بل ان رد الفعل الامريكى على صعيد الراى العلم لم يكن مبهوما بالنسبة
لاسرائيل لماذا تهاجم اجهزة الاعلام الامريكية ، والمقالات الانتحائية . لمعظم
الصحف الامريكية المؤثرة اسرائيل بشدة ؟ هل هى حالة من حالات سوء
الفهم ؟ ان اسرائيل كانت (جولييات) ، وان العرب كانوا دواو ؟ او ان العالم
« المسيحى » يتناسى مرة اخرى الوجود اليهودى والمخاطر التى تتهدده ؟
لقد حدث كل ذلك . لقد ادانت اجهزة الاعلام فى الايام الاولى التى اعقبت
الغارة ، العمل الاسرائيلى (باستثناء صحيفة وول ستريت جورنال) وتمالت
الاصوات فى الكونجرس - وفى ذلك اصحاء اسرائيل - فى « كوراس » صاحب
ضد اسرائيل ، وبلا تمييز .

وفي رد فعل عصبي وصفت صحيفتا « نيويورك تايمز » و « واشنطن بوست » الهجوم الاسرائيلي بأنه « حقير وجدير بالازدراء » وعمل لا يمكن تبريره ، وعدوان قصير النظر (٩ يونيو) . واستطردت صحيفة واشنطن بوست الى ما هو ابعد من ذلك قائلة « لقد ارتكب الاسرائيليون بتدميرهم للمفاعل العراقي خطأ جسيما . فقد تصرفوا ، فيما يعتقد ، على نحو مماكس لمصلحتهم طويلة الأمد ، وعلى نحو مماكس للمصالح الامريكية كذلك » (٩ يونيو) ولقد كانت الحكومة الامريكية تدرك في الواقع ، تمام الادراك التهديد العراقي وان الفارة الاسرائيلية قد اسهمت في دمج المصالح الامريكية .

وفي اعقاب الفارة ، ارسل بيجين مذكرة تفسيرية الى ريجان ثال فيها : انه اذا كان العراقيون قد قصفوا منطقة تل ابيب بغنبله نووية ، فان ذلك كان من المتوقع ان يسفر عن مصرع ٦٠ الف اسرائيلي . ولم تنشر هذه الحقيقة في اسرائيل حتى لاتثير الذعر . ولقد قدر الجنرال شارون ان هجوما مماثلا من شأنه ان يسفر عن مصرع ٥٠ الف شخص واصابة ٢٥٠ الف آخرين بالاشعاع النووي . والرئيس ريجان كان متعاطفا مع قلق اسرائيل ومخاوفها . ولكنه واجه - رغم ذلك - ورطة معينة بالنسبة لرد فعله الاولى ازاء الفارة . لقد كان يقر ضرورة ابعاد الولايات المتحدة عن الفارة ، والا تتساهل تجاهه اسرائيل ، الا انه كان يرى كذلك مبررا طبيا لمصمم طرح الموقف الامريكي الاساسي ازاء اسرائيل للمناقشة لقد اذان الفارة ، الا انه لم يفعل اى شيء لتغيير الدور الامريكي المستمر باعتبار الولايات المتحدة الحامية الوحيدة لاسرائيل والمصدر الاجنبى الوحيد لتسليحها . ولقد اكد الرئيس ريجان للسفير الاسرائيلي لدى واشنطن ان الهجوم لن يؤثر على العلاقات الامريكية الاسرائيلية . ولقد صرح السفير بان الرئيس اكد العلاقة القوية والراسخة مع اسرائيل ، وقال انه لن يسمح بظهور اختلال نوعى في القوة في المنطقة » .

وقد كان هناك خلاف كبير داخل الادارة الامريكية بالنسبة لسبل عقاب اسرائيل على الفارة التي شنتها على العراق . وثبة سبب آخر لتفسير ذلك الخلاف وهو انه عندما اعرب الرئيس عن تعاطفه على ضحايا العدوان الاسرائيلي ، شعر المسؤولون العاملون معه بالارتباك . ولقد كتب الصحفي المحترم « جورج ويل » يقول : ان زعماء اسرائيل الذين كتبوا يعلمون ان استخدام سلاح نووى واحد ضد تل ابيب سيدمر اسرائيل ، لم يكن في وسعهم ان يجعلوا ابن اسرائيل يركز على تأكيد مسكن بان اعداءها يتخللون تكنولوجيا ولكنهم متقدمون سياسيا . (واشنطن بوست ، ١٤ يونيو) .

وتساءلت المقالة الافتتاحية في صحيفة « لوس انجلوس تايمز » هل حالة اسرائيل امر يمكن تصديقه ؟ واختتمت مقالها قائلة : « ان اسرائيل مستعززة في اثاره قدر كبير من الغضب العالمى الموجه ضدها ، بسبب ما حدث . ومن

للمخيرة ان ما قلنت به اسرائيل - من حمل مخيب للآمال قد يؤدي في النهاية
شئ جعل الشرق الاوسط مكانا اكثر ايلنا لكل الاطراف المعنية . (١١ يونيو)
ولخصت صحيفة (وول ستريت جورنال) حالة الانقسام النفسى
الامريكى بقولها :

٥ بنذ الوقت الذى وقعت فيه الفارة ، تصرمت الولايات المتحدة كما
لو كان مكانا ان تتخذ موقفا وسطا ازاء هذه القضية وان مخرج منها
دون ان تصاب باى اضرار ، ومن ناحية اعرب الرئيس ريغان عن تعاطفه مع
الورطة الاسرائيلية . غير انه من ناحية اخرى كانت هناك جهود كثيرة تبذل
بقصد استمالة الراى العام العربى . وباختصار ، لقد تحولت العملية الى
درس آخر فى : كيف يمكننا ان نتصرف بحيث ننجح فى ألا تسوء علاقتنا
باسرائيل ، والا نضف وضمتنا كوسيط موثوق به فى عملية اقرار السلام
فى الشرق الاوسط ، والا تسوء سمعتنا بالنسبة لزعامتنا فى العالم .

انها لعبة خاسرة . فلا يوجد سبيل الآن لمراقبة اسرائيل عقابا يرضى
اعداها دون ان تنال قضات مخدرة من اسرائيل بينما تظهر لدول الشرق
الايوسط الاخرى ما يمكننا ان نفعله لهم فى اطار استراتيجية تبشر بالنجاح
فى الوقت نفسه . لقد اثبتت حكومة كارتر هذا بما حققته من فشل ومن
نجاح على السواء . ونحن نعتقد ان رجال ريغان قد جاؤوا الى السلطة وهم
يعرفون ذلك . ومن حسن الحظ انه لا يزال يوجد بعض الوقت للتعلم .
(٧ يونيو)

لقد فجر الهجوم الاسرائيل رد فعل عنيفا وقويا فى الولايات المتحدة ،
حيث أدانت رسميا الفارة فى ٨ يونيو ١٩٨١ باعتبارها عملا (لا مثيل له
من قبل) . وقالت السلطات الامريكية ان استخدام الاسلحة الامريكية فى
الفارة قد يكون انتهاكا للقانون الامريكى . ولقد اصعدت وزارة الخارجية
الامريكية تقريرا صينغ بلفة عنيفة للغاية لم تستخدمها الادارة الامريكية من
قبل للاحتجاج ضد عمل اسرائيل ويتناول التقرير الانتهاك المحتمل للقانون
الامريكى بالتنمية لتصدير الاسلحة . ويطالب بمرضه على الكونجرس
بسرعة .

ولقد جاء رد فعل الادارة فى اعقاب دعوة عدد من السفراء العرب
كل منهم على حدة ، للولايات المتحدة الى ان تتنصل من الفارة . والواقع ان
الولايات المتحدة التى فاجأتها الفارة ، قد جاء رد فعلها متأخرا .

وهكذا كانت الولايات المتحدة تجاهد للتوصل الى وسيلة لمراقبة اسرائيل
لاستخدامها الطائرات الامريكية الصنع فى شن غاراتها الجوية ضد العراق -
على ألا يؤدي هذا العقاب الى قطع المساعدات الامريكية لها على نحو مؤثر .

وكان المسئولون فى البيت الابيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع
يجرون مناقشات حامية عما يتعين على الولايات المتحدة ان تفعله .

قال احد المسئولين فى الخارجية الامريكية انه يوجد خلاف كبير داخل
الإدارة فى هذا الصدد ، ونحن نحاول الآن عملا يتسم بالاعتدال .

وبينما كان الرئيس ريجان يفكر مليا فى المشكلة ، كان واينبرجر وزير
قد ارتكبت انتهاكا جوهريا للقانون الأمريكى . وقال انه اذا تبين أن الانتهاك
جوهري فإن اسرائيل لن تكون مؤهلة لأن تحصل فى المستقبل على أسلحة
الدفاع يتخذ خطأ واضحا . لقد طرح الامر فى ضوء احتمال أن تكون اسرائيل
من الولايات المتحدة .

وفى ٩ يونيو ، ابلغ الكسندر هيج وزير الخارجية الكونجرس بأنه
يحتمل أن تكون اسرائيل قد ارتكبت انتهاكا جسيما لاتفاقات الأسلحة المبرمة
بينها وبين الولايات المتحدة باستخدامها الطائرات الامريكية الصنع فى قصف
المفاعل . والواقع انه يحق للرئيس بمقتضى الرقابة على صادرات الأسلحة
أن يوقف المساعدات العسكرية اذا تبين ذلك . ثم قال هيج انه بينما كانت
الإدارة مستمرة فى الحادثات مع اسرائيل وبينما كان الكونجرس يعقد
جلسات استماع حول الموضوع ، قرر الرئيس ريجان وقف تزويد اسرائيل
فى الوقت الحاضر بأربع طائرات إف - ١٦ كان من المقرر أن تسلمها خلال
الاسبوع العالى .

وكانت استجابة زعماء الكونجرس لاجراء الرئيس هذا ، ايجابية ،
فقد انتقد (كلينت زابلوكى) رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب
الامريكى القصف الاسرائيلى للمفاعل ، وقال ان قرار الرئيس كان قرارا
حكيميا ومطروسا كما انه ضرورى . وقال السناتور (تشاولز بيرسى) رئيس
لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى - وهو ليس من اصدقاء
اسرائيل - اشد عنفا فى تصريحاته . فقد أعلن بأن الفارة قد تقوض الجهود
الدبلوماسية التى يبذلها السفير فيليب حبيب (المبعوث الأمريكى فى المنطقة) ،
وتقلل احتمال اقرار سلام فى الشرق الاوسط على أساس كامب ديفيد .
وكان من السهل أن يصدر مثل هذا التصريح من الرياض أو عمان .

غير أن السناتور الجمهورى المحافظ (الفوتو داماتو) كان له رأى
مختلف . فقد قال : ان القصف كان عملا شرعيا ، وكان غارة وقائية كان
علينا أن نتوقعها . ووافق على ذلك السناتور الديمقراطى (دانيال موينهان)
فقد قال ان الاسرائيليين فعلوا ما كان عليهم أن يفعلوه . واننى أؤيد أى
شئ من شأنه محو أية منشأة نووية . وقد أعرب السناتور (آلن كرانستون)
وهو أحد الزعماء فى لجنة العلاقات الخارجية ، عن أسفه العميق لقرار تأجيل
تسليم اسرائيل طائرات إف - ١٦ .

ولى مواجهة هذا المأزق ، وجهت ادارة ريجان بالفعل ثانيا محدودا
لاسرائيل ، وهو رد فعل محسوب جدا ، يوازن بين قلق اسرائيل ازاء التهديد
النوى المحتمل ، وبين صدق الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، حينما
قررت التحكم فى سياسة مبيعاتها من الاسلحة لاسرائيل غير أن وقف تسليم
اسرائيل طائرات اف - ١٦ كان قرارا اقل عنفا من قرار معرفة مدى قيمه
ومقدار العلاقات العسكرية بين الولايات المتحدة واسرائيل الذى قرره فى
اغسطس ١٩٧٥ كل من الرئيس الأمريكى الاسبقى فورد ووزير خارجيته
كيسنجر ، وذلك عندما اوقف اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل مفاوضات
فك الاشتباك الثانى من سيناء .

ولقد اوضح المسئولون الأمريكيون فى احاديثهم الخاصة ، أن هذه
المسألة سياسية أكثر منها قانونية وهى مسألة يتعين اجراء مشاورات بشأنها
مع الكونجرس . وقال أعضاء الكونجرس ان زعماء الاغلبية فى مجلس النواب
يشعرون بتعاطف غريزى وفطرى ازاء محنة اسرائيل .

وكان (واينبرجر) وزير الدفاع يسمى الى عقاب اسرائيل عقابا عنيفا
ورغم ذلك لم تكن واشنطن لتتساهل بوضوح عن مثل هذا العمل . ولم
تكن هناك أية معارضة لوقف تسليم طائرات اف - ١٦ لاسرائيل ورغم ذلك
كان المسئولون عن الامن القومى الأمريكى يربون فى احاديثهم الخاصة عن
اعجابهم بجسارة وكفاءة الفلادة الجوية الاسرائيلية على حليف للاتحاد
السوفيتى .

ولقد هاجم بيجين شخصيا واينبرجر وزير الدفاع بسبب موقفه ازاء
اسرائيل . والواقع انه هاجم كلا من مستر واينبرجر وشيسون بيريز لدعايتهما
المتحمسة الزائفة ضده وضد الدوافع الحقيقية وراء شن اسرائيل للفلادة واتهم
واينبرجر بمحاولة اقناع ريجان بخفض المساعدات العسكرية والاقتصادية
الامريكية لاسرائيل . وقد رد واينبرجر بقوله انه اتهم خاطئ .

ولقد تجادل الكثيرون سواء داخل اسرائيل أو قى غيرها من البلاد حول
ان الخطأ الاكبر الذى ارتكبته حكومة بيجين لم يكن قرار شن الفلادة . وانما
الاعتراف بذلك . فلو أن اسرائيل لم تحدد هوية الفلادة وتركها تتسم
بالفضوض ، لكانت قد تجنبنا الضريبة الحتمية التى تعالت فى أعقاب
الفلادة . ولكانت قد تجنبنا ارباك الحكومة الامريكية التى تحاول تحسين
علاقاتها مع العالم العربى .

وفى ١١ يونيو ، اجتمع ريجان مع مسئولين عرب واسرائيليين ، كل على
حدة ، لتهدئة أزمة الشرق الاوسط ، ومع ذلك تراجع الرئيس عما اعلنه ،
كما أكد للاسرائيليين أنه لن يجرى أى إعادة جوهريه لمعرفة مقدار مدى

الأوسط . غير ان هذه الفكرة الاستراتيجية تعتبر فكرة غير واقعية طالما ان الدول العربية المعتدلة ، مثل السعودية والاردن ، تؤيد ، بل وتحالف في الواقع مع العرب الراضين مثل العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وطالما ان جبهة الرفض المصرية تحصل على ما يلزمها من الاموال من هيئوع شبه الجزيرة العربية ، وان الجيش العراقي يزود بالاسلحة السوفيتية فان ثمة فرصا ضئيلة لتكوين جبهة عربية اسرائيلية مشتركة ضد السوفييت . والواقع ان الاجماع الاستراتيجي قد طرح كبديل للتوازن الاستراتيجي ، وهي الصيغة الامريكية الخاصة بالشرق الاوسط طوال العقود الاربعة الماضية . ذلك ان الاعتبارات الاستراتيجية كانت تستند ، في الماضي ، على ان تكون نسبة القوة العسكرية المصرية الاسرائيلية ١ الى ٣ ، وان كلا من الولايات المتحدة واسرائيل كانتا تسميان للحفاظ على هذا التوازن . وكان هذا التوازن يستند في ذلك الوقت على قدرة الدول ، لا على طموحاتها وتطلعاتها .

ومن ثم ، سيغير المفهوم الجديد ، في الواقع ، التوازن العسكري في الشرق الاوسط لصالح الدول العربية . ذلك انه يقتضى مبدأ الاجماع الاستراتيجي لن تكون الولايات المتحدة في حاجة الى الاجماع من الناحية العملية على ان تزود الشرق الاوسط والخليج بالاسلحة بدون اية حدود ، ويكون ذلك خاضعا فقط لنزوات كل دولة .

وبهذا يمكن للاجماع الاستراتيجي ان يصبح ترسانة عسكرية حتى ان الولايات المتحدة ، بالرغم من تواجدها في مركز القيادة والمراقبة قد تجعل يوما وقد اصبح جحيما ثوريا يسيطر عليه قذافي سعودي او ما هو اسوأ خوميني سني سعودي . ذلك ان السعودية تعتبر دولة ضعيفة . وبعض المحللين في المخابرات المركزية الامريكية تساورهم الشكوك في كون الاسرة الحاكمة السعودية ستستمر حتى نهاية الثمانينيات .

ولقد كان خطأ الاجماع الاستراتيجي يثير الاسرائيليين ويستفزهم باكثر مما يستفز اقربائهم الامريكيين . ذلك ان العرب يعتبرون اسرائيل لا الانحداد السوفيتي ، عدوهم الاساسي ، ولعل افضل بيان عن الوضع الامريكي هو ذلك الذي أدلى به جيبس شليزنجير وزير الدفاع الامريكي السابق ، وقد قال فيه : « ان منهج الادارة يركز على التهديد السوفيتي والسعي الى تحقيق اجماع استراتيجي يصل في النهاية الى عمل جماعي من جانب دول المنطقة بالنسبة لتحسين قدرتها على الردع العسكري ضد التدخل السوفيتي . وعلى حين ان مثل هذه النتيجة سوف ترضى الى حد كبير الكثيرين منا ، الا انه من قبيل الاستفراق في الذات الامريكية ان تفترض ان دول المنطقة سوف تتخلى عن هيئوعها المباشرة وتحضن هيئوعنا . ذلك ان كلا من اسرائيل وجيرانها العرب ، يساورهم القلق بشأن النوايا والاعمال التي من شأنها ان تشيكل خطرا راهنا وواضحا بالنسبة لبعضهم . والتي لا يمكنهم ببساطة تسيانها

وتبقى قلقنا الذي يتمثل في احتمال التهديد السوفيتي للمنطقة . ولذلك ، ينبغي التخل من أي أمل في أن يركز الاهتمام الاقليمي نحو الشمال ، في ظل غياب معالجة فعالة متزامنة للتوترات الداخلية في المنطقة . والواقع أن الغارة الاسرائيلية على المفاعل العراقي تمنى نهاية هذا الاتجاه الخاسر في اولويات السياسة الامريكية ، لالها زادت من هذه المخاوف الخاصة بشأن الصراعات الداخلية التي لم يتم التوصل لحل لها بعد ، بينما تثير شكوكا متزايدة حول فعالية الدور الامريكي في المنطقة .

وفيما يتعلق بهذه التوترات الاقليمية ، نجد أن الولايات المتحدة ربما فضلت أن تتجنب اتخاذ قرار بشأنها ، كسبا للوقت . ولكنه لم يدر في وسعها ذلك بعد . فقد جعلت الغارة هذه التوترات امرا رئيسيا ، وكشفت عجز الولايات المتحدة عن انجاز دورها المتوقع بشأن ضمان كبح الجراح الاسرائيلي . وعلى الولايات المتحدة أن تختار الآن . فمن ناحية ، قد تنقضي صراحة عن الغارة بالاستمرار في تزويد اسرائيل بالاسلحة . غير أن النتيجة الحتمية لذلك هي تحقيق مزيد من الخلاف بين الولايات المتحدة والكثير من دول المسالم العربي . ومن ناحية اخرى ، سيثير وقف شحنات الاسلحة لاسرائيل تلقائيا مشكلة عسى الالتزام الامريكي بضمان أمن اسرائيل . ولقد كان فرصة هذا الاختيار على الولايات المتحدة ملانا للصالح الاسرائيلي .

فلك أن ادانة الهجوم — وفي ذلك استخدام اسرائيل للاسلحة الامريكية على نحو يخالف للقانون الامريكي — يقتضى منطلق اعطاء الاولوية للسياسات المناهضة للانتشار النووي بدرجة اكبر مما تعطىها الادارة الامريكية حتى الآن . وربما يجد (السناتور آلان كرائستون) وآخرون غيره ان الغارة الاسرائيلية لها ما يبررها في ضوء اصرارهم منذ امد طويل على منع الاسلحة النووية . وهكذا كان يمكن لحكومة كارتر لسياستها الملتنة — وأن كلفت غير فعالة — بشأن منع الانتشار النووي . ولكن ادارة ريجان تعتبر حتى الآن ، غير مهمة ، او قدرية ، بشأن انتشار الاسلحة النووية ، ويبدو هذا بوضوح في مساعدتها العسكرية لباكستان . ومن ثم ، اذا ما بادرت الادارة بادانة الثغرة ، فلتها مستجد أن من الصعب عليها بعد ذلك التغافل عنها على اساس اهداف منع الانتشار النووي التي لا توليها اي اهتمام حتى الآن . واذا ما تحفقت الاسلحة على اسرائيل بالرغم من القنوقن الامريكي ، فسوف يزداد عدم الثقة في الدوامع الامريكية وفي دورها كوسيط امين في حل الخلافات العربية الاسرائيلية .

ولما كلفت القوة الخاصة باسرائيل محدودة تها ، فان جهودها الفردى تتبع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة سوف يثبت انه امر عاجز . ذلك ان موضوعا تتفق عليه الدول العظمى — بالرغم من أن قدرتها محدودة بالنسبة للتصدي لمشاكله — من المؤكد ، والامر كذلك ، أن يتجاوز هذا

الموضوع قدرة اسرائيل المحدودة جدا . بل ان عمل اسرائيل قد يعزز تصميم العرب على الحصول على اسلحة نووية . وما هو اكثر اهمية ، انه يتعين ان نتفكر ان الحركة الاولى نحو انتاج « قنبلة اسلامية » وطلب الدعم لهذا المشروع قد جاءت من جانب باكستان ابان حكم الرئيس ذو الفقار على بوتو في منتصف السبعينيات . وعلى الرغم من بلاغة ببجين الاستفزازية تقع باكستان في مكان لا تمنح الطائرات الاسرائيلية ان تبلغه ، كما انها ، بخلاف ذلك ، تستظل بالحماية الامريكية .

وهكذا ، فان قدرة اسرائيل تعد محدودة جدا بالنسبة لمنع انتشار الاسلحة النووية في المنطقة . ولعل افضل ما يمكن ان نرجو من جراء هذه الغارة التي كان التفكير فيها امرا سيئا بالرغم من ان تنفيذها كان بارعا هو ان تركز الاهتمام الدولي مرة اخرى على مشكلة الانتشار النووي . غير انها ستعمل ذلك في مناخ دولي يتدهور تدهورا بالغا .

(جيمس شليزنجر ، صحيفة « واشنطن

بوست » الامريكية ، ١٢ يونيو ١٩٨١)

ان من الحقائق الزعم بان اسرائيل تعتبر بمثابة حلبة ضد الاتحاد السوفيتي . ذلك ان حرب ١٩٧٢ لم تثبت ذلك . فتلقت امريكا في الواقع ، وليس اسرائيل ، الى مساعدة ما يسمى « المصالح » الاسرائيلية المناهضة للشيوعية . ولهذا ، لا يعتبر الاجماع الاستراتيجي سياسة بل هو كارثة . اذ انه توجد سبل اخرى للتوصل الى تقارب اسرائيل - سعودي . والواقع ان الاساس الوحيد الذي يمكن ان تقام عليه سياسة خاصة بالشرق الاوسط هو عملية كامب ديفيد ، وانه يمكن ان ينضج في النهاية في اطار هذه العملية استراتيجية امريكية اسرائيلية عربية .

ولقد كانت الولايات المتحدة اعتبارا من الستينيات متحمسة على نحو يتصف بالشهرة السيئة ، بانتشار الاسلحة النووية عندما كان انتاج هذه الاسلحة النووية في بدايته ، ثم انضمت الى العملية دول العالم الثالث الصغرى - الهند وباكستان وتايوان وجنوب افريقيا والعراق واسرائيل وليبيا ، وربما دول اخرى . ولقد وضعت الولايات المتحدة اخيرا قاعدة قانونية دولية هي معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، التي وقعت عليها معظم دول العالم الثالث وغيرها من الدول الصغرى غير ان اسرائيل وللهند لم توقعا عليها .

ومع ذلك ، ليست معاهدة حظر الانتشار النووي اداة قوية تكفي لمنع الانتشار النووي . وليس ادل على ذلك من ان العراق وهي احدى الدول التي وقعت على المعاهدة - ماضية في عملية خلق قدرة نووية خاصة بها . ولقد اصبحت معاهدة حظر الانتشار النووي ايدولوجية امريكية ليبرالية

وكذا وسيلة لضمان الا يضيع نطاق النوى الدولي . والواقع ان المنظمة الدولية للطاقة الذرية — هي احدى الوكالات التي انشأتها الامم المتحدة لرصد الانتشار النووي — تعتبر هيئة ذات صبغة سياسية الى حد كبير . ومن الواضح ، حتى اذا ما اخذنا حالة العراق مثلا — ان العراق لا تسمح لاحد باجراء تنقيش على مفاعله النووى الا بمثلى الدول التى ترى ان علاقتها بها ودية .

وهكذا ، كان اتفاق المنظمة الدولية للطاقة الذرية امرا واضحا : لماذا لم تصحب اوراق امتياز الهند فى عضويتها ، بالرغم من انه من المحتل ان تطرد اسرائيل من عضويتها ، على حين ان الهند تمه الآن دولة اقوى من اسرائيل نوريا . وذلك السحب لاوراق الاعتماد ، والطرد من المنظمة هو من وجهة نظر المجتمع الدول وخاصة الولايات المتحدة . ولقد كانت الولايات المتحدة تقوم بعد ١٩٦٠ بزيارات مستمرة لديومونا حيث يوجد المفاعل الاسرائيل ، الا ان هذه الزيارات قد توقفت منذ تولت ادارة ريجان السلطة . ولقد كانت ادارة كارتر بصفة خاصة ، لا تشمر بارتياح لعدم امتثال اسرائيل لمعاهدة حظر الانشاع النووى . بيد ان الضغوط على اسرائيل فى هذا المجال كانت تتغير تبعا لتوجهات الادارات الامريكية المتعاقبة . ومن المؤكد ان الولايات المتحدة كتلت تشمر بالطلاق ازاء المفاعل العراقى ، وليس ادل على ذلك من ان ادارة كارتر قد صفقت على برنسا حتى لا يستخدم الفرنسيون اليورانيوم المخصب الامريكى فى المفاعل الفرنسىة .

وهكذا ، كان رد الفعل الامريكى المفاجيء والتعصب ، بالرغم من انه كان متوقعا فى اسرائيل — كان يثير القلق . وخاصة عندما تشعر اسرائيل بان اتولايات المتحدة قد اخفقت فى مهم ماثير قلقها ، وان وجود اسلحة نووية فى ايدى حكام فكتانوريين مخصصين وارهابيين يلتمون ببلادة اسرائيل يعد سببا يبور الحرب بالنسبة لها ، وانه لايسع اسرائيل ان تدع نفسها تحت رحمة لسلحة دمار فى حوزة اكثر النظم انحطاطا فى الشرق الاوسط فى الوقت الحاضر .

بل ان رد الفعل الامريكى على صعيد الراى العام لم يكن بههوما بالنسبة لاسرائيل لماذا تهاجم لجهز الاعلام الامريكية ، والمقالات الامتلاحية . لمعظم الصحف الامريكية المؤثرة اسرائيل بشدة ؟ هل هى حالة من حالات سوء الفهم ؟ ان اسرائيل كانت (جوليات) ، وان العرب كانوا دواود ؟ او ان العالم « المسيحى » يتناسى مرة اخرى الوجود اليهودى والمخاطر التى تهدده ؟ لقد حدث كل ذلك . لقد ادانت اجهزة الاعلام فى الايام الاولى التى اعقبت الغارة ، العمل الاسرائيلى (باستثناء صحيفة وول ستريت جورنال) وتعللت الاصوات فى الكونجرس — وفى ذلك اصقواء اسرائيل — فى « كوراس » صاحب ضد اسرائيل ، وبلا تمييز .

وفي رد فعل عصبي وصفت صحيفتنا « نيويورك تايمز » و « واشنطن بوست » الهجوم الاسرائيلي بأنه « حقير وجدير بالازدراء » وعمل لا يمكن تبريره ، وعدوان قصر النظر (٩ يونيو) . واستطردت صحيفة واشنطن بوست الى ما هو ابعد من ذلك قائلة « لقد ارتكب الاسرائيليون بقتلهم للمهازل العراقي خطا جسيما . فقد تصرفوا ، فيما يعتقد ، على نحو معاكس لمصالحهم طويلة الامد ، وعلى نحو معاكس للمصالح الامريكية كذلك » (٩ يونيو) ولقد كانت الحكومة الامريكية تدرك في الواقع ، تمام الادراك التهديد العراقي وان الغارة الاسرائيلية قد اسهمت في دعم المصالح الامريكية .

وفي اعقاب الغارة ، ارسل بيجين مذكرة تفسيرية الى ريجان قال فيها : انه اذا كان العراقيون قد قصفوا منطقة تل ابيب بقنبلة نووية ، فان ذلك كان من المتوقع ان يسفر عن مصرع ٦٠ الف اسرائيلى . ولم تنتشر هذه الحقيقة في اسرائيل حتى لانتير الذعر . ولقد قدر الجنرال شارون ان هجوما مماثلا من شأنه ان يسفر عن مصرع ٥٠ الف شخص واصابة ٢٥٠ الف آخرين بالاشعاع النووى . والرئيس ريجان كان متعاطفا مع قلق اسرائيل ومخاوفها . ولكنه واجه - رغم ذلك - ورطة معينة بالنسبة لرد فعله الاولى ازاء الغارة . لقد كان يقر ضرورة ابعاد الولايات المتحدة عن الغارة ، والا تتساهل تجاه اسرائيل ، الا انه كان يرى كذلك مبررا طيبا لعدم طرح الموقف الامريكى الاساسى ازاء اسرائيل للمناقشة لقد اذان الغارة ، الا انه لم يفعل اى شيء لتغيير الدور الامريكى المستمر باعتبار الولايات المتحدة الحامية الوحيدة لاسرائيل والمصدر الاجنبى الوحيد لتسليحها . ولقد اكد الرئيس ريجان للسفير الاسرائيلى لدى واشنطن ان الهجوم لن يؤثر على العلاقات الامريكية الاسرائيلية . ولقد صرح السفير بان الرئيس اكد العلاقة القوية والراسخة مع اسرائيل ، وقال انه لن يسمح بظهور اختلال نوعى في القوة في المنطقة .

وقد كان هناك خلاف كبير داخل الادارة الامريكية بالنسبة لسبل عقاب اسرائيل على الغارة التى شنتها على العراق . وثمة سبب آخر لتفسير ذلك الخلاف وهو انه عندما اعرب الرئيس عن تعاطفه على ضحايا العدوان الاسرائيلى . شعر المسؤولون العاملون معه بالارتباك . ولقد كتب الصحفي المحترم « جورج ويل » يقول : ان زعماء اسرائيل الذين كانوا يعلمون ان استخدام سلاح نووى واحد ضد تل ابيب سيدمر اسرائيل ، لم يكن في وسعهم ان يجعلوا امن اسرائيل يرتكز على تأكيد مسكن بان اعداءها متخلفون تكنولوجيا ولكنهم متقدمون سياسيا . (واشنطن بوست ، ١٤ يونيو) .

وتساءلت المفالة الافتتاحية في صحيفة « لومس انجلوس تايمز » هل حالة اسرائيل امر يمكن تصديقه ؟ واختتمت مقالها قائلة : « ان اسرائيل ستستمر في اثارة قدر كبير من الغضب العالمى الموجه ضدها ، بسبب ما حدث . ومن

للمخزية أن ما قلعت به اسرائيل - من عمل مخيب للأمل قد يؤدي في النهاية
لثي جعل انشرق الاوسط مكانا اكثر امانا لكل الاطراف المعنية . (١١ يونيو)
ولخصت صحيفة (وول ستريت جورنال) حالة الانفصام النفسي
الامريكي بقولها :

« منذ الوقت الذي وقعت فيه الفارة ، تصرفت الولايات المتحدة كما
لو كان ممكنا ان تتخذ موقفا وسطا ازاء هذه القضية وان يخرج منها
دون ان تصاب بأي اضرار ، ومن ناحية امرب الرئيس ريجان عن تعاطفه مع
الورطة الاسرائيلية . غير انه من ناحية اخرى كانت هناك جهود كثيرة تبذل
بقصد استمالة الراى العام العربى . وباختصار ، لقد تحولت العملية الى
درس آخر فى : كيف يمكننا ان نتصرف بحيث ننجح فى الا تسوء علاقتنا
باسرائيل ، والا نضعف وضعنا كوسيط موقوف به فى عملية اقرار السلام
فى الشرق الاوسط ، والا تسوء سمعتنا بالنسبة لرعاتنا فى العالم :

انها لعبة خاسرة . فلا يوجد سبيل الآن لمقابلة اسرائيل عقابا يرضى
اعدامها دون ان تنال قضات مخدرة من اسرائيل بينما تظهر لدول الشرق
الاوسط الاخرى ما يمكننا ان نفعله لهم فى اطار استراتيجية تبشر بالنجاح
فى الوقت نفسه . لقد اثبتت حكومة كادتر هذا بما حققته من فشل ومن
نجاح على السواء . ونحن نعتقد ان رجال ريجان قد جاؤوا الى السلطة وهم
يعرفون ذلك . ومن حسن الحظ انه لا يزال يوجد بعض الوقت للتعلم .
(٧ يونيو)

لقد فجر الهجوم الاسرائيل رد فعل عنيفا وقويا فى الولايات المتحدة ،
حيث اذانت روسيا الفارة فى ٨ يونيو ١٩٨١ باعتبارها عملا (لا مثيل له
من قبل) . وقالت السلطات الامريكية ان استخدام الاسلحة الامريكية فى
الفارة قد يكون انتهاكا للقانون الامريكى . ولقد اعدت وزارة الخارجية
الامريكية تقريرا صيغ بلغة عنيفة للغاية لم تستخدمها الادارة الامريكية من
قبل للاحتجاج ضد عمل اسرائيل ويتناول التقرير الانتهاك المحتمل للقانون
الامريكى بالنسبة لتصدير الاسلحة . ويطالب بعرضه على الكونجرس
بسرعة .

ولقد جاء رد فعل الادارة فى اعقاب دعوة عدد من السفراء العرب
كل منهم على حدة ، للولايات المتحدة الى أن تتنصل من الفارة . والواقع أن
الولايات المتحدة التى فاجأتها الفارة ، قد جاء رد فعلها متأخرا .

وهكذا كانت الولايات المتحدة تجاهد للتوصل الى وسيلة لمقابلة اسرائيل
لاستخدامها الطائرات الامريكية الصنع فى شن غاراتها الجوية ضد العراق -
على ألا يؤدي هذا العقاب الى قطع المساعدات الامريكية لها على نحو مؤثر .

وكان المسئولون في البيت الابيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع
يجرون مناقشات حامية عما يتعين على الولايات المتحدة أن تفعله .

قال أحد المسئولين في الخارجية الامريكية انه يوجد خلاف كبير داخل
الادارة في هذا الصدد ، ونحن نحاول الآن عملا يتسم بالاعتدال .

وبينما كان الرئيس ديجان يفكر مليا في المشكلة ، كان واينبرجر وزير
قد ارتكبت انتهاكا جوهريا للقانون الامريكي . وقال انه اذا تبين أن الانتهاك
جوهري فإن اسرائيل لن تكون مؤهلة لأن تحصل في المستقبل على أسلحة
الدفاع يتخذ خطأ واضحا . لقد طرح الامر في ضوء احتمال أن تكون اسرائيل
من الولايات المتحدة .

وفي ٩ يونيو ، ابلغ الكسندر هيج وزير الخارجية الكونجرس بأنه
يحتمل أن تكون اسرائيل قد ارتكبت انتهاكا جسيما لاتفاقات الاسلحة المبرمة
بينها وبين الولايات المتحدة باستخدامها الطائرات الامريكية الصنع في قصف
المهازل . والواقع انه يحق للرئيس بمقتضى الرقابة على صادرات الاسلحة
أن يوقف المساعدات العسكرية اذا تبين ذلك . ثم قال هيج انه بينما كانت
الادارة مستمرة في المحادثات مع اسرائيل وبينما كان الكونجرس يعقد
جلسات استماع حول الموضوع ، قرر الرئيس ديجان وقف تزويد اسرائيل
في الوقت الحاضر بأربع طائرات اف - ١٦ كان من المقرر أن تسلمها خلال
الاسبوع الحالي .

وكانت استجابة زعماء الكونجرس لاجراء الرئيس هذا ، ايجابية ،
فقد انتقد (كلينت زابلوكي) رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب
الامريكي القصف الاسرائيلي للمفاعل ، وقال ان قرار الرئيس كان قرارا
حكيميا ومنروسا كما انه ضروري . وقال السناتور (تشارلز بيرس) رئيس
لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي - وهو ليس من اصدقاء
اسرائيل - اشد عنفا في تسيقاته . فقد أعلن بأن الفارة قد تقوض الجهود
الدبلوماسية التي يبذلها السفير فيليب حبيب (المبعوث الامريكي في المنطقة) ،
وتقلل احتمال اقرار سلام في الشرق الاوسط على اساس كامب ديفيد .
وكان من السهل أن يصدر مثل هذا التصريح من الرياض أو عمان .
غير أن السناتور الجمهوري المحافظ (الفوتو داماتو) كان له رأى
مختلف . فقد قال : ان القصف كان عملا شرعيا ، وكان غارة وقائية كان
علينا أن نتوقعها ، . ووافق على ذلك السناتور الديمقراطي (دانيال موينهان)
فقد قال ان الاسرائيليين فعلوا ما كان عليهم أن يفعلوه . واننى أؤيد أى
شيء من شأنه محو أية منشأة نووية . وقد أعرب السناتور (آلن كرانستون)
وهو أحد الزعماء في لجنة العلاقات الخارجية ، عن أسفه العميق لقرار تأجيل
تسليم اسرائيل طائرات اف - ١٦ .

وفي مواجهة هذا المأزق ، وجهت ادارة ريجان بالفعل تانيبا محدودا
لاسرائيل ، وهو رد فعل محسوب جدا ، يوازن بين قلق اسرائيل ازاء التهديد
النووي المحتمل ، وبين صدق الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، حينما
قررت التحكم في سياسة مبيعاتها من الاسلحة لاسرائيل غير أن وقف تسليم
اسرائيل طائرات اف - ١٦ كان قرارا اقل هتفا من قرار معرفة مدى قيمة
ومقدار العلاقات العسكرية بين الولايات المتحدة واسرائيل الذي قرره في
اغسطس ١٩٧٥ كل من الرئيس الامريكي الاسبق فورد ووزير خارجيته
كيسنجر ، وذلك عندما أوقف اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل مفاوضات
فك الاشتباك الثاني من سيناء .

ولقد أوضح المسئولون الامريكيون في احاديثهم الخاصة ، أن هذه
المسألة سياسية أكثر منها قانونية وهي مسألة يتعين اجراء مشاورات بشأنها
مع الكونجرس . وقال أعضاء الكونجرس ان زعماء الاغلبية في مجلس النواب
يشجعون بتعاطف غريزي وفطري ازاء حق اسرائيل .

وكان (واينبرجر) وزير الدفاع يسمى الى عقاب اسرائيل عقابا عنيفا
ورغم ذلك لم تكن واشنطن لتتساهل بوضوح عن مثل هذا العمل . ولم
تكن هناك أية معارضة لوقف تسليم طائرات اف - ١٦ لاسرائيل ورغم ذلك
كان المسئولون عن الامن القومي الامريكي يعربون في احاديثهم الخاصة عن
اعجابهم بجسارة وكفاءة الفأرة الجوية الاسرائيلية على حليف للاتحاد
السوفيتي .

ولقد هاجم بيجين شخصيا واينبرجر وزير الدفاع بسبب موقفه ازاء
اسرائيل . والواقع أنه هاجم كلا من مستر واينبرجر وشيمون بيريز لدعايتهما
المتعمدة الزائفة ضده وضد الدوافع الحقيقية وراء شن اسرائيل للفأرة واتهم
واينبرجر بمحاولة اقناع ريجان بخفض المساعدات العسكرية والاقتصادية
الامريكية لاسرائيل . وقد رد واينبرجر بقوله انه اتهم خاطيء .

ولقد تجادل الكثيرون سواء داخل اسرائيل أو قى غيرها من البلاد حول
ان الخطأ الاكبر الذي ارتكبه حكومة بيجين لم يكن قرار شن الفأرة . وانما
الاعتراف بذلك . فلو أن اسرائيل لم تحدد هوية الفأرة وتركبتها تقسم
بالغموض ، لكانت قد تجنبنا الضجة المحتمة التي تمالت في أعقاب
الفأرة . ولكانت قد تجنبنا ارباك الحكومة الامريكية التي تحاول تحسين
علاقاتها مع العالم العربي .

وفي ١١ يونيو ، اجتمع ريجان مع مسئولين عرب واسرائيليين ، كل على
حده ، لتحذره ازمة الشرق الاوسط ، ومع ذلك تراجع الرئيس عما اعلنه ،
كما أكد للاسرائيليين أنه لن يجرى أى إعادة جهورية لمعرفة مقدار ومدى

الخلافة القائمة مع أمريكا • و لكنه الملاقة القوية والرمسة مع اسرائيل -
وعلى الرغم من مطالب السفراء العرب بأن تتخذ الولايات المتحدة اجراءات
صعبة ضد اسرائيل • لم يتزحزح الرئيس عن موقفه •

وفي ٢٢ يونيو • توقع الاسرائيليون ان تستأنف الولايات المتحدة قريبا
ححن الطائرات اف - ١٦ لاسرائيل وهذا يعنى ضم الطائرات الاربع من طراز
اف - ١٦ التي تأجل تسليمها فى ١٠ يونيو مع الدفعة التالية من هذه
الطائرات التي كانت اسرائيل قد طلبتها من أمريكا • ومع ذلك • تغير كل
فى ٢٣ يونيو عندما قصفت اسرائيل مقر منظمة التحرير الفلسطينية
فى بيروت • فقد تأجل تسليم طلب طائرات اف - ١٦ ولم يرفع الحظر عنها
الا على ١٧ أغسطس وفى أول سبتمبر تقرر تسليم الطائرات الاربع من
اف - ١٦ لاسرائيل •

ومن المخرية • أنه فى ١١ أغسطس • اصدرت وزارة الخارجية
الاسرائيلية بيانا وصفت فيه الاجراء الأمريكى بأنه غير عادل ومدمر وخرقا
للمعهد المبرم بين البلدين • وفى هذا الوقت زار الرئيس السادات واشنطن
ليوقع على صفقة أسلحة أمريكية لمصر (تتضمن دبابات وصواريخ) • وقالت
الادارة الأمريكية ان هذه الصفقة ضرورية للحفاظ على التوازن فى الشرق
الوسط •

اتخذ مجلس الوزراء الاسرائيلي في اكتوبر ١٩٨٠ قرار تدمير المفاعل النووي بعد مناقشة مأسسة وان لم تكن خطيرة وذلك بعد ان ارغبت الاقلية على الموافقة على اتخاذ القرار . ولم تنشر الصحفا سوى لحات من هذه المناقشة التي اقتصرت على الخبراء والهيكل الأدنى من العاملين في جهاز الامن . وقد تركزت المناقشة على توقيت الفارة وهو الامل الذي يربط بتطور مشروع تيزور الذي كتبت اجهزة اسرائيل ترصده من كتب بقدر ما تستطيع . ولقد كان كل امضاء اللجنة الوزارية الخاصة بالامن ، التابعة لمجلس الوزراء ، التي تضم الحمايم التقليدية (يجلال يادين) و (يوسف بورج) و (سميحاي ايرلينج) يؤيدون العمل ضد التسليح النووي العراقي . غير انه لم يكن هناك اجماع داخل هذه الجماعة بالنسبة لتوقيت الفارة او افضل اسلوب لتدمير المفاعل .

ولم تكن ثمة معارضة كثيرة ضد تدمير المفاعل - فلقد كان المعارضون يخشون نصب ، الآثار السياسية التي يمكن توقعها في حالة نجح الفارة او فشلها ، ومن هذه الآثار احتمال نشوب أزمة في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، واضعاف نفوذ السادات في العالم العربي ، واخماد احلام العرب بشأن الوحدة فيما بينهم ، ورد العمل العراقي الذي قد يستمر ويسرع في الامكانيات النووية ، وفوق ذلك كله الآثار الخطيرة التي يمكن ان يسفر عنها فشل العملية .

والواقع ان المناقشة العاجلة التي جرت في اكتوبر ١٩٨٠ لابد من النظر اليها في ضوء الجدل الذي كان يجري في اسرائيل على امتداد ما يزيد على عشر سنوات . ذلك ان مناقشة السياسة النووية قد بدأت عندما بدأ تشغيل المفاعل الاسرائيلي في وقت ما من عام ١٩٦٨ . وعندئذ ظهرت مدرستان للتفكير . فقد كانت الصقور ذات النظرة الاستراتيجية تسمى الى ان تحقق اسرائيل احتكارا وتفوقا نوويا في الشرق الاوسط (وهي مدرسة التفكير التي انتصر بوضوح) . وكتلوا ينادون بلتفاهج نظرية الرد المرن . ويعتقدون ان الاحتكار النووي الاسرائيلي وتفوق اسرائيل سيؤدي في النهاية الى حل النزاع العربي الاسرائيلي تبعا لشروط اسرائيل .

اما الحمايم الذين ينتمون عادة لحزب العمل او اليسار فكانوا لا يرون اي مبرر لتأجيل الانتشار النووي - اي تطوير الامكانيات النووية في الدول الاخرى في الشرق الاوسط . وكانوا يرون انه لا يمكن لاسرائيل ان تحتفظ بتفوقها العسكري التقليدي لمدة طويلة ، ذلك ان العرب بحلول عام ١٩٨٥ سيتفوقون على اسرائيل من حيث العدد والمعدات العسكرية بنسبة خمسة الى واحد . وكانوا يطمحون الى مستقبل تصبح فيه الحدود والأراضي غير ذات أهمية ذلك ان التفوق التكنولوجي الاسرائيلي سيكون كافيا لضمان الوجود الاسرائيلي في مواجهة العرب .

وفي إطار تبرير بيجين للهجوم على المفاعل العراقي ، كان يرى ان اسرائيل هي الدولة المستقرة و (المعتدلة) في الشرق الاوسط ولا يمكنها ان تصبح لدولة غير مستقرة مثل العراق بان يكون لديها امكانية نووية . وكان موقفه المتصور في هذا الصدد هو ان الردع لن يعد سلاحا سياسيا . ذلك ان التماثل في التوازن النووي في الشرق الاوسط يمكن ان يكون فعالا فقط بالنسبة للجانب العاقل والمستقر . وباختصار ، كان المتصور يفرضون الوضع الثابت للاحتكار النووي الاسرائيلي في مواجهة الوضع المرن للحمام .

ولقد كان شيمون بيريز زعيم حزب العمل ، وخضم بيجين في الانتخابات القادمة ، ينتقد الفارة بشدة . وقد اتهم بيجين بأنه لم تكن هناك ثمة ضرورة لعصف المفاعل، وأنه كان يمكن لاسرائيل ان تنتظر في الواقع خمس سنوات قبل ان تفعل ذلك . هذا على الرغم من ان بيريز كان يرى ان الرئيس العراقي صدام حسين يعد شخصا غير مسئول . وكان بيريز يرى ان الضغوط الدولية ، ويقصد بها علاقته الوثيقة مع الرئيس الفرنسي الاشتراكي فرانسوا ميتران ، يمكن ان تنحو على نحو ما المفاعل العراقي بالطريق الدبلوماسي .

وفي نوفمبر ١٩٨٠ ، اجتمع بيريز مع ميتران (الذي كان مرشحا للرئاسة للرئاسة الفرنسية آنذاك) وقد اكد (ميتران) له ان فرنسا في ظل حكمه ، لن تزود العراق باليورانيوم . وفي سبتمبر ، ابلغ بيجين بيريز انه يعتزم تصف المفاعل العراقي . ثم اجتمع بيريز في يناير مرة أخرى مع مستر ميتران الذي كرر له وعده . وفي ١٠ مايو بعث بيريز برسالة سرية الى بيجين اعلن فيها معارضته للفارة المقترحة ، وحث بيجين على ان ينتظر الى ما بعد الانتخابات الفرنسية حتى يمكن لعلاقة بيريز بميتران ان تحقق الفائدة المرجوة منها . وعندما وقعت الفارة في النهاية . دب الانقسام في حزب العمل وامعته الحيرة ازاء ما يمكن ان يكون عليه رد فعله . وقد دعا بيريز الى ان يعترض الحزب على الفارة ووصفها بأنها عمل سياسي بهلواني . وكان يؤيده في موقفه (موتا جور) رئيس الازكان الاسرائيلي السابق الذي قال ان الفارة عمل غير مسئول ولا ضرورة له ، وحاييم هرتزوج الذي قال انه ربما لم يكن في وسع العراقيين انتاج اسلحة ذرية قبل عام ١٩٨٥ . ولقد حاول حزب العمل بالمرار - وان كان على نحو غير بارع - ان يلصق ببيجين اته قدس من الفارة لدوافع سياسية .

ومع ذلك ، زادت شعبية بيجين في استطلاعات الرأي العام الاسرائيلي في أعقاب الفارة بالنسبة لنواح عديدة مثل الاقتصاد واداء الحكومة بصورة عامة . غير ان موضوعا واحدا كان يمكن ان يكون للفرقة تأثير خطير عليه وهو الدفاع ، فقد انخفضت نسبة المؤيدين لسياسة بيجين الدفاعية من ٦٩٪ الى ١٧٪ . بيد ان الخبراء فسروا الاستطلاعات على انها تشير الى ان النخب قد بدأوا يدركون ان بيريز يعد شخصا غير بارع ، او انه [سواء من بيجين]

وكان من المفترض أن يبرز ما كان ليحلر بفن هذا الهجوم حتى لو كانت الأحداث والتاريخ تصفون الى ذلك . والواقع أن القاعدة العسكرية والسياسية والتكافلية التي تركز عليها اسرائيل اوتكازا شديدا هي مفهوم الامن ، وهذا يعني أن اسرائيل لا يسعها تحمل اية مخاطرة . ولذا كان ينظر الى استمرار وجود القاعل العراقي على انه يشكل مخاطرة جسيمة بالنسبة لامن اسرائيل . وكذلك كان هناك ايمان بأن وجود اسرائيل ، وسط دول عربية غير مسئولة مثل العراق وليبيا ، يقتضي أن تحقق اسرائيل التفوق النووي . ولقد اعتنق هذا المفهوم وسار على حديه كل من حزبي (الليكود) و (العمل) . وكانت استطلاعات الرأي العام التي أجريت قبل الانتخابات تبين بوضوح أنه كلما كان ييجين أكثر صفاء ، والقربا من صورته التاريخية كلما كان ذلك افضل بالنسبة لفرصته الانتخابية . ففي ٢ يونيو ، كشف استطلاع للرأي العام اعده الدكتور بيلي محلل الرأي العام الموالي لحزب العمل انه على الرغم من تقارب الفجوة بين حزبي العمل والليكود ، يحز حزب العمل تقدما ضئيلا على الليكود . وتقسم استطلاعات الرأي العام الاسرائيلي تبعا للموضوع وقد اعدت الاستطلاعات التالية في اول يونيو في اعقاب أزمة الصواريخ السورية .

اداء الحكومة في شئون الامن (اول يونيو ١٩٨١)

النسبة المئوية للتأخين	يناير ٨١	لزمة الصواريخ مارس ٨١	مايو ٨١
منخفض	٨٦٪	٨٠٪	٧٦٪
اداء منخفض بالنسبة للقضايا الامن العام	٧٩٪	٩٠٪	٦٩٪

وقد اعد الاستطلاع التالي (هاتوش سميت) - أحد البارزين في مجال اعداد الاستطلاعات - في ٥ يونيو ١٩٨١ ، في اعقاب هجوم ييجين على المستشار الاثاني الغربي هيلموت شميت وعلى الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان . وبعد قرار (يورام ارييلور) وزير الخزانة الخاص بالاعفاء الضريبي على اجهزة التلفزيون وغيره من السلع الاجنبية المستوردة . وهنا يظهر مرة أخرى انه كلما كان ييجين عنيقا كلما زادت فرصته الانتخابية .

اداء الحكومة في الشئون الاقتصادية (اول يونيو ١٩٨١)

	يناير	فبراير	مايو
منخفض	٨٣٪	٧٥٪	٦٦٪
الحكومة تطلب من المواطنين أكثر من اللازم	٥١٪	٣٧٪	٢٩٪

كيف كان انطفاش اداء الحكومة (• يونيو ١٩٨١)

سبتمبر ٧٩	سبتمبر ٨٠	يناير ٨١	مارس ٨١	مايو ٨١
٪١١	٪١٤	٪٩	٪١٥	٪٢٣
٪١٨	٪١٨	٪١٦	٪٢١	٪٣٠
٪٦٩	٪٥٦	٪٥٦	٪٦٧	٪٥٦
٪٧٤	٪٣٧	٪٣٠	٪٢٠	٪٤١
٪٢٥	٪١٧	٪١٤	٪٢٠	٪٣٤
انطفاش تام				
اجتماعي				
اقتصادي				
خارجي				
عام				

وتمثل نهاية الشجار والخلاف بين المسؤولين ارتفاعا في الرأي الانتخابي للاداء الحكومي الافضل • ففي خلال ايام مفاوضات كليب ديفيد عندما كان ديان ووزيران يتحديان باستمرار بيبين ، وعسلا خذ رجال هوروييز قائلا : « ليس لدى نقود » وكان يهدد استمرارا بتقديم استقالته • كان الرأي الانتخابي ان الاداء الحكومي منخفض •

ثم حدث قصف المفاعل العراقي • وعندئذ كشفت استطلاعات سميت للرأي العام في الفترة من ٤ الى ١١ يونيو (وقع القصف يوم ٧ يونيو) عن زيادة بنسبة ٥٪ في شعبية الليكود • وارتفع التأييد الحكومي لسياسة بيبين الدفاعية بنسبة ١١٪ وعادت شعبية الحكومة الى ما كانت عليه في ازمى ايامها من سبتمبر ١٩٧٩ عنئذا كان رجال اقوياء لا يزالون في الحكومة (وخاصة وايزمان وديان) •

وكانت استطلاعات الرأي التي اجرتها صحيفة « جروزاليم پوست » قبل الفارة قد توقعت ان يحصل الليكود على ٤٥ مقعدا في الكنيست في اواخر مايو ، و ٤٦ مقعدا في اوائل يونيو مقابل ٤٢ مقعدا لحزب العمل • و ٤٠ مقعدا في اوائل يونيو • ثم حدث تفجؤ ملحوظا بعد الفارة بالنسبة لتوقع فوز الاحزاب بمقاعد الكنيست • فقد ذكرت الاستطلاعات انه من المتوقع ان يحصل الليكود على ٤٦ مقعدا مقابل حصول حزب العمل على ٤٠ مقعدا • والواقع انه منذ شهر مايو لم تكن المنافسة بين الليكود والعمل بل كانت بين بيبين وويريز • ومنذ السنوات الاولى لديفيد بن جوريون (١٩٤٨ حتى ١٩٥٦) لم تكن المنافسة الانتخابية تدور كثيرا حول الشخصيات ، ذلك ان الانتخابات الاسرائيلية في عام ١٩٨١ كانت اول انتخابات تجرى في اسرائيل على اساس الشخصيات لا القضايا ، على الرغم من ان القضايا المطروحة منذ منتصف عام ١٩٨٠ وحتى مايو ١٩٨١ كانت حاسمة وفي صالح حزب العمل • وابرزها : انخفاض اداء حكومة بيبين ، وتزايد معدل التضخم الاقتصادي ، وفلسطين (مباحثات اقرار الحكم الذاتي الفلسطيني) وميزانية النفاق ، ونوعية الحياة في اسرائيل ، والقضايا العرقية والاجتماعية غير ان اى قضية

من هذه القضايا لم تحظ بالتركيز عليها والاحتمام بها خلال الاشهر الحاسمة من مايو الى يونيو ولهذا قال ابا ايان وزير خارجية اسرائيل الاسبق في اوائل يونيو : ان علينا ان نجعل نقطة الصفر هي عامل بيجين .

ولقد كانت صورة بيجين كديمقراطي محرم ، وان كان يدير حملته الانتخابية باقتدار وفعالية ، وصورته كرجل قوى يمكنه ان يلقن الارهابيين ومنظمة التحرير الفلسطينية الدروس اللازمة ، مما سر قوته الانتخابية . ولقد كانت لبيجين جاذبية سياسية بالنسبة لجمهور الناخبين الذين تتمايل صيحاتهم الى حد العنف اللفظي ، بينما كان المثقفون والطبقة المتوسطة الحديثة من الاسرائيليين يفتقرون تملها .

ومع ذلك ، تركزت - في النهاية - انتخابات ١٩٨١ حول شخصيتين متناقضتين : غدد فاز بيريز في المناقشة التليفزيونية ، بينما فاز بيجين بالاغصوات .

اداء الحكومة (من ٤ الى ١١ يونيو ١٩٨١)

الايام السعيدة لكامب ديفيد					
		سبتمبر ٧٩	سبتمبر ٨٠	يناير ٨١	مارس ٨١
مايو ٨١ بعد الفارزة					
		٧٩	٨٠	٨١	٨١
اقتصادي	%١١	%١٤	%٩	%١٥	%٢٣
اجتماعي	%١٨	%١٨	%١٦	%٢١	%٣٠
امن	%٦٩	%٥٦	%٥٦	%٦٧	%٥٦
سياسة خارجية	%٧٤	%٢٠	%٣٠	%٣٧	%٤١
عام	%٢٥	%١٧	%١٤	%٢٠	%٣٤

ان تورط فرنسا في برنامج السلاح النووي العراقي لم يصدر من رغبتهما في الاسهام في تقدم العلم والتكنولوجيا .

ذلك ان حكومة جيسكار ديستان لم تكن لتتهم ، فيما يبدو بان يتورط الفرق الاوسط وبقية العالم - وفيه فرنسا في حرب نووية . ذلك ان حجم الاتفاق الفرنسي العراقي قد تراوح ما بين مليار الى خمسة مليارات دولار (اعتمادا على المصادر) وهو قدر من المال ليس ضئيلا حتى بالنسبة للتجارة الدولية في الوقت الحاضر . فضلا عن ذلك كانت فرنسا تبيع ما لا يقل عن ربع صادراتها من السلاح الى العراق ، بينما تراودها الامل في تحقيق صفقات افضل في المستقبل . واخيرا ، لقد كان الفرنسيون مهتمين بضمان تدفق مستقر من العراق (تمد فرنسا ثاني الدول التي تحصل على البترول العراقي) .

والواقع ان كل هذه الصفقات الفعلية والمحتملة لم يطرا عليها اى تغيير من جراء الهجوم الاسرائيلي الناجح . وما لا شك فيه ان هذه السياسة قد سببت الارق للعديد من السياسيين الفرنسيين المسؤولين ومن بينهم الرئيس فرنسوا ميتران الذي انتخب في ١٠ مايو ١٩٨١ ، اى قبل شهر من شن الغارة ، والذي كان قد وعد زعيم المعارضة الاسرائيلي في مناسبات عديدة (منها عندما اجتمعا في لشبونة في فبراير ١٩٨١) بوقف المساعدات الفرنسية لبرنامج الاسلحة النووية العراقية . ولقد اصبح هذا أحد شعارات الحملة الانتخابية لميتران ، وذلك ضمن أسباب أخرى ، حتى يجتذب الأصوات اليهودية في فرنسا .

غير انه في أعقاب الانتخابات الفرنسية ، يادر كلود شيسون وزير الخارجية الجديد في حكومة ميتران الى تأكيد التزام فرنسا بتنفيذ الاتفاقيات التي وقعتها حكومة جيسكار ديستان . وكانت هذه الاتفاقيات تنص ، بالطبع ، لدعم فرنسا لمشروع تموز . ولقد كان هذا التحول في كافة وعود ميتران السابقة على الانتخابات لزعماء اسرائيل ، ولناخبيه - سواء وعمود اللجنة او الخاصة - أحد الاعتبارات الأساسية التي دفعت الحكومة الاسرائيلية الى اتخاذ القرار النهائي بشأن تدمير المفاعل العراقي .

والآن ، في أعقاب الغارة توفرت للحكومة الفرنسية فرصة رائعة . ومثيرا ذهني للتراجع عن مساعداتها للمشروع النووي العراقي . ويدرك الاسرائيليون ان هذا التراجع لم يكن دون حدوث واقعة سابقة . ذلك ان فرنسا في ظل حكم شارل ديغول لم تتردد في إنهاء تعاونها مع اسرائيل عام ١٩٦٠ في كافة مجالات البحث النووي . على الرغم من ان الفرنسيين ، في هذه الحالة

الميكرة ، قد حصلوا على الكثير من الفوائد من الاسرائيليين بقدر ما قدموه من مساعدات لهم .

غير انه بعد يوم من الفارة ، اسرع (م . موروا) رئيس الوزراء الفرنسي الى اذاعة الفارة الاسرائيلية ، ووصلها بانها « عمل خطير جدا لا يمكن قبوله » وبعد ذلك بشرة ايام ، بدأ (موروا) اكثر اعتذارا في حديث له مع صحيفة (واشنطن بوست) الامريكية ، بالرغم من انه اذان قرار الحكومة الاسرائيلية بحسن الهجوم على المفاعل ووصفه بأنه « لا مبرر له » ، وانذار خطير ، .

وبذلك ناقض تصريحاته التي اذل بها قبل الانتخابات الفرنسية . ورغم كل شيء ، اذا لم يكن ثمة انذار من شيء خطير فلماذا وعد بسحب المساعدة الفرنسية من المشروع العراقي ؟ ويضيف « انه كان سيرى الهجوم الاسرائيلي من ناحية مختلفة لو ان ، اسرائيل كانت تواجه خطرا فعلياً ومباشراً ، غير ان هذا لم يثبت على الإطلاق .

ثم استطرد قائلاً : انه اذان زعماء اسرائيل اى كلا من بيجين والحكومة - ولم يكن الشعب الاسرائيلي . ووضح ان فرنسا كانت ضد فرض عقوبات ضد اسرائيل لانه لا يجب على البلد كلها ان تصان من اخطاء ارتكبتها زعمائها .

وما لا شك فيه ان حديث (موروا) هذا كان مناورة واضحة تجعل بيجين في وضع سيء ، وذلك كجزء من محاولة ميتران لتأييد الحملة الانتخابية لصديقه القديم شيمون بيريز - في وقت كانت حملته الانتخابية ضد بيجين تقترب من نهايتها .

وبعد ذلك ، وفي اعقاب خطبة لمسلم حسين - طالب فيها من كافة بلاد العالم المتقدمة ان تساعد العراق والعرب في تحقيق الخيار النووي - أعلن كلود شيسون وزير الخارجية الفرنسي في حديث للتلفزيون الفرنسي (٢٨ يولية ١٩٨١) انه ليس واقفا في الوقت الحاضر من كون فرنسا مستضاه مرة اخرى في برنامج (البحث) العراقي (كما اذان في نفس الحديث بياناً كان قد صدر في بداية الاسبوع ذاته يشير الى ان لاسرائيل خياراً نووياً قصير الأمد للغاية) .

ومن المؤكد ان الفرنسيين (سيزداد حذرهم من أن يتورطوا بعمق ، على نحو تورطهم السابق ، في برنامج « البحث » النووي العراقي . غير ان هذا الذي سيحدث في المستقبل لا يزال أمراً غير واضح تحت وطأة الضغوط العراقية المضادة وأساليب الابتزاز « مثل التهديد بعدم شراء مزيد من الأسلحة الفرنسية ، أو إلغاء صفقات الأسلحة التي تم الاتفاق عليها من قبل ، أو وقف تصدير البترول لفرنسا » . ومن المرجح ان يلجأ الفرنسيون الى استخدام

إساليب لتأجيل مساعدتهم النووية للمراق • كان يصرون على الاضطلاع بالمريد
من الفلتيس والمراقبة الدقيقة للبرنامج النووي العراقي • بيد أنه من المرجح
أن يستعمل الفرنسيون تحت وطأة الضغوط العراقية المستمرة كما استسلموا
أكثر من مرة في الماضي •

وربما كان رد الفعل المخفف لفرنسا ازاء الفارة الاسرائيلية - بالرغم
من تعاونها في المشروع العراقي - لا يرجع ، فحسب الى أن اسرائيل قد أراحت
الضمير الدامي للحكومة الفرنسية •

وحلت مشكلة خطيرة بالنسبة لصانعي القرار الفرنسي (١) ، بل يرجع
كذلك الى الخوف من أن اسرائيل في ظل حكم بيجين لن تتردد في نشر كافة
المعلومات السرية للغاية المتاحة لديها ، والتي من شأنها أن تكشف عمق المي
الكريه للمساعدات التي قسبتها فرنسا لبرنامج الأسلحة النووية العراقية •

(١) لقد لقي أحد الفئتين الفرنسيين مصرعه خلال الفارة على تموز -
وهو الضحية الأجنبية الوحيدة للفارة • وقد قررت الحكومة الفرنسية بعد
أسبوعين من الفارة دفع تعويض كامل لاسرته (على الرغم من أنها ليست ملزمة
بفعل هذا طبقا للقانون الدولي) •

٢٦ - العالم العربي : صد اللجوة النووية

كان العالم العربي في صيف ١٩٨١ يسوده الانقسام ، كما هو المعتاد ، واعد الهجوم الاسرائيلي على مشروع نوز توحيد - لفترة قصيرة على الأقل - بشأن تأييد العراق فيما لحق بها من اذلال وما استبد بها من غضب .

بل ان النظام البعثي السوري ، الذي يعتبر النظام البعثي العراقي من اعدائه الاساسيين قد اعرب عن تعاطفه فجأة مع العراقيين ودعا راديو دمشق بصوت مرتفع وباستمرار الى التضامن العربي والقضاء على الكيان الصهيوني ، في الشرق الاوسط . وكان رد الفعل الاردني مماثلا لذلك ، على الرغم من ان الجيش الاردني لا يزال عليه ان يشرح كيف تمكنت نجاح الطائرات الاسرائيلية طراز اف - ١٦ و اف - ١٥ من التحليق فوق الاراضي الاردنية دون ان تكتشفها شاشات الرادار الاردني .

ولقد ادينت اسرائيل مرات ومرات لهجومها القادر بدلا من المغرب في الغرب الى الكويت في الشرق .

ومع ذلك ، يتعين علينا ان نرقب عن كثب رد فعل دولتين اساسيتين في العالم العربي هما : السعودية ومصر .

والواقع ان هاتين الدولتين قد انضمتا من الناحية الرسمية لحطة اذانة اسرائيل والدعوة للتضامن العربي . ففي مصر ، اتحد اعضاء المعارضة والحكومة في البرلمان مرة اخرى منذ شهور طويلة ، لاذانة العملية الاسرائيلية ودعا الرئيس السادات موسى ساسون السفير الاسرائيلي لدى القاهرة وابلقه يقلقه . ولقد كانت الغارة بالنسبة للسادات اهانة شخصية . ذلك انه بعد ثلاثة ايام فقط من عقد اجتماع مع بيجين في شرم الشيخ (اوهر) قصفت السلاح الجوي الاسرائيلي المفاعل العراقي ، جاعلا بذلك السادات في نظر بقية العالم العربي متواطئا في هذا العمل الاجرامي . ولقد شعر السادات بأن بيجين قد اساء معاملته ، وقال للسفير الاسرائيلي :

« لقد وضعني بيجين في وضع لا يطاق . لقد عملت ، بجدي ، لمساعدة اسرائيل على ان تغير من صورتها المتفطرسة ، والتي لا تقهر ، وذات الذراع الطويلة . وكنت اريدها ان تكتسب صورة البلد التي يمكن العيش معها في سلام ، والتي يمكن معها توقيع اتفاقات السلام . لقد فعلت الكثير لأدائم الحاجز النفسي الذي كان يمنع الدول العربية من حتى مجرد التفكير في احتمال اقرار السلام مع اسرائيل . والان ، لقد خربت عمليتيكم الاخيرة كل ما بذلته من جهود ، والحقت ضررا بليئا لما حاولت بجدي ان ابنيه خلال السنوات الثلاث الماضية . »

ومن المرجح ان كلمات السادات هذه تشرح رد فعله العاجل ازاء الغارة . وباعتباره واحدا من اكثر الحكام المعتدلين في العالم العربي كان

يراهما من خلال منظار الدمار الذى سببته الفارة للعلاقات المصرية الاسرائيلية ومن الأثر الذى أحدثته الفارة فى وجهة نظر ، وموقف ، العالم العربى تجاه إسرائيل . ولكن من الناحية الأخرى ، لا بد أن الرئيس المصرى كان يعرف كذلك أن المشروع النووى العراقى كان موجها أيضا ضد مصر وائى دولة عربية أخرى فى الشرق الأوسط ، مثلما كان موجها ضد إسرائيل .

وربما كان آخر الأشياء التى يريد بها هو قنبلة نووية عراقية قد تهدد اية دولة عربية فى حالة نزاع مع العراق . وفى ضوء التفكير فى هذه الحقيقة، ربما توصل السادات الى نتيجة مفادها على الرغم من أن الفارة الاسرائيلية قد دمرت بعض الجهود الرامية لبناء اطار جديد للعلاقات بين اسرائيل والعالم العربى ، على الرغم من ذلك حررت الفارة العالم - كذلك - من واحد من أخطر التطورات التى يمكن أن تحدث ، فى المستقبل القريب على الأقل ، وهو تحقيق الحيار النووى العراقى المستقل . ولعل هذا النسق من التفكير كان يشاركه فيه أولئك الذين يشغلون المناصب العليا فى مصر والذين يرون الآن أن اسرائيل ليست العدو الرئيسى الذى يريد أن يحتل أراضى مجاورة ، وإنما هى دولة ستفعل كل شئ ضرورى لضمان وجودها .

أما رد الفعل السعودى فقد كان من الناحية الرسمية ، مثل رد الفعل السائد فى بقية العالم العربى . لقد أدانت السعودية الموقف العربى ، ودعت الى اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الدولة اليهودية . غير أنه كانت هناك ردود فعل أخرى لم يشر إليها قط راديو السعودية .

فلقد أعرب الملك خالد ملك السعودية ، الذى كان يزور المملكة المتحدة وغيرها من البلاد الاوروبية وقت شن الفارة الاسرائيلية ، أعرب على نحو غير رسمى بالطبع ، عن شيء من الارتياح لهذا الهجوم . كما أعرب أعضاء آخرون فى الاسرة المالكة السعودية ، خلال مأدبة غداء رسمية ، عن ارتياحهم لتدمير المشروع النووى العراقى . ولم يكن فى وسعهم بالطبع أن يعبروا عن مشاعرهم بحرية - لأنه يعتبر بمثابة خيانة للقضية العربية - غير أنهم اعترفوا فى أحاديثهم الخاصة ، بأنهم كانوا يشعرون بالقلق ازاء حصول العراق على قنبلة ذرية مثل قلقهم ازاء التهديد الاسرائيل للعالم العربى .

والواقع أن هذا الموقف هو نموذج لموقف معظم الدول العربية التى كانت تخشى المخططات العراقية الخاصة بالهيمنة . ولقد كان هذا التهديد العراقى موجها أساسا ، فى المدى القصير على الأقل - ضد الخليج الفارسى . ذلك أن الحرب العراقية الايرانية كانت الخطوة الاولى لتحقيق هذه الهيمنة ، وكان حصول العراق على قنبلة ، وسيلة أخرى لتحقيق هذه الغاية . كان فى وسع كل النظم العربية أن تدين الهجوم الاسرائيل بأعنف كلمات ممكنة ، لكن هذا الهجوم ، كان ، مع ذلك يخدم أغراضها مثلما يخدم

المراض اسرائيل . وحتى اذا ما كان الامر كذلك ، فان الفسارة الاسرائيلية على المخاض المراتى قد اثرت كذلك على المواقف العربية تجاه اسرائيل . لقد اعتبرت الفارة كاهانة للعالم العربى بأسره ، وكعمل من شأنه استمرار الفجوة بين اسرائيل الحديثة المتقدمة علميا ، والتي تمتلك خيارا نوويا ، وبين العالم العربى الذى ترك دون أن يكون لديه خيار نووى . ولقد كان هذا ، ومن المرجح أنه لا يزال هو الإدراك والشعور الحقيقى لكل عربى . لقد تعززت لدى العرب صورة الطيار الاسرائيلى باعتباره « سوبرمان » ، وهى نفس الصورة التى ظهرت فى أعقاب حرب الأيام الستة .

ولذلك ، فإن الفارة الاسرائيلية قد أثرت فى العالم العربى بأسره من ثلاث نواح أولاهما ، وهى الأكثر سطحية أن الفارة أدت الى إعادة توحيد العرب ومحاولة التوصل الى نوع من التضامن العربى . ولثانيها ، أنه من المرجح أن معظم الحكام شعروا بارتياح عميق بعد الفارة الاسرائيلية . والواقع أن تضافر الجهود العربية للتوصل الى قبيلة يعد هدفا شرعيا بالنسبة لمعظم الحكام العرب غير أن وجود قبيلة عراقية مستقلة ، يعد حكاية مختلفة تماما . انها تستهدف كل أعداء العراق - وللعراق عدد ليس بالقليل منهم فى العالم العربى فى الماضى والحاضر ، وربما يزيد عدد أعدائها فى المستقبل . ومن ثم ، وعلى صعيد الصفحة الوطنية هذا ، ختم الهجوم الاسرائيلى الاهداف العامة للحكام العرب .

ولثالثها ، وعلى الصعيد الشخصى ، شهد كل مواطن عربى أن الفارة الاسرائيلية كانت ادلالا شخصيا له وللأمة العربية على السواء . لقد شعر العرب بالاحباط من جراء النجاح الاسرائيلى ، الذى أظهر - مرة ثانية - البون الشاسع بين القدرات والامكانيات الاسرائيلية والعربية .

ومن الطبيعى أنه توجد تناقضات بين هذه المستويات الثلاثة لردود الفعل ، وعلى حيث أن رد الفعل الاول عام ، ويمكن أن يؤدى للاحباط الشخصى لا يوجد حاكم عربى كان يود رؤية قبيلة ذرية لدى حاكم شقيق فى دولة عربية مجاورة . وكل منهم يعرف ذلك ، ولكنه لن يعترف به قط . ولذلك نجد أن الوسيلة الوحيدة التى سيوافقون عليها بشأن الحصول على قبيلة عربية هى أن يتم التوصل اليها من خلال جهود مشتركة من جانب كل الدول العربية . ولكن عندئذ يثور السؤال : من سيضغط بأصبعه على زر اطلاق القبيلة ؟ ان شخصا واحدا فقط يمكنه أن يفعل ذلك ، وأن دولة عربية فقط يمكنها أن تمتلك قبيلة عربية . ولذلك ، يبدو فى الوقت الحاضر ، وفى إطار رد الفعل ازاء الفارة الاسرائيلية التى جعلت اسرائيل الدولة الوحيدة التى تمتلك الاحتكار النووى فى الشرق الاوسط ، لذلك يبدو أنه لا تزال هناك فرص ضئيلة لبنل جهد عربى مشترك للحصول على القبيلة الذرية .

ان الدولة التي تنتمى للعالم الثالث والتي يحتمل كثيرا ان تحقق خيارا نوويا مستقلا في المستقبل القريب - وهي الدولة الأكثر تعاطفا مع الاهداف العربية الاسلامية - هي دولة ، على عكس العراق ، لا يمكن ان تتعرض للاصابة من الناحية العملية من جانب غارة وقائية اسرائيلية . ذلك انه لا ضرورة الاستراتيجية في المدى القصير . ولا براعة السلاح الجوي الاسرائيلي ولا مخاوف رئيس الوزراء بيجين من المذبحة الجماعية يمكن ان تغري اسرائيل على شن غارة في المستقبل على باكستان ، وهي الدولة التي تركز الآن ، بمساعدة فرنسا وليبيا ، الكثير من مواردها ، لتطوير ما يمكن ان يكون - في ضوء العداوات العائنة بين باكستان والهند - احظر تهديد للتوازن النووي العالمي في الثمانينات وهو المشروع ٧٠٦ - اي الغنبة الاسلامية .

خاتمة

ان الفارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى تعد تاريخا الآن ، ومع ذلك لا تزال الاسئلة الحفيفية باقية ومثارة . ماذا سيكون عليه شكل السباق النووى فى الشرق الاوسط ، وماذا سيكون اثر هذا السباق على مستقبل المنطقة والعالم بأسره ؟

وعلى حين ان التلميز الاسرائيلى للمفاعل النووى العراقى قد اجل بالتاكيد خياره العراق لاسلحة نووية - لا يمكن فى المدى الابعد تجنب حياة العراق او أى بلد عربى او اسلامى غيرها لالسلحة النووية ومن الممكن ان يحدث هذا بعد خمس سنوات اعتبارا من الآن ، أى فى غضون عقد أربعة قرون - ولكنه يبدو أمرا حتميا . ذلك ان التقدم التكنولوجى ، والرغبة فى الحصول على أحدث الاسلحة ، والمكانة التى تستمد من الحصول على اسلحة الدمار الجماعى كل ذلك يشكل اغراء قويا ويقدم حلا سريعا ، حتى بالنسبة للزعماء الأكثر شعورا بالمسئولية من أولئك الموجودين فى الشرق الاوسط .

ويأمل البعض فى انه اذا كان تجنب الانتشار النووى غير ممكن ، فالمرجو ان يسهم التوصل اليه فى تحقيق توازن رعب اقليمى على غرار نفس المستوى الاستقرار والسلوك المسئول ، كما هو الحال بين القوى العظمى التى حصلت على اسلحة نووية منذ عام ١٩٤٥ (أى الاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وفرنسا والصين والهند) لم تتورط فى صراعات مباشرة مع بعضها خلال الخمسة والثلاثين عاما الماضية (وتعد الصين والهند استثناء لذلك ، بالرغم من ان الهند لم تكن لديها اسلحة نووية عندما تورطت فى حرب محدودة مع الصين) .

غير انه لا يمكن القول بان شيئا من هذا يصدق بالنسبة لبلاد الشرق الاوسط التى توجد فى حالة توتر وتزاع مستمر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ولا يمكن ان يوصف أى بلد من هذه البلاد بأنه يمثل نظما مستقرة بصفة خاصة . ذلك ان النزاع فى الشرق الاوسط ليس ناشبا بين اسرائيل والدول العربية فقط ، بل هو ناشب كذلك بين الدول العربية نفسها فالنزاع قائم بين ايران والعراق ، وبين العراق وسوريا وبين سوريا ولبنان ، وبين مصر وليبيا ، وبين الجزائر والمغرب .. وهكذا .

ومن ثم نجد انه لو أمكن تحقيق توازن رعب اقليمى ، ولو تمت السيطرة عليه عن طريق التفاهم المشترك ، او حتى التعاون المحدود ، لبقيت المخاطر ماثلة . ذلك انه كلما استمر النزاع الاقليمى على مستوى تقليدى او شبه تقليدى ، فان خطر تصعيد حرب مفاجئة يظل ماثلا دائما . والواقع ان لالسلحة النووية لا يمكن أن تمنع نزاعا على مستوى محدود .

ولذا ، وعندما تنتشر الأسلحة النووية في النهاية في الشرق الأوسط فإن الوسيلة الوحيدة لضمان عدم استخدامها هي اقرار السلام في المنطقة . غير انه من سوء الحظ ان اقرار السلام لا يزال امرا بعيد المسال على الرغم من آمال الملايين وصلواتهم - ولذلك ، يمكن ان تكون الوسيلة الوحيدة لتجنب وقوع كلثة نووية في الشرق الأوسط ، يمكن ان تكون هي التوصل الى اقرار سلام يقبله الجميع قبل ان يبدأ الانتشار النووي في المنطقة . ولا ينطبق هذا على النزاع العربي الاسرائيلي فقط ، بل ينسحب كذلك على كل النزاعات الاخرى في المنطقة . غير ان بونين يصح الشرق الأوسط منطقة سلام مثل اوربا العربية لا يبدو امرا واقعا في الوقت الحاضر او حتى في المستقبل ، ولهذا كلما تجبل الاسرار النووي ، كلما كان ذلك افضل .

وما ان يحدث الانتشار النووي ، حتى يزيد على الفور خطر اندلاع حرب نووية . واذا توقعنا ان تتجه دول المنطقة الى نزع السلاح عندما تصل الى هذه المرحلة ، فانه سيكون توقعا عقيما كما هو الحال في اى منطقة اخرى في العالم . وذلك ان المخاطر حسيمة جدا ، والشكوك المتبادلة قوية للغاية . كما ستكون الاغراض مضطربة . اذ ان مجرد قبلة نووية واحدة قد تدمر تماما دولة اخرى في توان . والواقع انه لم تنجح دول عربية قط في الحاق الهزيمة باسرائيل ، وقد فشل ١٠٠ مليون عربي في اباداة مليوني يهودي . بيد ان عددا قليلا من الأسلحة النووية يمكن ان يدمر تماما دولة صغيرة مثل اسرائيل .

ان قبلة مثل قبلة هيروشيما التي تبلغ زنتها ما بين ٢٠ الى ٣٠ كيلوجراما من المرجح - اذا ما اسقطت فوق مدينة تل ابيب - ان تسفر عن مصرع ٥٠ الف نسمة وعن اصابة ١٥٠ الفا آخرين ، على الاقل ، نتيجة للتمرضس للحرارة والاشعاع النووي ، والاغجار ، والضغط وانفوس ، وكل الآثار الاخرى الناجمة عن الانفجار النووي - واذا ما القيت ثلاث (الى ست) من كتل هذه القنابل فان ٥٠ / من المراكز السكانية والصناعية الاسرائيلية ستدمر . ويمكن القول بان عددا مائلا او اكبر قليلا من القنابل النووية يمكن ايضا ان يسبب دمارا هائلا لمصر او اى دولة اخرى في الشرق الأوسط .

ذلك ان كل الدول العربية الاساسية تعتمد على نهر او نهريين كبيرين وعلى ما لديها من سدود ، وان سكانها يتركزون في مدينة او مدينتين فقط ، ومن ثم ، يؤدي اى هجوم نووي الى رد انتقامي وثارى سريع سواء كان يخدم غرضا معقولا ام لا . والواقع ان مثل هذا الدمار قد يشكل خطرا بالنسبة لبقية العالم كذلك . ويمكن ان يحدث هذا ، اما عن طريق جر القوى الكبرى للمحول في مواجهة نووية لا يرغبون فيها ، او عن طريق تدمير الموارد ائترولية في المنطقة .

وسوف تكون لدوة السخرية اذا ادت النقافات التي كانت معا مهد حضارة العالم الى اشغال نيران الحرب القاصلة .

المحتويات

رقم الصفحة

٣	مقدمة
٩	تقديم
١٣	الجزء الأول : السعوة الى التسليح والسباق النووي
١٥	١ - ورطة بن جوريون
١٩	٢ - الأسد والحملان : مولد المناقشة النووية في اسرائيل
٢٣	٣ - كابوس ناصر وحل السادات
٣١	٤ - السعي من أجل القنبلة الاسلامية : ليبيا وسوريا والسعودية وباكستان
٣٩	٥ - القنبلة في « البدرم » : صيفة ديان
٥١	٦ - صدام حسين ومشروع تموز
٥٩	الجزء الثاني : صنع القواد
٥٩	٧ - تحذير : التخريب في فرنسا
٦٧	٨ - تحذير : تمزيق المحيط
٧١	٩ - التحذير الأخير : الهجوم الايراني
٧٣	١٠ - الثلاثة يقررون
٧٧	الجزء الثالث : الاعداد لعملية بابل
٧٩	١١ - عملية بابل : الخيارات
٨٣	١٢ - عملية بابل : أمي عنيتيني الثانية ؟
٨٩	١٣ - عملية بابل : الاستطلاع
٩٣	١٤ - عملية بابل : النسر والصقر المقاتل

روام الصفحة

- ١٥- عملية بابل : طريق الاقتراب ١٠٠
 ١٦- عملية بابل : اختيار الأسلحة ١٠٦
 ١٧- عملية بابل : المد التنازل ١١٠
 ١٨- عملية بابل : دقيقتان فوق اوزيراك ١١٢

الجزء الرابع : الحكم

- ١٩- بيان القدس ١١٩
 ٢٠- بيان بغداد ١٢٤
 ٢١- اسقاط القنابل والضجة الصاخبة : اسرائيل بعد الفارة ١٢٦
 ٢٢- حرب الدعاية : حسين يرد على الهجوم ١٣٢
 ٢٣- مسألة توازن دقيق : رد الفعل الأمريكى ١٣٤
 ٢٤- رأى اسرائيل ١٤٦
 ٢٥- فك الارتباط الفرنسى ١٥١
 ٢٦- العالم الغربى : سد الفجوة النووية ١٥٤



مطابع
الهيئة العامة للاستعلامات